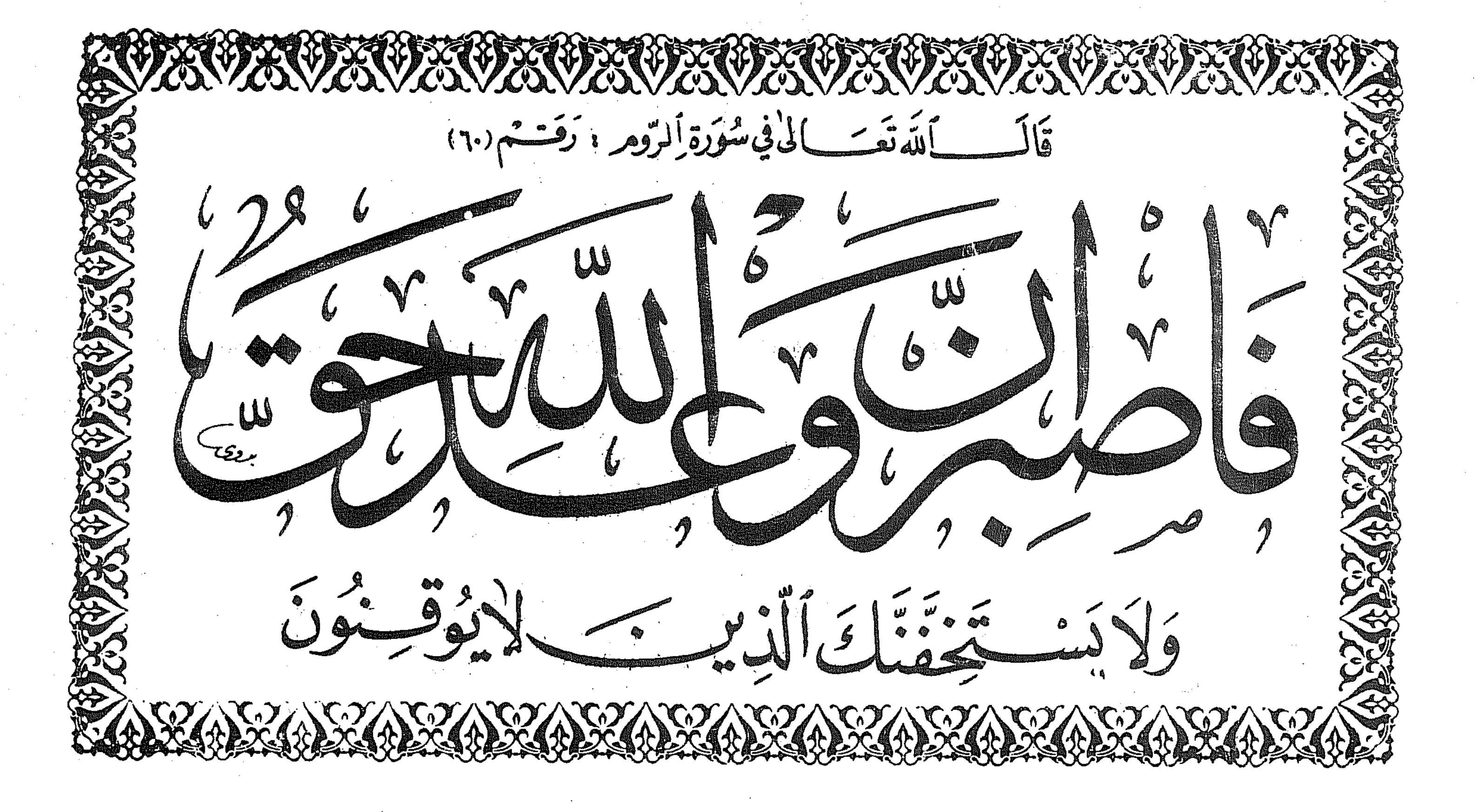
الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢١٠ ● جمادى الآخرة ١٤٠٢ هـ ● ابريل ١٩٨٢ م

هدية العدد مجلة براعم الايمان


قال الله تعالى في سورة الروم : رقم (٦٠)
فاصبر إن وعد الله حق
ولا يستخفنك الذين لا يوقنون



AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة الثامنة عشرة

العدد ٢١٠ ● جمادى الآخرة ١٤٠٢ هـ ● ابريل ١٩٨٢ م

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

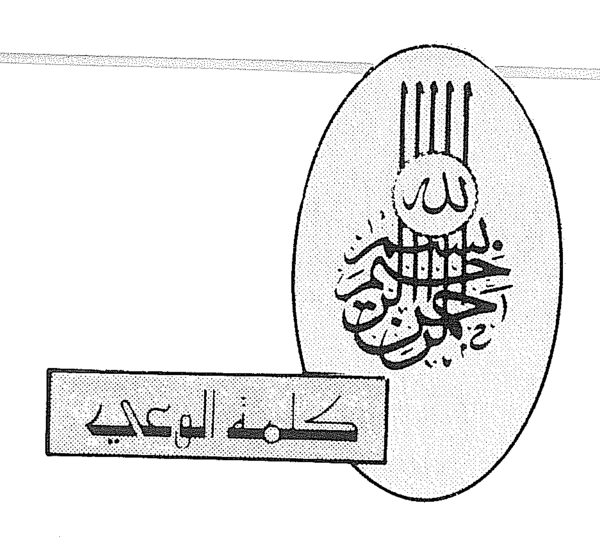
التوزيع والاشتراكات

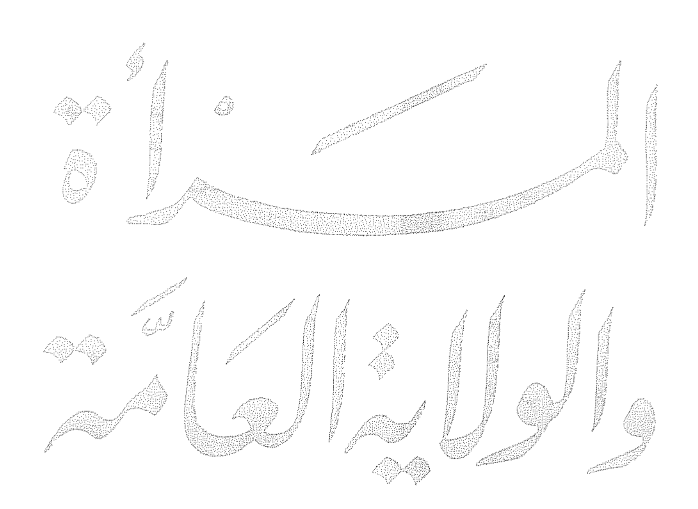
الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)
ص. ب ٤٢٢٨ ، بيروت ، لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي





الاسلام يحرم اختلاط المرأة بالرجال غير المحارم سدا لباب الفتنة . والدعو
بمنح المرأة حق الانتخاب ومشاركة الرجال في تشريع القوانين ما هي الا وسيا
تريد المرأة ان تتذرع بها لتكسو اختلاطها بالرجال الاجانب عنها ثوب المصلح
العامة ! وهذا عمل لا تقره الشريعة الاسلامية لأنه لا يتفق مع انوثة المرأة وطبيع
تكوينها .

والولاية العامة هي السلطة الملزمة في شأن من شؤون الجماعة . كولاية سن القوانين ، وقيادة الجيش ، والفصل في الخصومات ، وتنفيذ الأحكام ، والهيمنة على القائمين بذلك . وهي مقصورة على الرجال الذين تتوافر فيهم شروط معينة من العلم والذكاء ، ورجاحة العقل ، وطهر النفس ، وحياة الضمير ، والشجاعة في الحق .. ولم يثبت ان شيئا من هذه الولايات العامة قد اسند الى المرأة لا مستقلة ولا مع غيرها من الرجال ، في حين انه كان في الصدر الأول للاسلام مثقفات فضليات ، وفيهن من تفضل كثيرا من الرجال ..

وبعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بويع أبو بكر رضي الله عنه البيعة العامة دون أن تشترك المرأة أو تدعى لمداولة الرأي في ذلك .

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن إسناد شيء من الأمور العامة للمرأة . روى البخاري بسنده عن أبي بكر أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغه أن الفرس ملكوا ابنة كسرى قال : « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » . والرسول لم يقصد بهذا القول مجرد الاخبار عن عدم فلاح القوم الذين يولون المرأة أمرهم ، وإنما قصد نهي أمته عن مجاراة الفرس في إسناد شيء من الأمور العامة إلى المرأة ، واختار لذلك أسلوب القطع بأن عدم الفلاح ملازم لتولية المرأة أمرهم .. وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجميع أئمة السلف رضوان الله عليهم يستدلون بهذا الحديث على حرمة تولي المرأة الامامة الكبرى ، والقضاء ، وقيادة الجيش ، وما إليها من سائر الولايات العامة . وقد قال الله تعالى : **(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)** .

وهذا الحكم المستفاد من الحديث معلل بمعان واعتبارات لا يجهلها الواقفون على الفروق الطبيعية بين نوعي الانسان .. ذلك أن الحكم لم ينط بشيء وراء الأنوثة التي جاءت كلمة « امرأة » في الحديث عنوانا لها . فالأنوثة وحدها هي العلة . وليست العلة عدم العلم والمعرفة ، ولا عدم الذكاء والفطنة ، إذ الواقع يدل على أن للمرأة علما وقدرة على التعلم كالرجل ، وعلى أن لها ذكاء وفطنة ، بل قد تفوق الرجل في العلم والذكاء والفهم . ولكن المرأة ـ بمقتضى الخلق والتكوين ـ مطبوعة على غرائز تناسب المهمة الأصلية التي خلقت لأجلها وهي « الأمومة وحضانة النشء وتربيته » وهذه قد جعلتها ذات تأثر خاص بدواعي العاطفة ، وهي مع هذا تعرض لها عوارض طبيعية تتكرر عليها في الأشهر والأعوام ، ومن

شأن هذه العوارض أن تضعف قوتها المعنوية ، وتوهن من عزيمتها في تكوين الآراء والتمسك بها ، والقدرة على المقاومة والكفاح في سبيلها . وهذا شأن لا تنكره المرأة من نفسها .. وليس أدل على ذلك من أننا رأينا المرأة في أسمى البيئات النسوية لم تسلم من التأثر الشديد بدواعي العاطفة ، ولم تنهض قوتها المعنوية على مغالبة نوازع الغيرة مع كمال إيمانها ونشأتها في بيت النبوة والوحي ، فكيف بامرأة غيرها ليس لها مثل إيمانها ، ولم تنشأ نشأتها ، وليس لها ما تطمع به أن تبلغ شأوها أو تقارب منزلتها ؟

لقد تطلع نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى زينة الدنيا ومتعتها ، وطالبنه أن يغدق عليهن مما أفاء الله عليه من الغنائم . فبين الله تعالى لرسوله خطأ هذا الاتجاه منهن وأمره أن يقول لهن : (**إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا . وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما**) فاخترن كلهن : الله ورسوله .

وقد حدثتنا سورة التحريم عن غيرة بعض نساء النبي صلى الله عليه وسلم وما كان لهذه الغيرة من الأثر في تغليب العاطفة على العقل مما جعلهن يدبرن ما يتظاهرن به على رسول الله .. وكيف ان الله تعالى ردهن إلى الجادة بقوله تعالى : (**إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير . عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا**) .

والشريعة الاسلامية التي جنبت المرأة الولاية العامة رعاية لأنوثتها ، وصيانة للمصلحة العامة للمجتمع . هي الشريعة ذاتها التي أفسحت لها الطريق في كل ما يتعلق بمسائل الولاية الخاصة . فقد ساوتها بالرجل في هذا النوع من الولايات ، إذ جعلت لها حق التصرف في أموالها بالبيع والهبة والاجارة ونحوها من مختلف ضروب التصرفات ، وأجازت لها الوصاية على الصغار ، والولاية على المال ، والنظارة على الأوقاف ، والتعليم والتطبيب لبنات نوعها .

وإذا كانت الشريعة الاسلامية قد جعلت القوامة على النساء للرجال في قوله تعالى : (**الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم**) وجعلت حق الطلاق بيد الرجل ، ومنعت المرأة من السفر دون محرم أو زوج أو رفقة مأمونة ، وجعلت لها حق حضانة الصغار دون الرجل ، وأوجبت على الرجل حضور صلاة الجمعة والجهاد في سبيل الله ولم توجب عليها شيئا من ذلك .. اذا كانت الشريعة قد رسمت لها حدودها وبينت لها مهمتها المتفقة مع طبيعة تكوينها ، فما بالها تريد أن تخرج عن أحكامها لتزج بنفسها في

انتخابات تدافع فيها وتدفع ، وتختلط في ميدانها بالجماعات والافراد من الرجال ؟ .. وما بالها تريد أن تثير حولها الزوابع وتخوض المعامع في الوقت الذي كفتها فيه الشريعة مئونة الكفاح ، وجنبتها مواطن الزلل ، ورسمت لها من الحدود ما يتكافأ وطبيعتها في ميدان العمل المنتج المفيد لها وللمجتمع الذي تعيش فيه ؟

إن إبداء المرأة لرأيها مكفول ، والسبل إليه كثيرة من غير أن تزج بنفسها في المجتمعات والمحافل العامة . والمرأة التي تتعرف على أحكام الاسلام وتلتزم بآدابه تستطيع أن تبدي رأيها إذا ما أرادت . والحاكم يستمع لرأيها متى نهضت به الحجة . وقد استمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى المرأة المؤمنة التي قامت من صفوف النساء وعارضته في تحديد مهور النساء مستدلة بقول الله تعالى : **(و آتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا)** .. استمع إليها وقرر أن الصواب في جانبها وعدل عن رأيه قائلا : أصابت امرأة وأخطأ عمر .

أما المرأة المسلمة التي تجهل أحكام الاسلام أو تعلمها ولكنها لا تلتزم بها في شؤون حياتها فآراؤها لابد أن تكون بعيدة عن الصواب لأنها تقلد فيها النساء الكافرات بدين الله ، وتتبع بها هواها بغير هدى من الله ! وليس أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله . إنه يظلم نفسه ويظلم غيره .

إن الاسلام حدد ما يتساوى فيه الرجال والنساء وهي الأمور التي لا تتعارض مع تكوين النوعين ، وبين ما يختص به الرجال ، وهي الأمور التي تتفق مع تكوينهم دون تكوين المرأة ، وبين ما تختص به النساء ، وهي الأمور التي تتناسب مع طبيعتهن دون طبيعة الرجال . وفي تشريع الله يكمن الخير للرجال والنساء جميعا حين يلتزم الكل بما عليهم من واجبات ويتناولون ما لهم من حقوق .

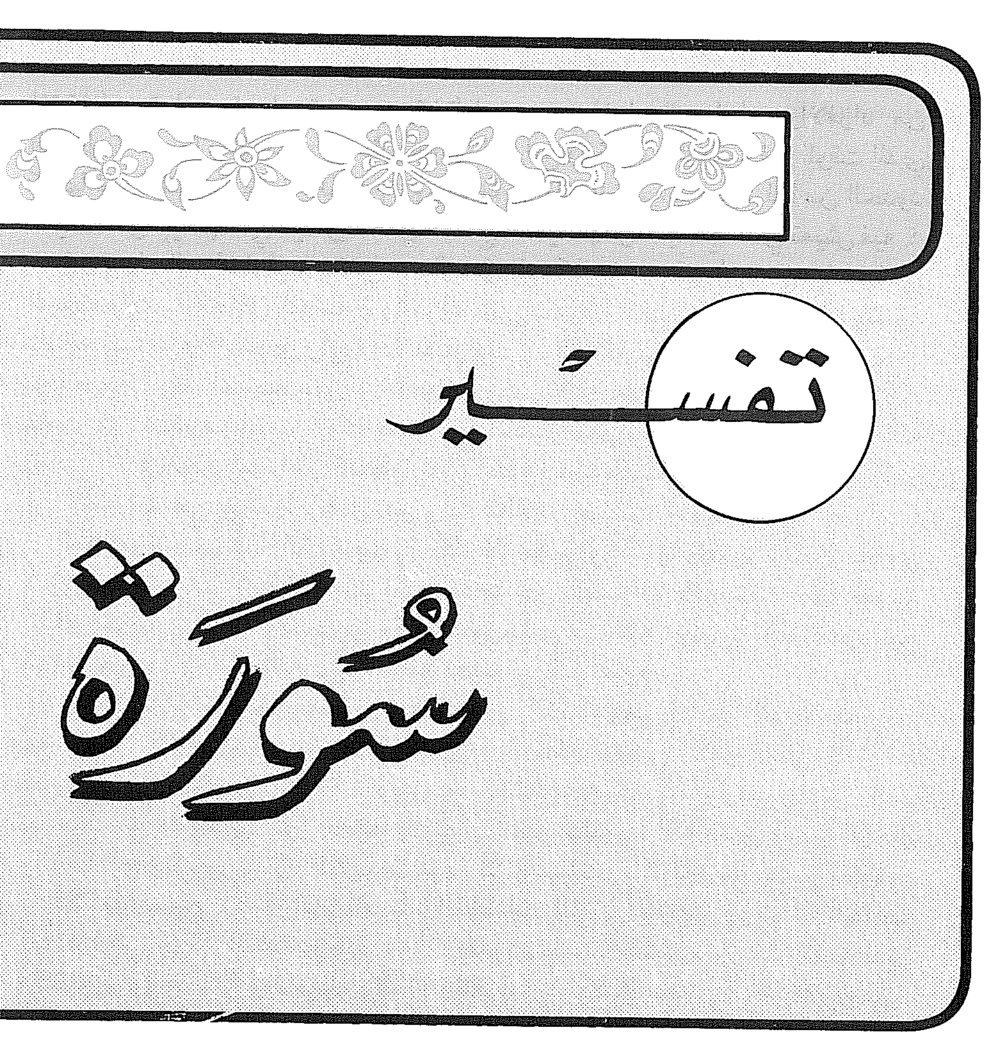
الا ما أحوج الأمة إلى النساء المؤمنات اللاتي يتولين الولايات الخاصة إسهاما في حركة المجتمع وتقدمه ، ويقمن بحضانة النشء وتربيته على الدين والخلق ، والفضيلة والشرف والعزة والكرامة ، ليكون سنادا للوطن في معارك الحياة ، وسبيلا لتعميره والنهوض به ، وأداة لتطهيره من المفاسد والسمو به عن الدنايا .

هذا هو السبيل المستقيم في حياة المرأة ، وهو ما يجب أن تأخذ به الدولة الاسلامية في كل مكان تكريما للمرأة ، ووضعا لها في المكان اللائق بتكوينها وطبيعتها ، وصيانةلأوضاع المجتمع من الخلل والاضطراب .

والله يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم .

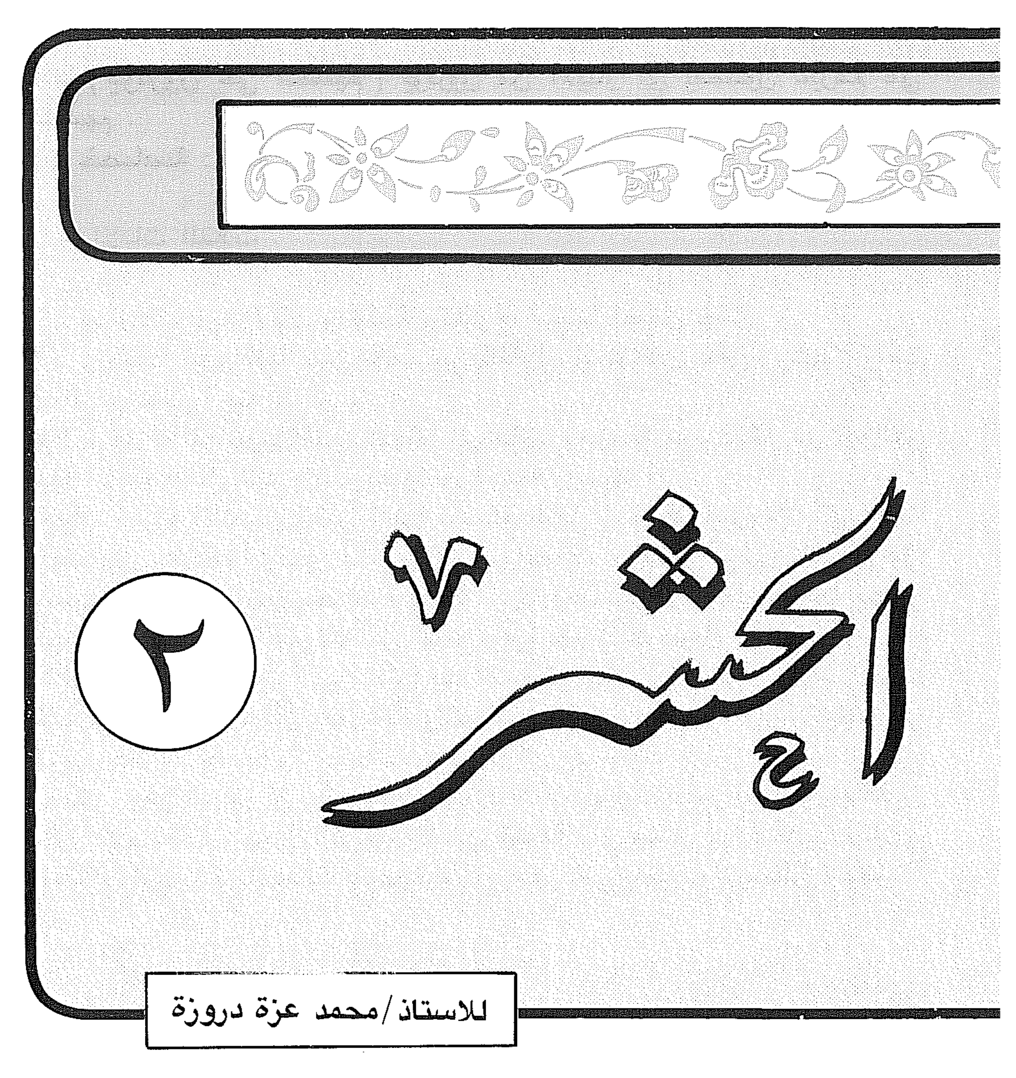
رئيس التحرير

محمد الأباصيري



قال تعالى :

(للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون[٨] والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون[٩] والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم[١٠] .



شرح لبعض جمل الآيات :

١ - (**الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم**) الضمير في قبلهم عائد للمهاجرين الذين ذكروا قبلها . وجمهور المفسرين أن الدار هي دار الهجرة النبوية (أي المدينة المنورة) وتسمى يثرب . وأن الجملة عنت أهل المدينة الذين آمنوا قبل قدوم المهاجرين إليها .

٢ - (**لا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا**) الجمهور على أن الضمير في كلمتي (لا يجدون) و (صدورهم) عائد إلى الذين تبوءوا الدار والايمان قبلهم . وأن الضمير في (أوتوا) عائد الى المهاجرين . ومعنى الجملة (إن الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم) لا يشعرون بغيرة ولا حسد مما أعطى للمهاجرين .

٣ ـ **(يؤثرون على أنفسهم)** يؤثرون من الايثار أي يفضلون غيرهم على أنفسهم .
٤ ـ **خصاصة** : فاقة أو حاجة .

مدى الآيات الثلاث :

١ ـ صارت عبارة الآيات واضحة بالشرح السابق لبعض جملها .
٢ ـ والآيات تبدو أنها بيان توضيحي للفقراء المستحقين للفيء والذين يجب إعطاؤهم نصيبا منه . وهم :
اولا ـ فقراء المهاجرين الذين الجئوا إلى الخروج من ديارهم والتخلي عن أموالهم فيها ابتغاء فضل الله ورضوانه ونصرة دينه ورسوله .
ثانيا ـ فقراء الأنصار الذين آمنوا برسالة النبي في دارهم قبل أن يأتي إليها المهاجرون ، ورحبوا بالذين هاجروا إليهم وأحبوهم ، والذين يؤثرون غيرهم على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وفاقة . ولا يحسدون ولا يغارون مما يعطي المهاجرون ، حيث وقاهم الله من الشح وهيأ لهم بذلك سبيل الفلاح .
ثالثا ـ فقراء المسلمين الذين آمنوا بعد السابقين لهم في الايمان ، والذين حكت الآية دعاءهم الله ، بأن يغفر لهم ولاخوانهم الذين سبقوهم ، وأن لا يجعل في قلوبهم غلا ولا حسدا ولا حقدا نحوهم وهو الرؤوف بعباده الذين يشملهم بسابغ رحمته . ومن الجائز أن يعتبر فقراء الفئات الثلاث من صنف (المساكين) الذين ذكروا كأصحاب سهم في الفيء ، وتنطبق الصفة التي وصف بها الحديث النبوي المساكين الذي ذكرناه سابقا عليهم فهم لا يجدون غنى يغنيهم ولا يسألون الناس .

الروايات المروية في سبب نزول الآيات :

روى المفسرون ومنهم الطبري وابن كثير والبغوي ما يفيد أن المهاجرين كانوا فقراء لا أرض لهم ولا مال ولا مورد وكانوا عالة على الأنصار . فلما فتح الله ويسر أموال بني النضير ، كلم النبي الأنصار واسترضاهم للنزول عن حقهم فيها حتى يقسمها على المهاجرين فيكفوهم مؤونتهم . وأن معظمهم رضوا بذلك عن طيب خاطر ، ولم يشعروا بحسد ولا غيرة مما اعتزمه رسول الله من توزيع فيء بني النضير على المهاجرين عدا الذين في قلوبهم نفاق ومرض ، وأن النبي قسمه على المهاجرين فقط ولم يعط الأنصار منها إلا ثلاثة كانوا فقراء . وأن الآيات نزلت لتأييد ما فعله رسول الله إلهاما وإشادة بالأنصار الذين تنازلوا عن حقهم .
ونحن في حيرة من هذه الروايات التي رواها معظم المفسرين عزوا إلى ابن عباس لاننا نراها متناقضة مع تقرير الآيات السابقة التي شرعت جميع الفيء للمصالح العامة والمحتاجين لانه تفسير بدون إيجاف خيل وركاب ، فلم يستحق فيه المسلمون

إستحقاقا ملزما كاستحقاقهم في الغنائم التي يحوزون عليها بعد قتال وإيجاف خيل وركاب ومنعت قسمته على المسلمين الميسورين . بل وتتناقض مع روح الآيات نفسها التي جاءت مطلقة وبعضها معطوف على بعض بحيث تبدو بأسلوب قوي أنها أرادت فقراء الفئات الثلاث معا أي المهاجرين والأنصار السابقين والذين آمنوا بعدهم واندمجوا فيهم .

وكل ما يمكن احتماله فيما نرى ـ والله أعلم ـ وفيه توفيق بين روح الآيات وخطوط الروايات أن تكون ما آلت إليه حالة المهاجرين الاقتصادية من ضيق وحرج ، قد ألهمت النبي صلى الله عليه وسلم بقصر الفيء الذي تيسر بدون إيجاف وحرب على المصالح العامة وعلى المساكين واليتامى وأبناء السبيل وذى القربى دون الأغنياء . ولم يكن من المهاجرين أغنياء . وإنما كان من الأنصار . وأن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد خاطب هؤلاء فأظهر المخلصون وهم الأكثرية العظمى منهم الرضاء دون اعتراض وحساسية مما جعلهم يستحقون التنويه العظيم الذي تضمنته الآية الثانية .

المدى العظيم في وصف فئات المسلمين الثلاث في الآيات :

ـ أن وصف الفئات الثلاث المخلصة وصف محبب قوي وجدير بالتأمل والاجلال .

ويدل على ما كان من قوة إخلاص السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان لدين الله ورسوله وتحملهم في سبيلهما لجسيم التضحيات فاستحقوا هذا الثناء العظيم .

وفي سورة التوبة آية فيها تنويه قوي بهم وإعلان رضاء الله عنهم ووعد هم بالخلود في الجنات الاخروية وهي : (**والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم**)التوبة/ ١٠٠ ..

ولقد أثرت أحاديث صحيحة عديدة عن رسول الله فيها تنويه بما سماهم (أصحابي) الذين عني بهم على الأرجح والله أعلم : (**السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار**) يدل على ما كان لهم عنده من شأن عظيم . من ذلك حديث رواه مسلم عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أصحابي آمنة لامتي . فاذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون » وحديث آخر رواه مسلم عن أبي موسى أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم جاء فيه : « الله الله في أصحابي الله الله في أصحابي . لا تتخذوهم عرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم . ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن أذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله . ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه » .

وحديث رواه الشيخان وأبو داوود والترمذي عن أبي سعيد جاء فيه : « لا تسبوا أحدا من أصحابي . فان أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم

ولا نصيفه » وحديث رواه الترمذي عن بريدة جاء فيه : « ما من أحد من أصحابي يموت بأرض الا بعث قائدا ونورا لهم يوم القيامة » وحديث رواه الشيخان عن البراء جاء فيه : « الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق . فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله » .

ولقد اقتضت حكمة رسول الله أن يخص الأنصار بالتوبة حيث أثرت عنه أحاديث صحيحة عديدة في ذلك . ومن ذلك .

حديث رواه الشيخان عن أنس جاء فيه : « آية الايمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار » وحديث رواه الشيخان عن أنس أيضا جاء فيه يخاطب امرأة من الأنصار : « والذي نفسي بيده أنكم لأحب الناس إلي ثلاث مرات » وحديث رواه البخاري والترمذي عن أبي هريرة جاء فيه : « لو أن الأنصار سلكوا واديا أو شعبا لسلكت في وادي الأنصار . ولولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار » .

وحديث رواه مسلم والترمذي عن زيد بن أرقم جاء فيه : « اللهم اغفر للانصار ولأبناء الأنصار ولنساء الأنصار » .

وهناك أحاديث أخرى في الفئتين بصورة عامة وفي أشخاص معينين من كل فئة ، فاكتفينا بما تقدم .

استطراد توضيحي للسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار .

ونقول استطرادا أولا : أن كلمة « صحابي » مع أنها تطلق من المسلمين على كل من رأى النبي صلى الله عليه وسلم من المؤمنين فان روح الأحاديث تفيد كما قلنا قبل ، أن المقصود من كلمة « أصحابي » فيها هم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، ويجوز أن يدخل فيهم من اتبعوهم باحسان وصحبوا رسول الله في حياته . وثانيا ـ أن كلمة المهاجر تطلق على من هاجر من مكة إلى المدينة قبل فتح مكة وحسب . ولا تطلق على من هاجر بعد هذا الفتح لأن هناك حديثا رواه الشيخان وأحمد وأصحاب السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا هجرة بعد الفتح وإنما نية وجهاد . وإذا استنفرتم فانفروا » . وإن المهاجرين أنواع ، نوع هاجر إلى الحبشة قبل هجرة النبي إلى المدينة ثم جاءوا منها إلى المدينة . ونوع هاجر إلى المدينة من مكة في ظروف هجرة النبي إليها ، ونوع هاجر إلى المدينة بعد مدة ما من هجرة النبي وقبل فتح مكة وظل أثناء هذه المدة مشركا . وأن كلمة (السابقين) بالنسبة للمهاجرين تطلق على النوعين الأولين وحسب .

وثالثا : أن الأنصار أيضا أنواع ، نوع آمن قبل هجرة النبي إلى المدينة وهم الذين ذكروا في الآية الثانية التي نحن في صددها ونوع آمنوا بعد هجرته . وأن كلمة (السابقين) للأنصار تطلق على النوع الأول فقط .

استطراد ثان لتوضيح جملة (**الذين تبوءوا الدار والايمان**) .

إن ملخص ما ذكرته كتب السيرة والتفسير هو أن النبي صلى الله عليه وسلم

بعد موت عمه أبي طالب ، حاميه ، وبعد موت أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها التي كانت من أقوى مشجعيه ومؤيديه ذهب إلى الطائف لعله يجد نصيرا فخاب أمله حتى رشق بالحجارة فخرج كسيرا ، وأخذ يناجي ربه في طريق عودته قائلا : « اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس . ياأرحم الراحمين . أنت رب المستضعفين . وانت ربي إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري . إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي . ولكن عافيتك هي أوسع لي . أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن ينزل بي غضبك ، أو يحل علي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك » وأرسل بعد ذلك لبعض زعماء مكة يطلب منهم أن يدخل في جوارهم فرضي بعضهم . وأخذ بعد ذلك يعرض نفسه على قبائل العرب ووفودهم التي كانت تأتي إلى مكة في الحج ، وعرض نفسه في الجملة على جماعة من الخزرج من أهل يثرب ، وكان ذلك في السنة العاشرة من بعثته فدعاهم إلى الاسلام وتلا عليهم القرآن ، فانشرحت صدورهم وكانوا يسمعون من اليهود الذين في مدينتهم أنه يوشك أن يبعث الله نبيا من العرب ، وقالوا لعله هو فلا يسبقنكم اليهود إليه . فآمنوا وقالوا له إنا تركنا قوما بينهم من العداوة والشر ما بينهم فعسى الله أن يجمعهم بك وسنعرض عليهم أمرك فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك وهؤلاء الجماعة هم أسعد بن زرارة وعوف بن الحارث ورافع بن مالك وقطبة بن عامر وعقبة بن عامر وجابر بن عبدالله رضوان الله عليهم . ولما رجعوا أخبروا قومهم وأخبروا جماعة من قبيلة الأوس ، القبيلة العربية الثانية التي كانت تسكن يثرب ، فانشرحت صدورهم ، فلما كانت السنة القابلة جاء وفد خليط من القبيلتين واجتمعوا برسول الله عند هضبة من هضاب مكة الخارجية فآمنوا ، فأرسل معهم مصعب بن عمير رضي الله عنه داعيا وقارئا وإماما ، فأخذت دائرة الاسلام تتسع حتى لم يبق بيت من بيوت الأوس والخزرج الا ودخله الاسلام .

لما كانت السنة القابلة وهي الثالثة في تاريخ الاتصالات جاء وفد كبير مؤلف من نحو سبعين من القبيلتين فاجتمع بهم فآمنوا ورحبوا بهجرته وهجرة أصحابه إلى مدينتهم وعاهدوه على الدفاع عنه ونصرته واختار منهم اثنى عشر رجلا ، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس فسماهم النقباء « وهم أسعد بن زرارة وعبدالله بن رواحة ورافع بن مالك والبراء بن معرور وعبدالله بن عمرو بن حرام وعبادة بن الصامت وسعد بن عبادة والمنذر بن عمرو وسعد بن الربيع من الخزرج وأسيد بن حضير وسعد بن خثيمة ورفاعة بن عبد المنذر من الأوس رضوان الله عليهم » . وبعد ذلك أذن النبي صلى الله عليه لاصحابه بالخروج فأخذوا يخرجون فرادى تاركين أموالهم ووطنهم في سبيل دين الله ونصرة رسوله وكان الأنصار يتلقونهم بالترحاب والعون ويهيئون لهم المساكن وأسباب المعيشة والاستقرار . وقد تأخر رسول الله بعض الوقت للاشراف على هجرة أصحابه وقضاء بعض واجبات عليه وأمانات لديه للناس . وجن جنون زعماء مكة حينما عرفوا الاتفاق الذي تم بينه

وبين أهل يثرب بعد أن كانوا أيقنوا أن دعوته على وشك الانطفاء وبعد أن وصل أمره إلى ما وصل ورأوا في ذلك خطرا عظيما عليهم وأخبره الله ونجاه وخرج مع رفيقه أبي بكر من مكة ووصل المدينة سالما وهو ما أشارت إليه آية سورة التوبة : (**إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم**) ٤٠ . فكانت هجرته أبرك وأعظم ثاني حادث في الاسلام . (والأول نزول الوحي بالنبوة والقرآن عليه لأول مرة) . حيث انفتح الأفق الواسع أمام الدعوة الاسلامية وانتشارها وانتصارها ، وصارت كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا .

ولقد أورد ابن كثير حديثا رواه الامام أحمد عن انس قال « قال المهاجرون يارسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ولا أحسن بذلا في كثير فقد كفونا المؤونة وأشركونا في أموالهم حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله » .

وروى البخاري عن أبي هريرة قال : « قالت الأنصار اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل قال لا فقالوا تكفونا المونة ونشرككم في الثمرة قالوا سمعنا وأطعنا » .

ولقد آخى رسول الله بين رجال المهاجرين ورجال الأنصار فكان مما فعله الأنصار تجاه من آخاهم معهم النبي أن قاسموهم بيوتهم وأشركوهم في أعمالهم وأموالهم . حتى لقد طلق بعضهم بعض زوجاته ليبسر لأخيه المهاجر التزوج بها على ما جاء في كتب السيرة والتفسير . وكل هذا بوادر مؤيدة لما وصف الله الأنصار في قوله : (**يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة**) .

وفي صدد الآية (**ومن يوق شح نفسه**) أورد ابن كثير حديثا عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله يقول « لا يجتمع غبار في سبيل الله ولا دخان في جوف عبد أبدا ، ولا يجتمع الشح والايمان في قلب أبدا » وحديثا عن جابر رواه مسلم أيضا قال : « قال رسول الله إياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فانه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن يسفكوا دماءهم ويستحلوا محارمهم » وهكذا يتساوق التلقين النبوي مع التلقين القرآني في هذا الشأن كما هو في كل شأن .

تطبيق عمر بن الخطاب رضي الله عنه للآيات :

لقد روى الامام أبو يوسف في كتاب الخراج والامام أبو عبيد في كتاب الأموال والكتابان من أقدم ما وصل إلينا . والامامان من مشاهير القضاء والفقه وأئمة الحديث في الصدر الاسلامي الأول . إن الذين اشتركوا في فتح العراق طلبوا من عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يقسم عليهم أرض السواد العراقي فأبى وقال

لهم . إنه لجميع فقراء المسلمين في جميع أجيالهم حقا في ذلك استنادا إلى هذه الآيات ، وأبقاها كذلك . فيؤخذ ريعها من مستأجريها ويوزع على فقراء المسلمين حيث يمكن القول أن عمر رضي الله عنه اعتبر الآيات توضيحا للمستحقين للفيء من فقراء المسلمين على اختلافهم سواء أكانوا من المهاجرين أم الأنصار الأولين أم من الذين آمنوا بعد الرعيل الأول من هؤلاء وأولئك ثم اعتبرها مستمرة الحكم بالنسبة لجميع أجيال المسلمين في مستقبل الأيام وصيغة الآيات وعطف بعضها على بعض ومجيئها بعد ذكر مصارف الفيء مما يدعم هذا الاعتبار .

وفيما فعله عمر رضي الله عنه صورة مما كان يفهمه كبار أصحاب رسول الله من التوجهات القرآنية كما هو ظاهر . وهو عمل فريد رائع في بابه فيه تدشين لما يمكن أن يسمى أملاك الدولة التي ترصد على فقراء المسلمين تطبيقا عمليا ، تشريع مساعدة هؤلاء الفقراء على ما تلهمه الآيات .

ويتبادر لنا أن عمر رضي الله عنه اعتبر فقراء المسلمين من الفئات الثلاث بمثابة (مساكين) في معنى الكلمة الذي جاء في الحديث النبوي الذي أوردناه سابقا ، (المسكين هو الذي ليس له غنى يغنيه ولا يسأل الناس) . ويتبادر لنا كذلك أن عمر رضي الله عنه لابد من أنه لحظ جميع مصارف الفيء ، وكان ينفق على حسب ما تقتضيه المصلحة . وأن ما روى إنما كان لتطبيق مدى الآية وعدم توزيع الأرض على الفاتحين وإبقائها في مثابة الفيء والمصارفة والله تعالى أعلم .

والمستفاد من كتاب الأموال للأمام أبي عبيد أن عمر رضي الله عنه سلك في أرض الشام المفتوحة ما سلكه في أرض العراق .

قال تعالى :

(ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون[١١] لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولون الأدبار ثم لا ينصرون[١٢] لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون[١٣] لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون[١٤] كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم[١٥] كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين[١٦] فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين[١٧] .

شرح لبعض الكلمات والجمل :

١ ـ جدر : جمع جدار : والراجح أن الكلمة هنا بمعنى السور أو الحواجز

الحجرية التي تكون حول الدور .
٢ ـ بأسهم بينهم شديد : عداواتهم فيما بينهم شديدة .
٣ ـ تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى : تظنهم بما يكون من ظواهرهم أنهم متحدون مع أن قلوبهم متخالفة متفرقة .

شرح لمدى الآيات وتعليق عليها :

١ ـ في الآيات وصف لمشهد من مشاهد وقعة بني النضير وإجلائهم وموقف حلفائهم المنافقين في ذلك وحالة اليهود النفسية والاجتماعية .
٢ ـ ولقد حاول حلفاؤهم المنافقون تشديد عزيمتهم ووعدوهم بعدم طاعة أحد فيهم . وبالقتال إذا قوتلوا وبالخروج معهم إذا خرجوا فكذبتهم الآيات فيما قالوه ووعدوا به . وقررت أنهم حتى لو قاتلوا معهم لولوا الأدبار ولما انتصروا وأنهم كالشيطان الذي يزين للانسان الكفر ثم يتخلى عنه بعد أن يكفر يقول له إني برىء منك . وتكون عاقبة الفريقين النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين .

٣ ـ ولقد استولى الرعب على اليهود حينما حوصروا حتى صاروا يخافون المسلمين أكثر من خوفهم من الله . ولا يجرأون على مواجهتهم في الحرب . وقصارى أمرهم أن يقاتلوا وهم يتحصنون في قراهم المحصنة أو من وراء أسوارها وجدرها .
٤ ـ وأن عداوتهم لبعضهم شديدة وقلوبهم متفرقة وإن بدا في الظاهر أنهم متفقون . وأنهم في حالتهم هذه كحالة جماعة من قبلهم لم يلبثوا حين حوصروا . أن خارت عزائمهم وذاقوا شر ما صنعوا .

٥ ـ والآيات تعقيب على ما كان في ظروف حادث بني النضير وموقف اليهود والمنافقين التي أوردنا خلاصة ما ذكرته الروايات عنها قبل . ويتبادر لنا والله أعلم أن آيات السورة من مطلعها إلى آخر هذه الآيات قد نزلت بعد انتهاء الحادث تعقيبا عليه من جهة ، وتوضيحا لحالة اليهود والمنافقين من جهة ، وتشريعا لما اقتضت حكمة التنزيل تشريعه من جهة ، وتبريرا وتعليلا لكل ذلك من جهة في آن واحد .
ويتبادر لنا أن بعض الأفعال التي جاءت في صيغة المضارع أو المستقبل هي أسلوبية ولا تعني أن تكون الآيات قد نزلت قبل انتهاء الحادث والله أعلم .
٦ ـ ولقد قلنا قبل ، أن حلفاء بني النضير هم من الخزرج ، ومن قوم عبدالله أمير المنافقين . ولقد كان الجمهور الأكبر من الخزرج مخلصين مؤيدين للنبي صلى الله عليه وسلم في موقفه من اليهود ، فكان في ذلك خذل وخزى للمنافق الكبير ومن تابعه من عشيرته في نفاقه وموقفه ، وصاروا كما حكت الآيات أعجز واجبن من أن يفوا بوعدهم لليهود . وعاد تحريضهم وتثبيطهم على هؤلاء بخسارة أشد مما كان ينالهم لو لم يفعلوا .

٧ ـ ولقد قال بعض المفسرين أن الآية (١٤) في صدد اليهود والمنافقين معا . وقال بعضهم أنها في صدد اليهود . وهذا هو الأوجه فيما نرى . ولذلك صرفناها إلى اليهود فقط ، فاليهود فقط هم الذين كانوا يقيمون في قرى محصنة في ضاحية منعزلة عن مساكن العرب .

٨ ـ وفي سورة البقرة آيات تفيد أن اليهود كانوا ـ فيما بينهم ـ مختلفين متنازعين وهي الآيات ٨٤ و ٨٥ هذه :

(وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون . ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان) .

والآية (٨٤) مؤيدة لذلك فيما يتبادر لنا . ولقد كان بين الأوس والخزرج خلاف ونزاع قبل الاسلام فتحالف فريق من اليهود مع هؤلاء وفريق من اليهود مع أولئك نتيجة لما كان من خلاف ونزاع فيما بينهم . ولقد أجلى النبي بني قينقاع فلم يتحرك بنو النضير وبنو قريظة لنصرتهم . وأجلى بني النضير فلم يتحرك بنو قريظة لنصرتهم مما فيه تأييد آخر من الوقائع .

ولعل المصالح والمنافع الشخصية كانت تلعب دورها فيما بينهم .

٩ ـ وحادث إجلاء بني قينقاع المذكور الذي رجحنا ان الآية (١٤) قد عنته هو أول حوادث إجلاء اليهود عن المدينة . وقد وقع بعد قليل من وقعة بدر . وكان لبني قينقاع سوق يشتغلون فيه بالصياغة والحدادة . وكانوا حلفاء للخزرجيين بزعامة زعيم المنافقين عبدالله . وصار يصدر منهم بعض مواقف منحرفة عن العهد الذي أخذه النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود حينما استقر في المدينة . حيث أمنهم على حرياتهم الدينية والمدنية وأبقاهم على محالفاتهم مع الأوس والخزرج على شرط أن لا يغدروا ولا يتجسسوا ولا يخونوا المسلمين ويقوموا بما يوجبه عليهم الحلف من واجبات . فأنذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويروي الرواة ان آيات سورة آل عمران هذه : **(قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد . قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار)** ١٢ و١٣ نزلت فيهم كما رووا أن آيات سورة الانفال هذه : **(إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون . الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون . فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون . وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين)** ٥٥ ـ ٥٨ نزلت فيهم أيضا .

ولقد روى أن بني قينقاع أجابوا النبي لما أنذرهم بغطرسة وقالوا له لا يغرنك ما لقيت من نجاح في بدر فقد لقيت قوما لا عهد لهم في الحرب . ولو قابلتنا لعرفت أننا نحن الناس . ولقد جاءت امرأة اعرابية إلى صائغ ليصنع لها حلية فأخذ بعض فساقهم يضايقونها ويريدونها أن تكشف مفاتنها فأبت فكشفوا عورتها بحيلة

دنيئة فصرخت « واقوماه » فجاء عربي فقتل اليهودي الذي كشف عورتها فشد اليهود عليه فقتلوه وكبر الشر . فكان هذا هو الحادث الذي جعل النبي يزحف عليهم مع جماعة من أصحابه وينذرهم بالجلاء العاجل قائلا : إنني أخاف من خيانتهم . وتدخل حليفهم زعيم المنافقين وطلب من النبي الرفق بهم ، فسايره وسمح لهم بأن يخرجوا مع أموالهم وسلاحهم .

١٠ - ولقد روى المفسرون روايات في معنى واحد وصيغ متعددة عن ابن عباس في صدد جملة : (**كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك**) في الآية ١٦ إنها تمثيل لشخص كان ناسكا أعيا الشيطان إضلاله فاحتال عليه حتى كسب ثقته . وعلمه اسم الله الأعظم فصار يشفي المجانين المصروعين والمرضى ، ثم خالط الشيطان فتاة جميلة حتى جنت ، فجاءوا بها إلى هذا الناسك فأعجبته ، وحينئذ استطاع الشيطان أن ينفذ إليه ويزين له مضاجعتها ثم قتلها لاخفاء جريمته ، وجاء أهلها لتفقدها فشعر الناسك بالورطة التي تورط بها ، فظهر له الشيطان وقال له إن سجدت لي أنقذك من الورطة فسجد له وحينئذ قال له إني بريء منك إني أخاف الله . وقد تكون هذه القصص مما كان يتداوله الناس في عهد النبي صلى الله عليه وسلم . وعلى كل حال فالآية جاءت في معرض التمثيل والتنديد والافحام) .

والآيات وإن تكن في معرض مشهد من مشاهد السيرة النبوية فان فيها تلقينات تصل مستمد إلهام وقوة للمخلصين من المسلمين تجاه أعدائهم وتجاه المخامرين منهم مع الأعداء ، إذا هم كانوا أشداء أقوياء القلوب والعزائم والايمان . لأن الأعداء والمخامرين في هذه الحالة لن يلبثوا أن يخزيهم الله وينخذلوا إزاء مثل هذا الموقف وتظل كذلك مستمد إلهام في تفتيح مواقف المخامرين والمنافقين والمتضامنين بأي أسلوب مع الأعداء وفي عدم قبول أي عذر لهم قد يعتذرون به باسم الصداقة أو المصلحة أو المحالفة أو الواقع . وإن المصلحة العامة العليا هي التي يجب أن يكون لها الاعتبار الأول .

(يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون(١٨) ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون(١٩) لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون(٢٠) .

مدى الآيات وتعليق عليها :

لم يرو المفسرون مناسبة لنزولها . والمتبادر أنها جاءت معقبة على الآيات السابقة ، التي ندد فيها بالمنافقين ومواقفهم وباليهود الكافرين ، لتوصي المؤمنين المخلصين بتقوى الله ومراقبته والتفكير فيما يقدمونه لغدهم من أعمال يجزون

عليها خيرا كانت أم شرا . ولتحذرهم من أن يكونوا مثل الذين أهملوا تقوى الله وواجباتهم نحوه وتمردوا على أوامره وانحرفوا عن جادة الحق ، فأهملهم نتيجة لذلك ولم يوفقهم إلى ما ينجي أنفسهم ، فوقعوا في شر أعمالهم وفيها تشجيع وتنويه وتطمين للمخلصين ، وتنديد وإنذار للمنافقين والكفار من أهل الكتاب موضوع الآيات السابقة .

ولقد روى ابن كثير في سياق تفسير الآية الأولى حديثا أخرجه مسلم والامام أحمد جاء فيه : « إنه جاء إلى رسول الله قوم من مضر حفاة عراة شديدي العياء فتغير وجهه لما رأى ما بهم من الفاقة فأمر بلالا فاذن وأقام الصلاة فصلى بالناس ثم خطبهم ، فقرأ آية النساء (**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا**) ثم قرأ الآية الأولى من الآيتين ثم وقف عند جملة (**ولتنظر نفس ما قدمت لغد**) وقال هو أن يتصدق الرجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره حتى قال ولو بشق تمرة . فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها ثم تتابع الناس حتى تكوم كومان من طعام وثياب فتهلل وجه رسول الله » .

حيث ينطوي في هذا الحديث الرائع كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستخرج العبرة والموعظة من الآيات ويوجه الناس بهما نحو الخير والبر والتشجيع عليهما بمثل هذه القوة ؟ وكيف كان أصحاب رسول الله يسارعون في الاستجابة إبتغاء رضوان الله ورسوله رضي الله عنهم ؟

قال تعالى :

(لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون[٢١] هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم[٢٢] هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون[٢٣] هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم[٢٤] .

معنى بعض المفردات :

١ ـ القدوس : المبالغ في التنزه والطهارة ٢ ـ السلام : المرجو للامن والسلام .
٣ ـ المؤمن : واهب الأمن والطمأنينة . وقرنت (المؤمن) بمعنى المعتمد الذي يركن إليه ويؤمن إليه .
٤ ـ المهيمن : المراقب المسيطر على عباده .
٥ ـ الخالق : قيل أن الكلمة بمعنى المقدر لما يوجده على ما اقتضته حكمته .
٦ ـ البارىء : قيل أن معناها الموجد لما يخلقه من العدم أو المنشىء له أو المميز

لأنواعه .

مدى الآيات وتعليق عليها :

ولم يرو المفسرون رواية النزول لهذه الآيات أيضا . والمتبادر أنها استمرار للتعقيب على الآيات السابقة وبقصد تقرب كون ما في القرآن من الآيات والمعاني والحكمة والموعظة والقوة الروحانية والهداية لو نزل على جبل لخشي الله وتصدع من خشيته . وكون الذي أنزله هو الله ذو الأسماء الحسنى الذي يسبح له ما في السموات والأرض ، ويعنو كل شيء فيها لعظمته وقدرته المقدس المتنزه عن كل شائنة ، الذي لا يعزب عن علمه وأحاطته بشيء ظاهر وخفي وحاضر وغائب ، العظيم في رحمته واهب الأمن والسلام ، القوي الذي أوجد كل شيء من العدم وميز أنواعه ، الذي يفعل إلا ما فيه الحكمة ، المتعالي عن كل شريك وند . وكون ذلك كله يستوجب تأثر الناس بالقرآن وخشيتهم وخضوعهم جميعا لله اعترافا وعبادة وطاعة . وكون ذلك مما بينه الله تعالى إلى الناس لعلهم يتنبهون ويتفكرون فيما يجب عليهم نحوه ويؤدونه له . وأسلوب الآيات نافذ من شأنه أن يثير في النفس الطيبة الشعور بهيبة الله وعظمته وقوة القرآن وروحانيته . وقد انطوى فيها معنى التأنيب والتنديد للذين لا يتأثرون بالقرآن ولا يخلصون لله وهم الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، الذين حذرت الآيات السابقة المؤمنين من أن يكونوا مثلهم . وقد احتوت مجموعة رائعة من أسماء الله الحسنى لم تجتمع في مجموعة قرآنية أخرى مع التنبيه على أنها وردت متفرقة في آيات متعددة .

ولقد أورد ابن كثير في سياق تفسير الآيات حديثا اخرجه الامام أحمد عن معقل ابن يسار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قال حين يصبح ثلاث مرات : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قرأ الآيات الثلاث من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي وإن مات في ذلك اليوم ، مات شهيدا . ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة » .

وفي الحديث تنويه قوي بفضل الآيات وقوة روحانيتها . ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب بحديثه أصحابه المؤمنين المخلصين الصالحي الأعمال ، حيث يسوغ هذا أن يقال إن الشخص الذي يعمل به ويريد أن يحصل على المنزلة المذكورة فيه لابد من أن يكون متحفظا بالايمان والاخلاص وصالح العمل في الوقت نفسه ..

ولقد أورد المفسر نفسه في سياقها أيضا حديثا عن أبي هريرة عن رسول الله جاء فيه : « إن لله تسعة وتسعين اسما ، مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة » وفي رواية « وهو وتر يحب الوتر » متفق عليه وهي : « الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم . الملك القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارىء ، المصور ، الغفار ، القهار ، الوهاب ،

الرزاق ، الفتاح ، العليم ، القابض ، الباسط ، الخافض ، الرافع ، المعز ، المذل ، السميع ، البصير ، الحكم ، العدل ، اللطيف ، الخبير ، الحليم ، العظيم ، الغفور ، الشكور ، العلي ، الكبير ، الحفيظ ، المقيت ، الحسيب ، الجليل ، الكريم ، الرقيب ، المجيب ، الواسع ، الحكيم ، الودود ، المجيد ، الباعث ، الشهيد ، الحق ، الوكيل ، القوي ، المتين ، الولي ، الحميد ، المحصي ، المبدىء ، المعيد ، المحيي ، المميت ، الحي ، القيوم ، الواجد ، الماجد ، الواحد ، الصمد ، القادر ، المقتدر ، المقدم ، المؤخر ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الوالي ، المتعالي ، البر ، التواب ، المنتقم ، العفو ، الرؤوف ، مالك الملك ، ذو الجلال والاكرام ، المقسط ، الجامع ، الغني ، المغني ، المانع ، الضار ، النافع ، النور ، الهادي ، البديع ، الباقي ، الوارث ، الرشيد ، الصبور » .

ومما ذكره ابن كثير في صدد هذا الحديث أنه أخرج في الصحيحين من حديث سفيان بن عينه عن أبي الزناد الأعرج عنه وأن البخاري رواه عن أبي اليمان عن شعيب عن أبي حمزة عن أبي الزناد . وأن الترمذي أخرجه في جامعه عن الجوزماني عن صفوان عن صالح عن الوليد بن مسلم عن شعيب وقال عنه أنه حديث غريب .

وقد روى من غير وجه عن أبي هريرة ورد في كثير من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث . ورواه ابن حبان في صحيحه عن طريق صفوان . ورواه ابن ماجة في سننه عن طريق آخر عن موسى عن عقبة عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعا فسرد الأسماء كنحو ما تقدم بزيادة ونقصان . ثم قال ابن كثير بعد هذا إن الذي عول عليه جماعة من الحفاظ إن سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج فيه وإنما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم وعبدالملك بن محمد الصفاي عن زهير بن محمد أنه بلغه من غير واحد من أهل العلم أنهم قالوا ذلك . أي أنهم جمعوها من القرآن كما روى عن جعفر بن محمد وسفيان بن عيينه وأبو زيد اللغوي والله أعلم .

ثم قال : « ليعلم أن الأسماء الحسنى غير منحصرة في تسعة وتسعين بدليل ما رواه الامام أحمد في سننه عن يزيد بن هارون عن فضيل بن مرزوق عن أبي سلمة الحلبي عن القاسم بن عبدالرحمن عن أبيه عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله انه قال : « ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن فقال اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك‌ناصيتي بيدك ماض فيّ حكمك عدل فيّ قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله حزنه وهمه وأبدله مكانه فرحا . فقيل يارسول الله أفلا نتعلمها قال بلى ينبغي لكل من سمعها أن يتعلمها ثم قال وذكر الفقيه الامام أبوبكر ابن العربي أحد أئمة المالكية في كتابه الأحوذي في شرح الترمذي أن بعضهم جمع من الكتاب والسنة من أسماء الله ألف اسم . فالله أعلم .

في سبيل الإصلاح

اتقوا الله

سأتحدث اليك ـ أخي القاريء الكريم ـ في هذه المقالة عن موضوع دقيق وخطير، ذلك هو موضوع «الصدق والكذب» بجميع حالاتهما، ومختلف انواعهما، سيما وقد استفحل شر الكذب في هذا الزمان، وترتبت عليه نتائج سيئة، وعواقب وخيمة، سواء على مستوى الدول والشعوب، أم على مستوى الافراد والجماعات.

ذلك لان كثيرا من الناس يظنون ان الكذب ليس «بالخطورة» او «القبح» اللذين يصورهما فيه الدعاة والمصلحون، بل هو يكاد ان يكون صفة «ملازمة» للتقدم الحضاري والتكنولوجيا الحديثة، والسياسة، وغيرها.

فهذه دور الخيالة «السينما» بأفلامها «الخيالية» والمسارح بمسرحياتها ورواياتها غير الحقيقية، والرائي «التلفزيون» ببرامجه المنوعة ليست كلها مبنية على الصدق ولا تخلو قصصها من الخيال والكذب. كما ان هنالك البرامج «الترفيهية» الضاحكة التي تروح عن الناس، وتجلب لهم الفكاهة والضحك. أليست كل هذه الاجهزة من صلب «الحضارة» و«التقدم» في هذا العصر؟!

فنحن نقول لهذا الصنف من الناس ان الكذب الذي يذكرونه في هذه الوسائل قد أدى وسيؤدي بكثير من اطفالهم وشبابهم الى تعلم «الجريمة» وانواع القتل والارهاب والاختطاف بشكل فني ومنظم.

فكم من أسر تفككت روابطها، وزوجات طلقن، واطفال حرموا من عطف آبائهم، أو شردوا بسبب كذبة اطلقها كاذب، أو وشاية وشى بها واش، او ببهتان افتراه مفتر، قال تعالى: (**وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم**) النور/ ١٥. وقال سبحانه: (**ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة**) الزمر/ ٦٠

ليست هنالك خلّة تضمن الثقة والاطمئنان بين الافراد وتكفل الامن والاستقرار للمجتمعات مثل خلة الصدق. ولاهميته ذكره الله تعالى في آيات كثيرة في محكم كتابه، ونسَبه الى ذاته العلية فقال سبحانه: (**ومن أصدق من الله حديثا**) النساء / ٨٧

وكونوا مع الصادقين

للاستاذ
احمد حسن القضاة

وقال تعالى : (**ومن أصدق من الله قيلا**) النساء / ١٢٢ . كما رغّب فيه المؤمنين وحثّهم عليه ومدح الصادقين في كثير من آي الكتاب الحكيم ، وعلى لسان رسوله الكريم ، فقال سبحانه : (**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**) التوبة / ١١٩ . وقال تعالى : (**وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم**) يونس / ٢ . وقال تعالى : (**والصادقين والصادقات**) الاحزاب / ٣٥

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان الصدق يهدي الى البر ، وان البر يهدي الى الجنة ، وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، وان الكذب يهدي الى الفجور ، وان الفجور يهدي الى النار ، وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا »

وعن أبي محمد الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما قال : حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دع ما يريبك الى ما لا يريبك ، فان الصدق طمأنينة والكذب ريبة » رواه الترمذي .

كما ذكر الله تعالى الكذب في آيات كثيرة ، منفّراً منه ، ومحذرا من السير في طريقه ، ومتوعدا الكذابين بما أعد لهم من الويل والعذاب الأليم . فقال عز وجل : (**ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون**) البقرة / ١٠ . وقال تعالى : (**ويل يومئذ للمكذبين**) المرسلات / ١٥ .

وقد اعتبر الصدق اساسا من أسس الفضائل التي تُبنى عليها المجتمعات ، وجعل عنوانا لرقي الدول ، ومقياسا لتقدم الأمم والشعوب .

ولا غرو ان الصدق فضيلة من أجلّ الفضائل التي تتوجب على كل انسان في أي مجتمع .. فيه فوز العامل في عمله ، ونجاح الصانع في صنعته ، وربح التاجر في تجارته ، وهو توكيد

ثقة الناس بعضهم ببعض ، وغرس المحبة في قلوبهم ، وتوثيق عرى المودة والتضامن بينهم .

وما فقدت خلة الصدق إلاّ وحل محلها عدم الثقة ، وفقدان التعاون ، ولولاه لماتت الحقائق ، وطمست الحقوق وضاعت ، وفقد الأمان ، وعاش الناس في أجواء مليئة بالقلق والاضطراب ، مفعمة بالوساوس والمخاوف والأوهام ، فيفسد نظام حياتهم ، وتنقطع روابطهم ، وينهار بنيان ثقتهم .

والصدق من ضرورات الحياة الاجتماعية لانه صفة جامعة لكل خصال الخير : فهو مِلاك الشرف ، وعنوان الدين ، ودليل المروءة ، ومظهر الشجاعة ، ومرآة الاستقامة . ولا توجد في الصفات الفاضلة التي امتنّ الله تعالى بها على عباده صفة أجدىٰ بالاصلاح والنظام من الصدق ، ولا أفسد لها من الكذب . لأن الكذب قلب للحقيقة ، ووضع للزيف موضع الحق . وقد كتب الله تعالى على الكاذبين الضلالة ، فقال سبحانه : **(إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب)** غافر/٢٨

وقال تعالى : **(إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار)** الزمر/ ٣

ويكفي الصادق شرفاً وسعادة تعظيم الناس له واحترامهم إياه ، وإذا اعتاد الانسان صفة الصدق وجعله وصفاً ملازما له فقد بريء من النفاق والغش والمداهنة والغدر والرياء وخلف الوعد ، لان هذه الرذائل جماعُها الكذب . وأكثر الناس ارباب حرف وصناعات ، وصاحب الحرفة يحتاج في معاملاته وعمله الى ثقة الناس به ، والصدق يبني هذه الثقة فيحبه زبائنه ، ويُقبل على حرفته كثير من الناس . أما الكذب فيهدم ثقة الناس ويزعزعها ، فيبغضه الزبائن ولا يتعاملون معه .

ومجالات الصدق كثيرة ، وأهم أنواعه : التصديق بما جاء به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن الكريم ورسالة الاسلام . قال تعالى : **(فمن أظلم ممن كذب على الله وكذّب بالصدق إذ جاءه)** الزمر/٣٢ . وقال تعالى : **(والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون)** الزمر/٣٣

ومنه : الصدق في المعاملات كالبيع والشراء وغيره . قال تعالى : **(ليجزي الله الصادقين بصدقهم)** الاحزاب/ ٢٤

ومنه : الوفاء بالوعد ، قال تعالى : **(واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا)** مريم/ ٥٤

ومنه : الأمانة : قال تعالى : **(والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون)** المؤمنون/ ٨

كما ان ابواب الكذب كثيرة . وأهم أنواعه : الكفر بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ـ نعوذ بالله من ذلك ـ حيث قال تعالى : **(ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه)** العنكبوت/ ٦٨

ومنه : الخيانة ، وهي شر أنواع الكذب . قال تعالى : **(إن الله لا يحب**

من كان خوّاناً أثيماً) النساء/١٠٧

ومنه : خلف الوعد . قال صلى الله عليه وسلم : « آية المنافق ثلاث : إذا حدّث كذب ، واذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان » رواه البخاري ومسلم .

ومنه : شهادة الزور . قال تعالى : **(فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور)** الحج/٣٠

ومنه : البهتان ، وهو الانتقام من إنسان في شرفه وعمله إذا تعذر الانتقام منه في ذاته . قال تعالى : **(والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا)** الاحزاب/٥٨

ومنه : النميمة . قال تعالى : **(ولا تطع كل حلاف مهين . همّاز مشّاء بنميم)** القلم/١٠و١١

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا زعيم بيت في ربَض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقّاً ، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وان كان مازحا ، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه » رواه أبو داود .

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول إلّا حقاً . ورُب كلمة كاذبة يلقيها الرجل مازحاً يكون من ورائها شر عظيم . ولقد سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المؤمن أيكون بخيلا أو جبانا ؟ فقال : نعم . أما حين سئل عليه الصلاة والسلام : أيكون المؤمن كذابا ؟ قال صلى الله عليه وسلم جازماً : لا .

وقال الامام علي رضي الله عنه : « قد يبلغ الصادق بصدقه ما لا يبلغه الكذاب باحتياله »

لكنّ هنالك حالات « **استثنائية خاصة** » قد يكون فيها الكذب ضروريا ، كحالة : إذا وقع المسلم أسيرا بيد الأعداء وطُلب إليه أن يدل على عدد جيش المسلمين ، أو على مواقعه ، أو أماكن مستودعات ذخيرته وأسلحته ، أو نوع تسليحه ، فعليه أن يخدع الأعداء ، ويكذب عليهم ، ويعطيهم أرقاماً ومعلومات كاذبة ، فذلك من ضرورات الحرب مع الأعداء .

وحالة : الاصلاح بين المتخاصمين . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً » رواه البخاري .

وحالة : الكذب على الزوجة ـ أحيانا ـ لكسب ودّها .

فيا أيها المسلم :

لا تقل ما لا تعلم ، ولا تنطق بأكثر مما تعرف ، ولا تكذب ، ولا تمزح إلّا صدقاً ، ولا تسكت على كاذب وأنت متيقن أنه كاذب .

واضْبط لسانك ، وعوّده قول الحق والصدق ، فان اللسان وراء كل مشكلة من مشاكل الحياة ، للفرد والمجتمع ، وهو السبب فيما يعانيه معظم الناس من متاعب وآلام .

قال صلى الله عليه وسلم في نهاية حديث طويل : « ... وهل يكبّ الناس في النار على وجوههم « أو قال على مناخرهم » إلا حصائد ألسنتهم » رواه الترمذي .



السمات العامة للفقه الاسلامي

للدكتور / احمد الحجي الكردي

للفقه الاسلامي سمات عامة تجعله فقها صالحا لحل مشاكل الحياة ، وتنظيم العلاقات الناشئة بين البشر ، على اختلاف السنتهم ، وألوانهم ، وبيئاتهم ، وعصورهم ، تنظيما يوفر العدالة بينهم ، ويؤمن لهم مصالحهم جميعا ، على احسن وجه ممكن ، مما يجعل الحياة الانسانية التي يعيشونها روضة فينانة ، يرتعون في احضانها ، ويمرحون في جنباتها ، ويجتنون ثمارها ، ويتمتعون

برياحينها ، ما داموا مطبقين له ، منفذين لأحكامه ، محتكمين اليه ، ولم لا ؟ فانه شرع الله تعالى الخالق للحياة ، العالم بأسرار الكون ، المحب للعالمين ما داموا ربانيين صالحين ، انه شرع الله تعالى الذي يعلم السر وأخفى ، الذي يعلم ما كان وما سيكون ، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، وهو اللطيف الخبير . وأنى لشرع وضعي أن يدانيه ، وهو من وضع بشر ، لم يؤتوا من العلم الا قليلا ، يجهلون ما سيكون ، وينسون كثيرا مما كان ، ويتأثرون بعواطفهم مهما تساموا فوقها ، ويندفعون بميولهم مهما حاولوا الترفع فيها ، ولقد اثبتت التجارب ذلك ، فانه ما من قانون يظهر الا وتجد الحاجة ماسة بعد فترة قصيرة جدا الى تعديله ، وربما الى الغائه ، هذا الى جانب ما قد يجره هذا القانون على الكثيرين من الناس من اضرار ، ربما كانت تساوي المصالح التي حققها لهم او تزيد عليها في بعض الاحيان ، ومن ذلك على سبيل المثال النظم والقوانين الشيوعية التي اصدرتها السلطات الشيوعية في روسيا عقب الثورة الشيوعية في عام ١٩١٧/م ، فانها ما كانت تصدر قانونا الا وتعقبه بتعديلات كثيرة ، وربما الغاء كامل ، حتى غدت هذه القوانين كلها اليوم ملغاة تقريبا ، بل ان هنالك حملة واسعة للتشهير بالكثير منها من مصدريها انفسهم .

كما اثبتت التجارب ايضا قبل ذلك ما وصل اليه المسلمون من حضارة رائعة ورفاه شامل ، كانا مضرب الأمثال في العالم كله ، وذلك عندما كانوا يحتكمون الى الشريعة الاسلامية وحدها ، مما جعل رقعة كبيرة من العالم في ذلك الوقت تفتح صدرها لامتداد دولتهم ، والانضواء تحت حكمهم وإمرتهم ، توخيا للعدالة التي ينعمون بها ، والحضارة التي يعيشون في كنفها ، وذلك دونما حرب او قتال ، وان كانت الحرب تفرض نفسها احيانا عليهم ، فما ذلك الا لازالة تلك الرءوس العفنة ، المستهترة التي كانت تحكم الشعوب المستضعفة رغما عنها ، لتستغل عرقهم وتسخرهم في مصالحها ، والا فمن يستطيع ان يفسر امتداد الدولة الاسلامية الصغيرة الضعيفة الفقيرة الى الصين والهند شرقا ، والى فرنسا غربا ، في اقل من مئة عام ، لولا معرفة السر الذي مكنها من ذلك ، وهو انفتاح القلوب لها ، وتعلق الشعوب بها ، ودينونتهم بمبادئها ، ومثلها وشرعها .

ثم ان هذه الدولة الطويلة العريضة انحسرت عن بعض المناطق التي كانت تحكمها ، والشعوب التي كانت تنضوي تحت لوائها ، لظروف كثيرة لا يتسع المجال هنا للبحث فيها ، الا انها بكل تأكيد ليست عدم صلاحية تشريعها ، ومع ذلك فان الاسلام لا زال قابعا في تلك البقاع ، وساكنا في صدور تلك الشعوب ، على

الرغم من المعوقات الكثيرة ، والضغوط الشديدة ، والحروب المعلنة وغير المعلنة ، في الميادين العسكرية ، والثقافية ، وغيرها ، ضده .

فهذه الهند يزيد المسلمون فيها على خمسين مليونا ، وهذه يوغوسلافيا ، وبلغاريا ، واسبانيا ، وقفقاسيا ، وبخارى ، وسمرقند ، وغيرها من الدول والشعوب ، فالمسلمون فيها كثيرون ، وهم محبون لإسلامهم ، ملتزمون ومتعلقون به . فما الذي جعل هذه الشعوب ـ بعد انحسار الدولة الاسلامية عن سمائها ـ تبقى وفية لإسلامها ، محبة له متمسكة به ، رغم كل الضغوط والحروب التي شنت ضدها ، لولا ايمانها بعدالة هذا الاسلام ، وانه الدين الحق ، والشرع الحكيم ، والصراط المستقيم .

وان السمات العامة التي تتصف بها الشريعة الاسلامية تميزها عن سائر الشرائع الأخرى وتحلها محل الصدارة منها جميعا ، وذلك راجع في جملته الى امرين عامين اثنين اشتملت الشريعة الاسلامية عليهما ، وهما :

أ ـ انها شريعة سماوية ، ووحي من الله تعالى ، الذي يعلم السر وأخفى ، ويعلم الغيب كله ، وهذا ما يميزها عن وضع البشر الذين ان رقت بهم ملكاتهم ، وتجردت بهم شهواتهم ، وسمت بهم ميولهم ، فهم لا يعلمون الا اليوم الذي هم فيه ، وربما ذكروا اليوم الذي فات او بعضه ، ولكنهم عن علم ما في غد عمون بكل تأكيد ، والذين قال الله تعالى فيهم : (**وما أوتيتم من العلم إلا قليلا**) الاسراء/٨٥

ب ـ انها خاتمة شرائع السماء ، وآخر وحي الله تعالى الى عباده ، وهذا ما يميزها عن سائر شرائع الله تعالى الأخرى بالاكتمال والشمول .. وما اليه مما سوف يأتي ، وذلك مصداقا لقوله تعالى : (**اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا**) المائدة/٣

هذا وان البحث في السمات العامة للشريعة الاسلامية بحث شائك ومعقد ، وصعب وطويل ، ذلك ان السمات العامة لأي تشريع هي الخطوط العريضة التي يسير فيها ، والصفات العامة التي يتحلى بها ، ولا يمكن لأي باحث ان يصل الى ذلك الا اذا استقرأ الفروع كلها ، والأحكام الجزئية جميعا ، وان كل من عرف التشريع الاسلامي ، ودرسه ، واطلع على بعض فروعه ، وتخصص فيه ، علم سعته وشموله ، وأدرك صعوبة استقرائه ، وتفحصه ، وتحليله ، وقد قال بعض السلف : « عجبت لفقيه تفقه في الحنفية في اربعين سنة » ، والحنفية هي احد مذاهب هذه الشريعة ، فانىَّ لمثلي ان يدعي الاحاطة بهذا التشريع ـ بعد ذلك ـ ولم يؤت من العلم الا قليلا ، فان كان لا بد من بذل الجهد ، فانني سوف اقدم دراسات تلقي الضوء على بعض من سمات هذه الشريعة الغراء ، مدعمة بالأمثلة والشواهد ، من غير دعوى استقصاء أو شمول لكل السمات العامة للتشريع الاسلامي .

ومن هذه السمات العامة : ١ ـ العموم والخلود :

فالشريعة الاسلامية شريعة عامة لجميع البشر ، على اختلاف اشكالهم ،

وأجناسهم ، وألوانهم ، ولغاتهم ، وعاداتهم ، وأعرافهم ، وليست خاصة بقوم دون قوم ، او شعب دون شعب ، او امة دون امة ، وذلك مصداقا لقوله تعالى بصيغة الحصر : (**وما ارسلناك إلا رحمة للعالمين**) الانبياء/١٠٧ وقوله تعالى : (**وما ارسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا**) سبأ/٢٨ ، كما انها شاملة لكل العصور من يوم بعث الله بها محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى يوم يرث الله الأرض ومن عليها ، خالدة ما دامت هذه الأرض ، لا تقبل النسخ ، ولا الإلغاء ، ولا التغيير ، ولا التعديل ، ولا الايقاف الى أمد معين ، ولا التعطيل لظرف من الظروف ، وان كل محاولة من هذه المحاولات ما هي الا خروج عن كنهها ، وعدول عنها ، وكفر بها ، وقد جاءت بذلك الآيات الكريمة الكثيرة ، من ذلك قوله تعالى : (**لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم**) يونس/ ٦٤ ، وقوله تعالى : (**ولا مبدل لكلمات الله**) الانعام/ ٣٤ ، وقوله سبحانه : (**لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم**) الانعام/ ١١٥ وقوله تعالى : (**وأتل ما اوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا**) الكهف/٢٧ وقوله جل من قائل : (**ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون**) المائدة/ ٤٤ وقوله تعالى : (**والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب**) الرعد/ ٤١

وان هذه الصفة لتميز الشريعة الاسلامية عن جميع الشرائع الأخرى ، السماوية منها والوضعية .

فان شرائع السماء السابقة على الاسلام كلها شرائع موقوتة بزمن معين ، وبأقوام معينين ، لا تغادرهم ، ولا تفرض على سواهم .

فاليهودية والمسيحية مثلا كانتا في بني اسرائيل ، ولا الزام فيهما على غيرهم حين نزولهما ، كما انهما لا الزام فيهما على احد بعد وفاة سيدنا موسى ، ورفع سيدنا عيسى الى السماء عليهما السلام ، وذلك ما اعرب عنه النبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حديثه الشريف حيث قال : « **وكان النبي يبعث الى قومه خاصة ، وبعثت الى كل احمر وأسود** » ، وفي رواية « **وكان النبي يبعث الى قومه خاصة ، وبعثت الى الناس عامة** » اخرجه البخاري ومسلم وغيرهما .

كما ان الشرائع الوضعية جميعا هي شرائع محلية ، ولا الزام فيها على غير الأمة التي ارتضتها لنفسها ، وقبلت بالانصياع لها ، كما انها موقوتة بالمصالح التي وضعت وفقا لها ، تدوم بدوامها وتعدل وتلغى وفقا لتغيرها وزوالها .

ثم ان ميزة الخلود هذه ميزة كبرى للشريعة الاسلامية ، وذات اثر بالغ في استقرار المعاملات بين الناس ، وارساء معالم الطمأنينة فيهم على مستقبل علاقاتهم المالية والاجتماعية ... ذلك انهم واثقون مسبقا وعالمون علما يقينا بالاحكام التي سوف تحكم بها علاقاتهم بعضهم مع بعض ، وان هذه الاحكام ثابتة لا تقبل التغير في اي حال من الاحوال ، ما دام ظل الدولة الاسلامية هو المرفرف فوق رؤوسهم .

وهذه الميزة مما تفتقده كل التشريعات الوضعية ، لتعرضها للتغير والتبدل على يد واضعها ، وربما على يد غيره اذا ما تغيرت ظروف معينة ، وهو ما يسبب ارباكا في المعاملات ، وشللا لحركتها بين الناس ، وهذا امر لا يحتاج الى مزيد ايضاح وتفصيل ، وبخاصة في عصرنا الحاضر الذي كثرت فيه اكثر من غيره التبدلات السريعة ، والتغيرات الفاجئة ، حتى القيم والمبادىء التي كنا نظن انها غير قابلة للتغيير اصلا لاتفاق سائر الناس عليها اصبحت اليوم عرضة للتغيير بل للنسخ كليا

وأخيرا فان تحقيق هذه الميزة الكبرى للشريعة الاسلامية اقتضى تضمنها ميزات اخرى ، وسمات عامة متعددة ، كالمرونة في الأحكام ، والموضوعية ، والعناية بالكليات دون الجزئيات ، وما الى ذلك مما سوف نشير اليه .

٢) **الشمول** :

إن الشريعة الاسلامية شاملة لكل مناحي الحياة ، ومنظمة لكل العلاقات الناشئة بين البشر بعضهم مع بعض ، افرادا وجماعات ، وفوق ذلك فهي منظمة لعلاقات الانسان بخالقه سبحانه ، من ناحيتيها الفكرية والعملية .

ذلك ان الشريعة الاسلامية شاملة لقضايا العقيدة والعبادة ، ومنظمة لها على اسس عقلية وعملية قويمة ، وهي محتوية على كافة التنظيمات والأحكام المدبرة لأمور المعاملات ، والأحوال الشخصية ، والجنايات ، وأحكام السلم والحرب .. وما الى ذلك .

وفوق ذلك كله فهي تحتوي على تنظيم كامل للأخلاق والقيم ، والمثل العليا ، واسس التعاون والاجتماع بين الأفراد ، وبين الشعوب والأمم ، كما تحتوي على قواعد حكيمة لتربية الذوق والوجدان ، وتهذيب الضمير وارهاف الحس ، وتنمية روح مراقبة النفس والتصرفات ، والمثال على ذلك قول الله تبارك وتعالى : (**ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم**) المجادلة/٧

وقد عير اعرابي مرة أحد الصحابة ـ رضوان الله عليه ـ فقال له : أحقا ما سمعناه من ان نبيكم يعلمكم طريقة الدخول الى الخلاء ، وطريقة الخروج منه ؟ فأجاب الصحابي ـ رضي الله تعالى عنه ـ بقوله : نعم ، انه يعلمنا كل شيء حتى هذا (اخرجه بمعناه مسلم والترمذي عن سلمان الفارسي) ، وصدق الله تعالى حيث يقول في آخر ما انزل على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من القرآن الكريم : (**اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا**) .

وهذه الميزة الكبرى هي مما تمتاز به الشريعة الاسلامية على كل شرائع الأرض الأخرى السماوية منها والوضعية .

ذلك ان الشرائع السماوية السابقة على الاسلام هي شرائع ضيقة ومحدودة ، لانها أنزلت تلبية لحاجات موقوتة ، ولأقوام معينين محدودين ، على خلاف الشريعة الاسلامية العامة الخالدة ـ كما تقدم ـ .

وكذلك الشرائع الوضعية ، فانها جميعا خلو من القواعد الناظمة للاخلاق ، والمربية للذوق والحس والوجدان ، بل انها تقوم اصلا على اسس استبعاد ذلك من نطاقها . كما ان الشرائع الوضعية تقوم على اساس فصل امور العقيدة والعبادة عن امور الحياة والمعيشة ، على النقيض تماما من الشريعة الاسلامية .

والأمثلة على شمول الشريعة الاسلامية كثيرة ، نذكر منها على سبيل المثال :

أ - في امور العقيدة :

اولا) قول الله تعالى : (**قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا احد**) سورة الاخلاص

ثانيا) وقول الله تعالى : (**هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم**) الحشر/٢٢

ثالثا) وقوله تعالى : (**لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي**) البقرة/٢٥٦

ب - وفي امور العبادة :

اولا) قول الله تعالى : (**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين**) البقرة/٤٣

ثانيا) وقوله تعالى (**يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**)البقرة/١٨٣ .

ثالثا) وقوله سبحانه : (**ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين**) آل عمران/ ٩٧ .

ج - وفي أمور الأخلاق وتربية الذوق :

اولا : قول الله تعالى : (**قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين**) التوبة/ ٢٤ .

ثانيا) وقوله تعالى : (**ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم**)

(ثالثا) وقوله تعالى : (**ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم**) النور/ ٥٨ .

رابعا) وقوله تعالى : (**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما**) الاسراء/ ٢٣ .

د ـ وفي أمور الاحوال الشخصية :

اولا) قول الله تعالى : (**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**) الروم/ ٢١ .
ثانيا) وقوله تعالى : (**والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس الا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فان أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير**) البقرة/ ٢٣٣ .
ثالثا) وقوله تعالى : (**فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى الا تعولوا**) النساء/٣ .
رابعا) وقوله تعالى : (**للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا**) النساء/ ٧ .

هـ ـ وفي المعاملات المالية والتجارية :

اولا) قول الله تعالى : (يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم ما يريد) المائدة/ ١
ثانيا) وقوله تعالى : (**يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما**) النساء/ ٢٩ .
ثالثا) قوله تعالى : (**الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون**) البقرة/ ٢٧٥ .
رابعا) وقوله تعالى : (**يأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل**) البقرة/ ٢٨٢ .

و ـ وفي الأمور الجنائية :

اولا) قوله تعالى : (**ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا**) الاسراء/ ٣٣ .
ثانيا) : قوله تعالى : (**الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين**) النور/ ٢ .
ثالثا) وقوله سبحانه : (**والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم**) المائدة/ ٣٨ .
رابعا) وقوله تعالى : (**والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون**) النور/ ٤ .

ز ـ وفي أمور حماية الأمن العام ، والأخلاق والمثل العامة :

اولا) : قول الله تعالى : (**إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم**) المائدة/ ٣٣ .
ثانيا) وقوله تعالى : (**ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**) آل عمران/ ١٠٤ .
ثالثا) وقوله تعالى : (**ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين**) الأعراف/ ٨٥ .

ح ـ وفي الأمور الدستورية :

أولا) قول الله تعالى : (**فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر**) آل عمران/ ١٥٩ .
ثانيا) وقوله تعالى : (**ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا**) النساء/ ١١٥ .
ثالثا) وقوله تعالى : (**يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا**) النساء/ ٥٩ .
رابعا) وقوله تعالى : (**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم**

لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) النساء/ ٦٥ .

ط ـ وفي العلاقات الدولية :

اولا) قول الله تعالى : **(وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون)** التوبة/ ٦ .
ثانيا) وقوله تعالى : **(يأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين)** البقرة/ ٢٠٨ .
ثالثا) وقوله تعالى : **(وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم)** الأنفال/ ٦١ .
رابعاً) وقوله تعالى : **(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين)** الممتحنة/ ٨ .

٣ ـ اليسر والسهولة :

ومن خصائص التشريع الاسلامي الاتجاه دائما نحو التيسير والتسهيل ورفع الحرج في الاحكام والتكليفات ، فلا تكليف الا بما يطاق ، بل لا تكليف بما فيه حرج ـ مشقة شديدة ـ وان كان في حدود الطاقة في الجملة ، وأصدق مثال على ذلك قول الله تعالى في الصوم : **(وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين)** البقرة/ ١٨٤ وقوله سبحانه : **(وما جعل عليكم في الدين من حرج)** الحج/ ٧٨ وقوله جل من قائل : **(لا يكلف الله نفسا إلا وسعها)** البقرة/ ٢٨٦ .
وقد شمل التيسير في الاسلام كل الأحكام ، وجميع التكليفات ، وسائر الميادين ، ان في نطاق المعاملات ، أو العبادات ، أو الأحوال الشخصية ، أو العقوبات .. والأمثلة على ذلك متعددة وكثيرة ، منها :

أ ـ فاما في العبادات :

اولا) قصر الصلاة الرباعية الى ركعتين للمسافر مسافة السفر ، واباحة الفطر في رمضان له .
ثانيا) اباحة الصلاة قاعدا للمريض العاجز عن القيام فيها .
ثالثا) اباحة التيمم بالتراب لمن لم يجد الماء أصلا ، أوكان الماء بعيدا عنه ، اوكان ممنوعا من استعماله لمرض أو عدو ..
رابعا) طهارة الثوب المتنجس تتم بغسله بالماء العادي ولا حاجة الى قصه كما كان الأمر لدى بعض الأمم الأخرى .

ب ـ وأما في المعاملات

اولا) اباحة الشروط الجعلية العقدية « على خلاف بين الفقهاء في حدود هذه الاباحة سعة وضيقا » .
ثانيا) ربط العقود بالرضائية وحدها ، دون التفات الى الشكليات ، فيما عدا عقد الزواج الذي يشترط لصحته الاشهاد لمعنى خاص فيه .

جـ ـ وفي الجنايات

اولا) منع العقوبة بالقصاص عن القاتل خطأ ، وايجاب الدية مفرقة على عاقلة القاتل خطأ ، وايجاب الكفارة عليه وحده .
ثانيا) منع التمثيل بالمجرم في كل الأحوال ، دون استثناء .
ثالثا) الوصية بالاحسان الى كل الناس ، والى المجرمين المحكومين بالموت خاصة ، وذلك وفقا لقوله تعالى : **(ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل)** الاسراء/ ٣٣ ، وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ان الله كتب الاحسان على كل شيء ، فاذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، واذا ذبحتم فاحسنوا الذبح ، وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته » أخرجه مسلم والترمذي وأبو داود والنسائي .
رابعا) أوجب في اثبات بعض الجرائم الكبرى شهادة أربعة شهود عدول ذكور ، ولم يقبل في اثباتها بما دون ذلك من العدد ، كالزنا .
خامسا) أوجب درء الحدود بالشبهات ، فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ « ادرؤوا الحدود عن المسلمين بالشبهات ما استطعتم ، فان كان له مخرج فخلوا سبيله ، فان الامام ان يخطيء في العفو خير من أن يخطيء في العقوبة » أخرجه الترمذي .

د ـ وفي الأحوال الشخصية

اولا) جعل نفقة الزوجة على الزوج بحسب حال الزوج عسرا ويسرا ، ولم يكلف الزوج بأكثر من ذلك ، مصداقا لقوله تعالى : **(لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها)** الطلاق/ ٧ .
ثانيا) اباح انهاء الحياة الزوجية الفاشلة بالطلاق أو الفسخ او التفريق ، ولم يوقع البينونة الكبرى بين الزوجين بأقل من ثلاث طلقات ، مصداقا لقوله سبحانه : **(الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح بإحسان)** البقرة/ ٢٢٩ .
ثالثا) عدم ايقاع طلاق المكره ، والمدهوش ، والسكران ، والمجنون .. « على خلاف بين الفقهاء في تفصيل ذلك وشروطه » .
رابعا) وجوب نفقة الفقير العاجز من أفراد الأسرة على باقي الأفراد الأغنياء فيها

وجعل ذلك حقا مكتسبا لا منة فيه ، يطالب به قضاء ، مصداقا لقوله تعالى : (**والذين في أموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم**) المعارج/ ٢٤ و ٢٥ . فان لم يكن له أقرباء ميسورون ففي بيت مال المسلمين .
خامسا) وجوب نفقة الولد الفقير على والده مطلقا حتى يستغنى عنه بكسبه أو ماله ، أو يبلغ الرشد ، واعتبار ذلك نفقة كفاية لاكفاف .

هـ ـ وفي ميدان السلم والحرب :

اولا) اباح الله تعالى للمجاهدين أكل الغنائم واقتسامها بينهم على نحو بينه القرآن الكريم بقوله تعالى : (**واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير**) الانفال/ ٤١ وقوله سبحانه : (**فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم**) الانفال/ ٦٩ .
وهذا الحكم فيه تيسير على الأمة الاسلامية بعد أن كان الأمر مشددا من الله تعالى على الأمم السابقة ، حيث لا يجوز لهم أكل الغنائم ، ولكن اتلافها لا غير ، وقد ثبت في ذلك عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوله : « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي » وذكر منها : « وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي » أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما .
ثانيا) وأباح الله استرقاق الاسرى اذا لم تلجيء الضرورة الى قتلهم ، كما أباح اطلاق سراحهم بالمال أو بأسرى المسلمين ، أو المن عليهم بلا مقابل ، اذا رأى أمير المؤمنين مصلحة غالبة في ذلك .
ثالثا) وأباح عقد المعاهدات مع الأعداء إذا كانت مصلحة المسلمين تفرض ذلك .

و ـ وفي أمور الأمن العام :

اولا : قبل توبة المحاربين الخارجين على النظام اذا كانت قبل القبض عليهم ورفع الحد عنهم بذلك .
ثانيا) قبل الجزية من أهل الذمة ، ولم يجبرهم على الدخول في الاسلام اذا أبوا الدخول فيه . وذلك كله على خلاف الكثير من التشريعات السماوية والوضعية الأخرى التي تتشدد فيما تسامح الاسلام فيه .
فاليهودية مثلا تفرض على من ارتكب ذنبا كبيرا او كفر بالله تعالى ثم اراد التوبة مما وقع فيه من الذنب ان يقتل نفسه ، ولا يقبل منه ما دون ذلك ، مصداقا لقوله تعالى : (**فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم**) البقرة/ ٥٤ ، اما الاسلام فانه يكتفي في قبول التوبة من العاصي بالاقلاع عن الذنب ، والندم عليه ، والعزم على

عدم العود اليه ، وتعويض المضرور عن ضرره منه ، وذلك مصداقا لقوله تعالى : **(فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا)** النصر/٣ وقوله تعالى : **(وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات)** الشورى/ ٢٥ . وقوله تعالى : **(والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين)** آل عمران/١٣٥ و ١٣٦ .

وفي اليهودية أيضا أن من تنجس ثوبه بنجاسة وجب عليه لتطهيره قص المكان المتنجس منه ولا يطهر ثوبه بغير ذلك ، أما الاسلام فانه يكتفي لطهارة الثوب المتنجس بغسله بالماء حتى يزول أثر النجاسة منه ، ولا يفرض ما فوق ذلك .

وكذلك المسيحية فانها تفرض على من ضرب أو ظلم أن يسامح خصمه الذي آذاه « من ضربك على خدك الأيمن فادر له خدك الايسر » وفي ذلك الفرض من الصعوبة على النفس الانسانية العادية ما فيه ، أما الاسلام فقد أذن لمن ظلم أن يطالب بحقه من ظالمه ، مصداقا لقوله تعالى : **(فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)** البقرة/ ١٩٤ إلا ان القرآن الى جانب ذلك ندب الى العفو عن المعتدي من غير فرض ، فقال تعالى : **(وان تعفوا أقرب للتقوى)** البقرة/ ٢٣٧ .

هذا وقد تعددت طرق التيسير والتسهيل في الشريعة الاسلامية ، وذلك بحسب الحاجة ومقتضيات الحال .

فهي أحيانا تكون بانقاص التكليف عمن لا يطيقه ، أو يطيقه ولكن بشقة كبيرة ، كقصر الصلاة الرباعية الى ركعتين في السفر .

وهي في أحيان اخرى بإبدال التكليف بتكليف آخر أخف منه وذلك عندما يغدو التكليف الأول مرهقا وشاقا ، مثل التيمم عند انعدام الماء ، او بعده ، او العجز عن استعماله لمرض او غيره .

وهي في بعض الاحوال بتقديم التكليف عن موعده أو تأخيره عنه ، عندما يكون التكليف مؤقتا وتعلقت المشقة به ، كما في جمع الصلاتين في عرفة ومزدلفة ، وجمع الصلاة للمسافر ، وتأخير وجوب اداء الصوم للحائض الى ما بعد الطهر منه .

وقد يكون التيسير بتغيير التكليف كليا اذا لم يحقق السهولة واليسر في تنفيذه غيره ، كما في صلاة الخوف .

وربما كان التيسير برفع التكليف اصلا ، والاعفاء منه بالكلية ، عندما لا يكون هناك طريق لرفع المشقة في تطبيقه غير ذلك ، كما في إعفاء الحائض من الصلاة بالكلية ، وكذلك النفساء ، واعفاء الفقير من الحج .

واخيرا قد يكون التيسير باباحة المحرم والممنوع ، وذلك عندما تكون الضرورة ملجئة اليه ، كأكل الميتة ، وشرب الخمر ، لمن خاف على نفسه الهلاك من شدة الجوع والعطش ولا شيء لديه غيرهما مما يدفع به الهلاك عن نفسه .

المصلحة مطلب المشرعين جميعا وهي الهدف الاسمى والاعلى في كل شرائع الارض ، السماوية منها والوضعية ، الا ان المصلحة أمر نسبي وليس مطلقا ، يختلف من حالة الى حالة ، ومن شيء الى شيء ، ومن زمان الى آخر ، ومن مكان الى مكان آخر ، وما من شيء فيه مصلحة الا فيه ـ في الغالب ـ مضرة ، وما من شيء مضر الاو وفيه ـ في الغالب ـ مصلحة الى جانب تلك المضرة ، ولهذا فان المشرعين الوضعيين لا بد لهم من أن يختلفوا فيما بينهم على ما هو مصلحة غالبة ، ذلك أنهم بشر متأثرون لا محالة بعواطفهم ، وعاداتهم وثقافاتهم ... فما يراه بعضهم مصلحة قد يراه غيرهم مضرة ، والعكس بالعكس ، هذا اذا ما ترفعوا فوق مصالحهم الشخصية الرخيصة الموقوتة ، وقليل من البشر من يستطيع ذلك ، فاذا لم يستطيعوا الترفع عن ذلك انقلب الامر الى فوضى ، ضاعت فيها الحقوق ، وعمت فيها المظالم .. باسم القانون ، وباسم العدالة ، وباسم الشريعة ، وأكبر مثال على ذلك التناقضات التي تسود العالم اليوم ، فما يعتبره الشرق عدلا يعتبره الغرب جوراً ، وما يعتبره الغرب عدلا يعتبره الشرق ظلما ، وهكذا دواليك .

لكن الشريعة الاسلامية ـ شريعة الله تعالى المحب للبشر جميعا على سواء ، العالم بأسرارهم وخفاياهم ، العالم بالماضي والحاضر والمستقبل ، العالم بحقائق الأمور ودقائقها ، لا بد وان يكون أمره ، بما هو مصلحة غالبة لكل بني البشر على سواء ، ولا بد وأن يكون نهيه عما هو مفسدة غالبة لكل بني البشر على سواء ، وذلك بموضوعية بعيداً عن التأثر بأهواء البشر ، ومصالح البشر ، وقصر نظر البشر ، وقلة علم البشر .

هذا الى جانب ان المصالح قد تتناسق جميعا فتكون مراعاتها كلها ممكنة ، وربما تناقضت واختلفت فكان لا بد من مراعاة الاهم منها على حساب الأقل أهمية ، والاكبر منها على حساب الأصغر ، وكان لا بد لذلك من وضع قاعدة ومبدأ وجدول تتدرج المصالح فيه وفق قوتها وكبرها ، حتى اذا ما اختلفت وتنافرت قدم بعضها على بعض على وفقه ، دون اختلاف او اختلال .

ثم انه لا بد لهذا الجدول من ان يكون قائما على اساس موضوعي ، بعيد عن الأهواء الخاصة والمصالح الشخصية الموقوتة ، والنظرات العجلى العابرة العابثة ، وهو ما لا يستطيعه أيضا الا خالق البشر ، رب العالمين ، لما تقدم من الأسباب .

وقد جاءت الشريعة الاسلامية في ذلك بمبدأ دقيق قسم المصالح التي هي مناط الأحكام والتكليفات من حيث قوتها وأهميتها الى ثلاثة أقسام : الى ضرورية ، وحاجية ، وتحسينية ، ثم قسم كلا من هذه الاقسام الثلاثة الى قسمين : عامة وخاصة ، فكانت بذلك ستة أقسام مقدم بعضها على بعض عند التعارض على وفق

الترتيب الآتي :

١ ـ المصالح الضرورية العامة . ٢ ـ المصالح الضرورية الخاصة .
٣ ـ المصالح الحاجية العامة . ٤ ـ المصالح الحاجية الخاصة .
٥ ـ المصالح التحسينية العامة . ٦ ـ المصالح التحسينية الخاصة

فاذا ما تساوت جميعا روعيت كلها ، واذا ما تعارضت وتناقضت ولم يمكن الجمع بينها روعي الأهم منها على حساب المهم مما هو دونه ، واليكم أمثلة تطبيقية على ذلك :

أ ـ رجل في طائرة ، عطش عطشا شديدا خاف على نفسه منه الهلاك ، ولم يجد ما يدفع به الهلاك عن نفسه الا كوبا من الماء مع زميل له في الطائرة ، وكان مستغنيا عنه ، فهل له أخذه منه ؟ والجواب ان الزميل اذا رضي ببذله له جاز أخذه منه ، تحقيقا لمصلحة انقاذ حياته التي لم يعارضها أي مصلحة أخرى ، فاذا امتنع عن دفعه له الا بثمنه ، وكان الثمن متوفرا لديه ، وجب أن يأخذه بثمنه جمعا بين المصلحتين ، مصلحته هو في انقاذ نفسه ، ومصلحة صاحب الماء في احترام ملكيته له .

فاذا أبى صاحب الماء دفعه اليه مطلقا ، أو لم يكن لدى العطشان اي ثمن ، كان التناقض واضحا ومفروضا بين مصلحتي احياء نفس العطشان ، وحماية ملكية صاحب الماء ، الا ان الأولى ضرورية ، والثانية حاجية هنا ، فتقدم الأولى على الثانية ، ويحكم بحل أخذ الماء جبرا عن مالكه في هذه الحال ، الا أن على الآخذ أن يعوض صاحب الماء عنه بمثله أو قيمته عندما يقدر على ذلك ، للقاعدة الكلية : « الضرورات تقدر بقدرها » .

ب ـ شارع ضاق بالمارة حتى عسر عليهم المرور فيه ولم يمكن توسيعه الا على حساب أرض مجاورة له يملكها بعض الناس ، فهل يجوز لولي الأمر أخذ هذه الأرض لتوسيع الشارع ؟

والجواب : ان له ذلك ان رضي صاحب الأرض ، لعدم التعارض بين أي من المصالح ، وكذلك اذا لم يرض صاحب الأرض تقديما للمصلحة الحاجية العامة في توسيع الشارع على المصلحة الحاجية الخاصة في حماية ملكية صاحب الأرض ، وهكذا ..

٥ ـ العمق والإحاطة :

الهدف العام لكل تشريع هو تنظيم علاقات الناس ، وحل مشاكلهم ، بما يوفر العدالة بينهم ، ويقيم الحق في ربوعهم ، ويؤمن اليسر والسهولة في تصرفاتهم .

الا ان مشاكل الناس وعلاقاتهم في كثير من الاحيان ، بل في أكثر الأحيان ، ذات تعقيد وتشابك ، وربما أدى حل مرتجل لها الى تعقيدها ، وزيادة تشابكها ، مما يعود عليها بالنقض ، وربما ادى الأمر في النهاية الى استحالة حلها أصلاً ، فلا

غنى عندئذ عن الحل العميق القائم على دراسة واعية مستفيضة لظروف الحادثة وأبعادها وأسبابها القريبة والبعيدة ، وجذورها ، بموضوعية ، بعيدا عن التأثر بفكرة سابقة ، وحلول مقدرة مبتسرة .

وان للتشريع الاسلامي قصب السبق في هذا المضمار ، ولم لا ؟ وهو تشريع الله تعالى الذي يعلم السر وأخفى ، وسوف أضرب لذلك **مثالين** :

اولهما) مشكلة قامت لبعض الوقت في عالمنا العربي ، وسعت سلطات كثيرة لحلها يومها فزادتها تعقيدا ، ولم تصل الى حل مناسب لها ، وهي مشكلة « آثار البطالة » .

فقد جاءت فترة ساد فيها ركود اقتصادي كبير ، وعزمت مؤسسات انتاجية كثيرة على الحد من نشاطها ، وتسريح عدد من عمالها ومستخدميها ، وكان في عزمها هذا ضرر كبير بالعمال الذين يحصلون على قوتهم الضروري من دخلهم منها يوما بيوم ، ؛ فأين يذهبون ، ومن أين يقتاتون لو سرحوا منها ؟ وهم الى أن يجدوا عملا جديدا يقتاتون منه - ان وجدوا - لا بد وان يقضوا فترة من الوقت بدون عمل ... وتفاقمت هذه المشكلة وبدأت تهدد بخطر مستطير ، مما دعا السلطات الى دراستها ومعالجتها ورسم الحلول لها ، الا ان بعض هذه الحلول لم يكن فيه من العمق ما يكفي لاعطائها حجمها وأبعادها بدقة ، فكان في هذا الحل مزيد تعقيد لها ، مما نتج عنه مشكلات أخرى لم تكن في الحسبان ، وكنا في غنى عنها ، ذلك أنهم رأوا معالجتها عن طريق إلزام صاحب العمل بتعويض لعامله المسرح يتناسب ومدة خدمته في معمله أو مؤسسته ، على تقدير ان هذا التعويض سوف يسد حاجة العامل الى أن يجد له عملا آخر يعيش منه .

والذي انتهى اليه الأمر أن هذا العامل كان يستهلك في كثير من الأحيان تعويضه هذا في أمور هي أقرب الى الكماليات منها الى الضروريات التي هو بحاجة ماسة اليها ، من غير بحث عن عمل آخر مركونا الى المبلغ الكبير الذي تحصل له مما لم يعتد الحصول عليه من قبل ، حتى إذا ما فوجىء بنفاد ما عنده من المال أسقط في يده ، وعاد على نفسه بالحسرة ، وعلي عياله باللوعة والحاجة والفاقة ، ثم ان هذا الحل قد أربك كثيرا من أصحاب الأموال - في حينه - وجعلهم يفكرون مليا قبل الاقدام على استثمار اموالهم في مشاريع جديدة ، محاولين التهرب من الالتزام بالتعويض عند الحاجة الى تسريح عمالهم ، مما قلل حجم الاستثمارات ، وبالتالي قلل الحاجة الى الأيدي العاملة ، وتسبب في نقل كثير من الاموال الى خارج البلاد ، فكثر التسريح ، وتعقدت المشكلة ، وجنت البلاد مزيدا من الركود ، ومزيدا من التخلف .

ولو أننا رجعنا الى التشريع الاسلامي في حل هذه المشكلة وأمثالها ، لوجدنا لديه الحل المدروس العميق المحيط بكل اطراف المشكلة وأبعادها .

فالاسلام في مثل هذه الحال يعفي رب العمل من الالتزام بأي تعويض للعامل غير الأجر المنصوص عليه والمبين في عقد الاجارة او الاستخدام ، الا انه الى جانب

ذلك يكفل للعامل المسرح واسرته عيشا ضروريا مرضيا الى ان يجد العمل المناسب الذي يكسب منه قوته ، وذلك بايجاب نفقته على أقربائه الموسرين ، فاذا لم يكن له اقرباء موسرون كانت نفقته على بيت مال المسلمين « الخزينة العامة » ، الا انها نفقة ضرورية « كفاف » تؤمن فيها ضرورياتها فقط ، وذلك لئلا يثنيه ذلك عن طلب الرزق والتفتيش عن عمل آخر طلبا لما هو فوق الضروري من العيش ، وبذلك تتأمن مصلحة العامل وأسرته دون أن ينثني رب العمل عن البحث عن مزيد من طرق استثمار المال التي تعود على العامل وعلى البلاد بالخير الوفير .

وثانيهما) مشكلة غلاء الأسعار ، فقد غلت الاسعار في الماضي مرات ثم انخفضت ، وهي الان تغلو يوما بعد يوم في بلادنا ، وفي كل بلاد العالم .

ودول العالم اليوم كلها معنية بهذه المشكلة ، وكل منها يدلي بدلوه في حلها ، درءا لأخطارها ، وحماية للشعوب من آثارها المدمرة . وقد طرحت في الساحة أنواع من الحلول منذ فترة من الوقت ، وهذه الحلول لم تنتج أي أثر في حل هذه المشكلة والقضاء عليها ، أو الحد منها على الأقل ، بل انها جميعاً زادتها تعقيدا وتشابكا وخطورة .

فمن هذه الحلول المطروحة العمل على زيادة دخل الطبقات الفقيرة والمتوسطة بزيادة الرواتب والأجور ... الا ان هذا الحل عاد على المشكلة بالنقض ، فكلما زاد الدخل زادت الأسعار بمقابل ذلك ، وربما كانت زيادة الأسعار بنسبة أكبر وأعلى من زيادة الدخل ، حتى نشر أخيرا أن أحد المعامل قرر زيادة رواتب عماله تخفيفا لغلواء زيادة الأسعار عنهم ، فرفع أحد العمال شكوى على رب العمل طالبا الغاء هذه الزيادة ، لانها سوف تكون بكل تأكيد عاملا في زيادة الأسعار .

ومنها تحديد الاسعار بحد معين لا يجوز تجاوزه والزيادة عليه ، وهذا لم ينتج أثره المرجو أيضا ، وكان في الغالب على حساب جودة السلعة وعلى حساب توافرها في السوق ، حتى كادت بعض السلع تختفي كليا من الأسواق نتيجة العزوف عن انتاجها ، هذا الى جانب ابتداع طرق كثيرة للاحتيال والتلاعب والالتفاف من وراء تحديد الأسعار ، واحتكار بعض السلع من قبل بعض المستغلين ، واثراء بعض المتلاعبين على حساب البعض الآخر ، وظهور السوق السوداء ..

ولو رجعنا الى الاسلام نستنطقه حلا لذلك ورجعنا الى عهد النبوة لرأينا ان الاسعار غلت مرة في المدينة المنورة على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فسأله أصحابه أن يسعر لهم ، فقال : « لا ، ان الله هو المسعر ، واني أريد أن ألقي الله تعالى وليس في عنقي مظلمة لأحد » أخرجه بمعناه ابو داود وانا لا أريد ـ هنا ـ ان انفي جواز التسعير في الاسلام ، فهو جائز في حالات حددها الفقهاء وضبطوها وفقاً لنصوص وقواعد خاصة وردت في ذلك ، ولكنني اريد ان أؤكد أن ذلك ليس هو الحل الأمثل او الحل الوحيد لهذه المشكلة ، وأن هنالك حلولا أخرى ربما كانت أفضل منه وأكثر عمقا ـ في بعض الأحوال على الاقل ـ وأقصد بذلك فرضية الزكاة ، فانها تؤمن للفقير كل ضرورياته مجانا ، مما يغنيه عن شراء أي

شيء منها ، وبذلك يقل الطلب على السلع فتنزل أسعارها ، وفق قانون « العرض والطلب » ، هذا الى جانب أن تحديد الأسعار انما يلجأ اليه حماية لمصلحة الفقير ، وهنا مصلحة الفقير قد أتت مجانا على أتم وجه بطريق أكمل وأفضل ، وهذا ما دعا أحد المستشرقين الى القول : « ان محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ حل مشكلة الفقر وهو يشرب فنجانا من القهوة » وهو يعني بذلك نظام الزكاة .

٣ ـ الديمومة

كثير هي تلك التشريعات الوضعية التي تصدر اليوم وتحتاج الى تعديل غدا او بعد غد ، وربما استطاع بعضها البقاء لفترة من الوقت اذا احيطت بتعديلات دورية مناسبة ، وان دقة التشريعات وسموها منوط بمدى قدرتها على البقاء ملبية المصالح التي شرعت من أجلها أكبر فترة من الوقت ، وان ذلك في الحقيقة منوط بمدى ما تتمتع به من مرونة وقدرة على التأقلم مع البيئة والمصالح المستجدة فيها .

وان التشريع الاسلامي العظيم تضمن قدرة فائقة على الديمومة ما دامت السماوات والأرض ؛ فهو خاتم شرائع السماء أنزله الله تعالى لينظم للانسانية حياتها الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وأن ديمومته هذه كامنة في صفتين توفرتا فيه ، وهما : المرونة والتعميم ، وسوف القي بعض الضوء على هاتين الصفتين ، مع التمثيل :

أ ـ **المرونة** ، فقد بلغت نصوص التشريع الاسلامي « قرآنا أو سنة » من المرونة مبلغا كبيرا ، وذلك راجع الى طريقة الصياغة التي صيغت بها ، بحيث يمكن ان تفهم على معان مختلفة محدودة تلبي كل المصالح المتجددة المتغيرة ، والامثلة على ذلك كثيرة منها :

اولا ـ طريقة ادارة الحكم في الدولة جاء فيها قوله تعالى : (**وأمرهم شورى بينهم**) وقوله جل من قائل : (**وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله**) .

هذان النصان الشريفان يمكن استنباط طرق كثيرة منهما للحكم تتناسب والحاجة المستجدة للبشرية ، فهما لم يحدا الحكم بالنظام الملكي ، او الجمهوري او الرئاسي .. ولكن ذلك كله متأت من خلال هذين النصين اذا ما روعيت الشورى .

ثانيا ـ قررت النصوص أن الامة المسلمة كلها أمة واحدة ، وذلك في قوله تعالى : (**إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون**) وهذا يتأتى بوجوه متعددة منها جعلها دولة مركزية ، أو دولة اتحادية ، أو دولة فدرالية ..

ب ـ العموم : فان غالبية نصوص القرآن والسنة التشريعية عامة أو مجملة ، وذلك لاتاحة الفرصة أمام العلماء المجتهدين في تفسيرها وتخصيصها وفق المصلحة المستجدة المتغيرة ، وذلك على هدى ما تقضي به القواعد العامة اللغوية والشرعية ، ومن أمثلة ذلك :

اولا : جاء في تقدير نفقة الزوجة قول الله تعالى : (**لينفق ذو سعة من سعته ومن**

قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها) وذلك دون بيان لمقدار النفقة المفروضة وطريق دفعها للزوجة .. مما هو متروك للمجتهدين والقضاة .

ثانيا : جاء في تقدير الاقارب المحتاجين للنفقة على أقاربهم الموسرين ، وبيان الملزم بها منهم قول الله تعالى : **(وعلى الوارث مثل ذلك)** .

٧ ـ الموضوعية :

الانحراف والتحيز نحو فئة معينة دون أخرى من المواطنين في التشريع مطعن كبير ، وانحراف خطير ، وكذلك الانحراف نحو اتجاه معين دون آخر تأثرا بافكار طارئة ، مصالح خاصة فانه انحراف ومطعن كبير ايضا .

والموضوعية في التشريع هي الطريقة السليمة الموصلة الى الحياة السعيدة ، والعدالة الحقة ، والمجتمع الانساني الفاضل ، والموضوعية معناها الاهتمام بالمصالح الحقيقية للامة دون التفات الى ما عداها ، وان تشريعنا الاسلامي العظيم قد تضمن هذه الصفة ، وجلعها محوره في تشريعاته جميعا ، بعيدا عن كل انحراف او تحيز ، ولم لا ؟ وهو تشريع رب البشر ، المحب لهم على سواء ، ولهذا فاننا نرى التشريع الاسلامي يلاحظ مصالح الفقراء بقدر ما يلاحظ مصالح الاغنياء فيفرض في مال الاغنياء للفقراء مقدار حاجتهم ، ولا يسمح للفقراء ان يطلبوا من الاغنياء اكثر من ذلك .

كما يلاحظ مصالح الكبار بمقدار ما يلاحظ مصالح الصغار القاصرين فيجيز للاولياء التصرف بأموال القاصرين ، الا انه يحد ذلك بالمصلحة الظاهرة ، ويثبت للقضاء رقابة على ذلك .

وهو يعني بالمرأة عنايته بالرجل . قال تعالى : **(ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة)**.

٨ ـ ربط الاحكام بالثواب والعقاب في الآخرة :

لا بد لأي حكم تشريعي من مؤيد له يضمن سلامة تنفيذه ، والمؤيدات التشريعية كثيرة ، منها عقابي ، ومنها مدني ، والعالم كله يشكو اليوم من عدم جدوى أكثر هذه المؤيدات ، ويحاول البحث عن مؤيدات اكثر نجاحا منها ، فانه من المستحيل على أي تشريع أن يقيم شرطيا على كل مكلف يراقب حسن تطبيقه للتشريع ، وانه اذا ما استطاع ذلك ، فانه عاجز حتما عن اقامة شرطي على كل شرطي يراقب حسن مراقبته للمكلفين ، ثم يقيم شرطيا على كل شرطي من هؤلاء وهكذا دواليك .

والتشريع الاسلامي ـ الى جانب اعتماده المؤيدات المدنية والعقابية ـ ربط

أمور التشريع بأمور العقيدة ، وبالثواب والعقاب من الله تعالى في اليوم الآخر ، وبذلك ضمن سلامة التطبيق لجميع الأحكام والتشريعات دون رقيب أو شرطي غير رقيب الضمير والايمان بالله تعالى واليوم الآخر .

فالمسلم محاسب عن كل تقصير واعتداء ومخالفة لأي حكم من أحكام التشريع سواء كان ذلك الحكم من احكام العبادة او المعاملة او غيرها وذلك مصداقا لقوله تعالى : (**فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره**) الزلزلة/ ٧ و ٨ وذلك الى جانب محاسبته في الدنيا ، بل انه محاسب ومسؤول عن خلجات الصدر ونبضات الفؤاد ، قال تعالى : (**أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور . وحصل ما في الصدور . إن ربهم بهم يومئذ لخبير**) العاديات/ ٩ ـ ١١ .

ولهذا فاننا نرى المسلم يسارع الى تلبية الامر واجتناب النهي بوازع من رغبته في ثواب الله تعالى ، وخشيته من عقابه ، دون حاجة الى أي من المؤيدات الاخرى ، وهذا ليس أمرا سهلا او قليلا ، ومن عني بمصالح الناس وأمور التشريع والقضاء بين الناس والنظر في أمورهم ، علم قيمة ذلك وأهميته بكل تأكيد .

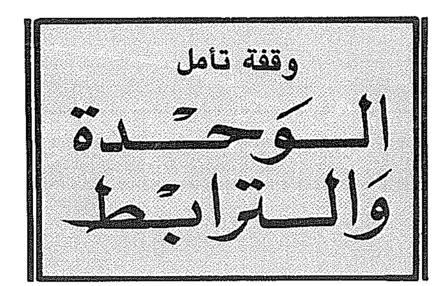
٩ ـ النزعة نحو التقشف :

الاسلام يعني بالتقشف ويدعو اليه ، الا انه يندب اليه ندبا ويرشد اليه ارشادا من غير فرض أو الزام ، فيدفع الناس اليه بالاقناع بالدليل والبرهان وليس بالسيف والسنان ،

والاسلام اباح الترفه والتزين ما دام ذلك في غير المحرمات ، ومن غير اسراف ، قال الله تعالى : (**قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة**) الأعراف/ ٣٢ بل ان كل ما في الكون مخلوق لمصلحة الانسان ، قال الله تعالى : (**الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون**) غافر/ ٧٩ وقوله تعالى : (**يأيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا**) البقرة/ ١٦٨ .

الا انه الى جانب ذلك ندب الى الاقتصاد والتقشف ، قال تعالى : (**وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين**) الاعراف/ ٣١ وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « اخشوشنوا ، وتمعددوا ، واجعلوا الرأس رأسين » وقال احد الفقهاء باحثا في الطعام المباح وغير المباح : « ومن الاسراف أن يأكل وسط الخبز ويدع حواشيه ، أو يأكل ما انتفخ منه ويدع الباقي » فما قولكم فيمن يلقي بالخبز واللحم وأنواع الطعام في عرض الشارع ، أو في القمامات .

هذه النزعة التي يندب الاسلام اليها ويغري بها لا تحتاج الى مزيد كلام عن أهميتها وخطرها ، فالعالم كله يعاني اليوم من ظاهرة الاسراف ، وهذا الاسراف هو سبب أساسي من أسباب التضخم النقدي والضائقة المالية التي يعاني منها العالم كله ... فهل من مدكر .



● تتماسك الأجسام بقوة الترابط والتجاذب بين ذراتها .. ولولا هذه القوة لتبعثرت أشلاء .

● وتتجاذب الأجرام والأفلاك بقوة أودعها الله فيها .. تجعل لكل جرم منها مساره الذي لا يحيد عنه .. ولو حدث وخرج أي منها عن مساره لحدث اضطراب هائل في الكون لا يدرك مداه الا الله .

● وهناك من الخواص في الكون ما يجعل الماء ينبع من الصخر ، والحياة تخرج من الموت .. والنار تنشأ من الأخضر .. الكون كله ينتظم في عقد واحد أبدعته قدرة الله العظيم ..

● فالشمس لها دورها وشأنها ، والقمر له دوره وأهميته .. والليل والنهار آيتان من آيات الله في الكون :

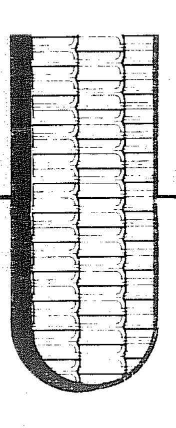
قال تعالى : (**قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون . قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون . ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون**) .

● ذاك هو شأن المادة الواحدة : ترابط بين أجزائها .. وشأن الكون كله : يسبح بحمد الله (**ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا**) ، الكون كله في ألفة ومحبة وود فما بال الانسان لا يتسق مع نظام الكون وهو أكرم مخلوق خلقه الله في أرضه ليكون خليفته سبحانه

● ما بال الانسان يعيش في صراع دائم ودماء تراق ما كان ينبغي لها أن تراق .. والأمة المسلمة وهي أولى الأمم بتحقيق الوحدة بين أقاليمها .. ما بالها أمة تتنازعها الأهواء ، ويطمع فيها الأعداء .. ويخشى عليها من كثرة المعاصي التي ترتكب على أرضها .. والدماء المسلمة الزكية تراق بيد عربية واسلامية ـ للأسف ـ أكثر مما تراق بيد الأعداء .. تنافر بين أبناء القطر الواحد .. وتنافر بين أقطار المسلمين .. وعدو ملحد في أفغانستان ، وعدو صليبي في أرتريا .. وعدو يهودي في قلب الوطن العربى ، ونزاعات ونزاعات

● والمنقذ الوحيد يكمن في العودة الى الاسلام قولا وعملا .. ليكون البنيان شامخا سامق الهامة ، **ولتبقى العزة دائما لله ولرسوله وللمؤمنين** .

● وبالحب ، والرفق ، والدعوة بالحسنى ، ينشأ الفرد الصالح ، والأسرة السعيدة ، والأمة الخيرة في ظل عدالة الاسلام ، والله يحقق الأمل .



للشيخ
محمد الأباصيري خليفة

مما لا شك فيه أن ما عليه الكثير من حكام العرب من التقاطع والتنازع والاختلاف أمر واضح لا يحتاج الى بيان ، ومما لا شك فيه كذلك أن المجتمعات العربية تسودها الحيرة والقلق والاضطراب نتيجة لهذه الحال المحزنة . وقد مس هذا الثالوث البغيض النفوس والقلوب والأذهان قبل أن يمس المظاهر والأوضاع . ذلك أمر متفق عليه بين كل من يعنيهم أمر الوطن العربي والانسان العربي ، وانا لنسمعه من المفكرين كما نسمعه من العامة في مجالسهم ، والمجتمعين في أنديتهم ، وذوي الأعمال في أماكن عملهم .. واذا أنكرنا هذه الحقيقة أو تغافلنا عن أثرها ، أو استصغرنا نتائجها كنا كالنعامة التي تدفن رأسها في الرمل وتظن أنها بذلك تخدع الصياد . واذا دام هذا الوضع فليس وراءه الا الخسارة البالغة والفشل الذريع ... والسبب الأصيل في هذا البلاء هو تعدد الأنظمة الحاكمة في الدول العربية ، مع بعد أكثرها عن النظام الاسلامي الذي يجمع القلوب ويؤاخي بين النفوس على الحق والعدل . فقد ترتب على تعدد نظم الحكم التباعد النفسي بين القائمين على هذه النظم ، واختلاف الوسائل والغايات ، إذ أن القائمين على كل نظام يعملون في نطاق مصلحتهم الخاصة دون نظر الى المصلحة العامة .. كما أدى قيام نظم للحكم تخالف قواعد الاسلام في كثير من

الدول العربية الى فجوة عميقة بين الشعوب وهذه النظم فالشعوب تقدس عقيدتها الاسلامية والمنهج الاسلامي ، ولا تطمئن الى أي نظام يناقض عقيدتها ومنهجها ومن ثم يعمد بعض الحكام بهذه الأنظمة الى قهر الشعوب واستذلالها وقتل حرياتها ، كوسيلة لإخضاعها ، وفي ذلك ما فيه من الفساد والدمار ، وفقدان الالتحام والتعاون بين هؤلاء الحكام وشعوبهم ، فالشعوب تنظر اليهم نظر الطير الى صائده لا نظر الجندي الى قائده .

والمنقذ الوحيد للأمة العربية من محنتها هو النظام الاسلامي الذي أنزله الله العليم بأحوال خلقه الخبير بما يصلحهم ، يطبقه حكامها ، ويجعلونه أسلوب حياتها ، ومنهج تصرفاتها ، وحل مشكلاتها ، يفعل الحكام ذلك وفاء بعهدهم الشرعي لله ورسوله يوم أن نطقوا بالشهادتين معلنين الالتزام بالاسلام عقيدة ومنهجا .

وهذا الوفاء يستلزم تغيير الاتجاهات والأوضاع ، والمجاهرة بأن الأمة العربية هي حاملة رسالة الاسلام ومنفذته ومبلغته من غير مواربة ولا وهن ، والكلام لا يغني عن العمل . وهذا الوفاء يحمي الوطن العربي مما يهدده من أخطار اجتماعية داهمة ، ويعيد الطمأنينة والسكينة الى النفوس والقلوب .

وقد يقال كيف تطلبون أن تقوم دعائم الحياة الاجتماعية في كل مظاهرها على قواعد الاسلام والحياة العصرية في العالم كله لا تقوم على أساس الدين في أية ناحية من نواحيها ، وقد اصطلحت أمم العالم ـ التي بيدها اليوم توجيه مقدرات الأمم والشعوب ـ على فصل الحياة الاجتماعية عن العقائد الدينية ، واقصاء الدين عن كل مرافق الحياة ، وحصره بين الضمير والمعبد ؟؟

والذين يقولون هذا القول لم يفقهوا الاسلام على وضعه الصحيح من أنه دين مجتمع ، ودنيا وآخرة ، ومسجد ودولة ، وأنه تعرض لشؤون الحياة الدنيوية العملية بأكثر مما تعرض به للأعمال التعبدية ، وإن كان أقام الشطرين معا على دعائم من سلامة القلب ، وطهر النفس ، ومراقبة الله .

وقد يقال : ان تطبيق النظام الاسلامي رجوع بالعالم الى الوراء نحو ألف وأربعمائة عام فكيف يعقل أن نطبق اليوم نظما جاءت لأمة عاشت قبلنا بأربعة عشر قرنا على لون من الحياة غير ألوان حياتنا ؟ وأين سنة التطور وقوانين التقدم والارتقاء ؟

ونقول لهؤلاء : انكم أيضا لم تفقهوا طبيعة الاسلام ، فقد أنزله الله تعالى فكرة سامية تحدد الأهداف العليا ، وتضع القواعد الأساسية وتتناول المسائل الكلية ولا تتورط في الجزيئات ، وتدع بعد ذلك للحوادث الاجتماعية والتطورات الحيوية أن تفعل فعلها ، وتتسع لها جميعها ولا تصطدم بشيء منها ، فهي صالحة لكل زمان ومكان ، واذا كان تاريخ التشريع الاسلامي يحدثنا أن عمر رضي الله عنه أمر بعدم القطع في

السرقة عام المجاعة ، وجاءه رجل يشكو سرقة خدمه ، فأحضرهم ، فأقروا ، وذكروا أن سبب ذلك أنه لا يقوم بكفايتهم من طعام وملبس .. الخ فتركهم عمر وتوعد الرجل قائلا : (اذا سرق خدمك مرة ثانية قطعت يدك أنت) ، واعتبرها شبهة تدرأ الحد ، ولاحظ الظروف والمناسبات ، فهل يقال بعد هذا : ان في الرجوع الى النظام الاسلامي رجعية وجمودا ؟.. وليست في الدنيا شريعة تقبل التطور ، وتساير مقتضيات التقدم ، وتتمتع بمعاني المرونة والسلامة والسعة كشريعة الاسلام الحنيف (**ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون**) .

وقد يقال : ان العودة الى نظام الاسلام تخيف الدول غير المسلمة ، فتتألب علينا ، وتتجمع ضدنا ، ولا طاقة لنا بها . وهذا القول منتهى الوهن وغاية الفساد في التقدير .. لقد سايرنا هذه الدول في نظمها ، وأخذنا بألوان حياتها ، واتبعناها في تقاليدها ، فهل أغنى عنا ذلك شيئا ، وهل دفع عنا كيدها ؟ وهل منعها من احتلال أرضنا ، والاعتداء على مقدساتنا ، والاستيلاء على خيرات بلادنا ، والتجمع في كل مؤتمر دولي ضد حقوقنا ، واثارة المشكلات والعقبات في وجوهنا ؟

وهم لا يتأثرون الا بظروفهم ومصالحهم ، ولقد رأيناهم جميعا يناصرون الصهيونية وهي أبغض ما تكون اليهم ، لارتباط مصالحهم المادية ، وأغراضهم الاستعمارية بهذه المناصرة .

اننا اذا لاحظنا غضب الدول الأجنبية ورضاها في تمسكنا بالاسلام أو بعدنا عنه فليس لهذا من معنى الا أننا نتمسك بالاسلام فلن نكسب رضاهم ، وسنخسر أنفسنا . في حين أننا اذا تمسكنا به ، وتجمعنا من حوله ، واهتدينا بهديه كسبنا انفسنا ولا شك ، وكان هناك احتمال قوي أن نكسبهم أيضا بتأثير قوة الوحدة . فأي الرأيين أولى بالاتباع يا أولي الألباب ؟

ويقول بعض الناس : إن التمسك بالاسلام وجعله أساسا لنظام الحياة ينافي وجود أقليات غير مسلمة في الأمة المسلمة ، وينافي الوحدة بين عناصر الأمة وهي دعامة قوية من دعائم النهوض في هذا العصر . ولكن الحق غير ذلك فان الاسلام الذي وضعه الحكيم الخبير قد احتاط لذلك الأمر ، فلم يصدر دستوره المقدس الحكيم الا وقد اشتمل على النص الصريح الواضح في حماية الأقليات وهو قوله تعالى : (**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين**) . فهذا النص لم يشتمل على الحماية فقط ، بل أوصى بالبر والاحسان اليهم .. وقد حدد الاسلام تحديدا دقيقا من يحق لنا أن نناوئهم ونقاطعهم ولا نتصل بهم فقال تعالى بعد الآية السابقة : (**انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم**

وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) .

وليس في الدنيا منصف واحد يكره أمة من الأمم على أن ترضى بهذا الضعف دخيلا فيها وعامل فساد بين أبنائها .

أما موقف الاسلام من الأجانب فهو موقف سلم ورفق ما استقاموا وأخلصوا ، فان فسدت ضمائرهم وكثرت جرائمهم فقد حدد القرآن الموقف منهم بقوله تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون**) .

والنظام الاسلامي يمد الأمة التي تتمسك به (كلا لا يتجزأ)

● بنظام داخلي للحكم يتحقق به قوله تعالى : (**وان احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون . أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون**) ..

● ونظام للعلاقات الدولية يتحقق به قول القرآن الكريم : (**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا**) .

● ونظام عملي للقضاء يستمد من الآية الكريمة (**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما** ..)

● ونظام للدفاع والجندية يحقق مرمى النفير العام (**انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون**)..

● ونظام اقتصادي استقلالي للثروة والمال والدولة والأفراد أساسه قول الله تعالى : (**ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما**) ..

● ونظام للثقافة والتعليم يطابق جلال الوحي في أول الآيات نزولا (**اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم**) .

● ونظام للأسرة ينشىء الصبي المسلم والفتاة المسلمة ويحقق قوله تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة**) .

● ونظام للفرد في سلوكه الخاص يحقق الفلاح المقصود بقوله تعالى : (**قد أفلح من زكاها**) ..

● وروح عام يهيمن على كل فرد في الأمة من حاكم أو محكوم قوامه قول الله جل شأنه : (**وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين**)

● ونظام يحدد العلاقة بين الغني والفقير ، فالغني مسؤول عن أخيه

الفقير ، وللفقير في مال الغني حق معلوم لا يستطيع ان يجحده او يتخلف عن أدائه ، والدولة الاسلامية تصون هذا الحق ، وتقاتل من يمنعونه ، قال الخليفة الأول أبو بكر رضي الله عنه : (والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم ما استمسك السيف بيدي) .

● ونظام يمنع طغيان القوي على الضعيف . فلا قوة ولا ضعف في الاسلام الا بميزان الحق . فأقوى الأقوياء ، من الناس صاحب الحق ، حتى ينتصف له ، وأضعف الضعفاء صاحب الباطل حتى ينتصف منه ، ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل .

والحكومة في الاسلام تقوم على (**مسؤولية الحاكم**) و (**وحدة الأمة**) و (**احترام إرادتها**) ولا عبرة بعد ذلك بالأسماء والأشكال .

فالحاكم مسؤول بين يدي الله والناس : (**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**) والأمة الاسلامية واحدة ، لأن الأخوة التي جمع الاسلام عليها القلوب أصل من أصول الايمان بالله ، لا يتم الا بها ، ولا يتحقق الا بوجودها ، (**انما المؤمنون اخوة**) . ولا يمنع ذلك حرية الرأي ، وبذل النصح ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الدين النصيحة قلنا لمن يا رسول الله قال لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم) وقال : (اذا رأيت أمتي تهاب أن تقول للظالم يا ظالم فقد تودع منها) وقال : (سيد الشهداء حمزة ابن عبد المطلب ورجل قام الى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله) . ولا تتصور الفرقة في الشؤون الجوهرية في الأمة الاسلامية لأن نظام الحياة الاجتماعية الذي يضمها نظام واحد هو الاسلام ، معترف به من أبنائها جميعا .. والخلاف في الفروع لا يضر ، ولا يوجب بغضا ولا خصومة .. ولكنه يستلزم البحث والتمحيص والتشاور وبذل النصيحة .

واحتراما لارادة الأمة يعطي النظام الاسلامي الأمة الاسلامية الحق في أن تراقب الحاكم مراقبة دقيقة ، وأن تشير عليه بما ترى فيه الخير وعليه أن يشاورها ، وأن يحترم ارادتها ، وان يأخذ بالصالح من آرائها . وقد أمر الله الحاكمين بذلك فقال : (**وشاورهم في الأمر**) وأثنى به على المؤمنين خيرا فقال : (**وأمرهم شورى بينهم**) والخليفة الأول رضوان الله عليه قال : (**اني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فان رأيتموني على حق فأعينوني ، وان رأيتموني على باطل فسددوني**) ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (**من رأى في اعوجاجا فليقومه**) .

والاسلام يعلن الحرية ويزكيها ، ويقررها للأفراد والأمم والجماعات بأفضل معانيها ، ويدعوهم الى الاعتزاز بها والمحافظة عليها فيقول الرسول الكريم : (من أعطى الذلة من نفسه طائعا غير مكره فليس مني) .. وقرر الطريق العملي الى حماية هذه الحرية ، فافترض الجهاد بالنفس والمال ، وجعله فرض كفاية

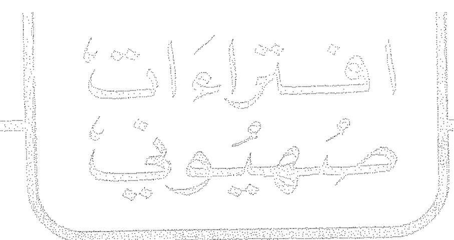
لتأمين الدعوة ، وفرض عين على كل أبناء الأمة لرد العدوان على الوطن وجعل الشهادة أعلى مراتب الايمان ، ووعد المجاهدين النصر والتأييد في الدنيا والنعيم المقيم في الآخرة ، وأعلن أن الجهاد افضل الأعمال بعد الايمان ، (**الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون . يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم . خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم**).

ان الاسلام أقر الحرية والاخاء والمساواة من قبل ألف وأربعمائة عام ، ولكنه سبق في ذلك سبقا لن يلحق فيه حيث جمل ذلك وزينه بالصدق والعمل . فلم يقف عند حدود النظريات الفلسفية ، وانما أشاع هذه المبادىء في الحياة اليومية العملية وأضاف اليها بعد ذلك السمو بالانسان ، واستكمال فضائله ونزعاته الروحية والنفسانية ، لينعم في الحياتين ، ويظفر بالسعادتين ، وأقام على ذلك كله حراسا أشداء أقوياء من يقظة الضمير ، ومعرفة الله ، وصرامة وصراحة الجزاء ، وعدالة القانون .

لقد كان العرب في الجاهلية متعادين ، فألف الله بين قلوبهم ، وما كان الا الاسلام وحده يجمع هذه القلوب المتنافرة ، وما كان الا حبل الله الذي يعتصم به الجميع فيصبحون بنعمة الله اخوانا متحابين متعاونين ، وما يمكن أن يجمع القلوب ويطارد الخلافات الا اخوة في الله تصغر الى جانبها الاحقاد التاريخية ، والثارات القبلية ، والأطماع الشخصية والرايات العنصرية ، ويتجمع الصف تحت لواء الله الكبير المتعال .

ولا يصلح أمر هذه الأمة الا بما صلح به أولها ، وعلينا أن ندرك نحن العرب ان الاسلام الحنيف جاء رسالة عامة للناس جميعا وقد قال الله لرسوله : (**قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا**) وقال : (**وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا**) .. وان ندرك مع هذا ان الاسلام نشأ عربيا ووصل الى الأمم عن طريق العرب وجاء كتابه الخالد بلسان عربي مبين ، وتوحدت الأمم باسمه على هذا اللسان يوم أن كان المسلمون يحتكمون إليه ، فالعرب هم عصبة الاسلام وحراسه ، وقد عرف النبي صلى الله عليه وسلم العروبة بقوله فيما رواه معاذ بن جبل (إلا إن العربية اللسان) .

ومن هنا كانت وحدة العرب أمرا لا بد منه لاعادة أمجادهم واعزاز سلطانهم . وفي هذه الوحدة التي تعتمد مبادىء الاسلام وتعاليمه النجاة من كل شر والقوة البانية المعمرة . وقد قال الله تعالى : (**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون**) والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .



جاءنا من رابطة العالم الاسلامي ما يلي ننشره حتى يقف قراؤنا على حقيقة المكر اليهودي :

ما تزال القوى الصهيونية في العالم تشن هجماتها الجائرة على الاسلام والمسلمين

وقد استغلوا في ذلك نفوذهم وسيطرتهم على بعض وسائل الاعلام الغربية وغيرها ، فها هي صحيفة « اريزونا » الجمهورية التي تصدر في الولايات المتحدة الامريكية ، تفرد مساحة من صدر صفحاتها الدينية ليجري من خلالها محررها المستر (ريتشارد ليسنر) مقابلة صحفية مع الكاتب اليهودي الصهيوني العنصري / ليون يوريس ، الذي انطلق في افتراءاته على الاسلام والمسلمين مدعيا ومركزا على ان الاسلام هو دين الشر والقوة غير المستقرة في الشرق الاوسط ، وبأن المسلمين في حرب دائمة مع غير المسلمين ونحن نقول للكاتب الصهيوني الحاقد يوريس ، ولامثاله ومن حذا حذوه : ان الاسلام دين سلام وتسامح ولكنه وقف ضد الظلم والعدوان وقاوم الطغاة ومضطهدي الانسانية وسيظل كذلك ،

فأي حضارة تلك التي تقر لاسرائيل ان تقوم بتدنيس قداسة اماكن العبادة ، ولكن الاسرائيليين من شدة حقدهم على الاسلام اجازوا لانفسهم القيام بحرقها .

او لم يسمع يوريس بادانات كل العالم التي تكال ضد اسرائيل في الجمعية العامة للامم المتحدة .. لو فعل ذلك او ابدى قليلا من الاهتمام لربما غير رأيه يقول إن اسرائيل قامت بالغاء وازالة مخيمات الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة بعد الحرب العربية الاسرائيلية عام ١٩٦٧ ، وشادت مساكن بسيطة التكاليف للاجئين ، ويزعم بان المستوى المعيشي للعرب في اسرائيل قد ارتفع وبأن تعدادهم قد زاد في القدس اكثر من ٩٠٪ ، بعد ضمها ، وهم بالاضافة لذلك يتمتعون هناك بحرية تفوق الحرية التي يتمتع بها سكان الاقطار الاسلامية الاخرى

يزعم هذا الصهيوني بكل هذه الافتراءات ناسيا او متناسيا ان كل العالم يرى ويسمع عن الأعمال الوحشية التي يقوم بها الاسرائيليون

ففي عام ١٩٦٩ م حاولت سلطات الاحتلال حرق المسجد الاقصى ، كما اصدرت اوامر بعدم استعمال مكبرات الصوت في الاذان ، وقامت بنقل ٤ آلاف موظف صهيوني للقدس ، وأعدت ١٣ الف دونم لتقام عليها ١٠ ـ ١٢ الف وحدة سكنية بالاضافة للمكاتب

ولا ينس التاريخ انه في الفترة من ١٩٧٧ الى ١٩٨١ م وهي فترة ائتلاف الليكود الحاكم بزعامة بيجن ، انه تم مصادرة مسجد بئر السبع وتحويله الى متحف ، ومصادرة المقابر الاسلامية في القطاع الغربي من يافا بالاضافة الى الاستيلاء على مسجد حسن بك في يافا والشروع في تحويله الى سوق تجاري ومركز سياحي ، واستباحة الحرم الابراهيمي والسماح لليهود بالصلاة فيه وهدم مسجد قرية الفريديس بحجة توسعة الشارع المار بجانبه ، كما قام العدو الاسرائيلي بالاعتداء على الحرم الابراهيمي الشريف يوم ١٤٠٢/١٢/١هـ

وفي الفترة من ١٩٧٢م وحتى عام ١٩٧٧م فقد تم هدم ٣٦٤٠ منزلا عربيا في الاراضي المحتلة ، ٤٣٥ في الجولان ، ٩١٩ في الضفة الغربية ، ألفي منزل في غزة وجنوب سيناء وما يزيد على ٣٠٠ في النقب ، ٣٣ في الجليل و٦ في وادي عمارة .

وقد استباح الاسرائيليون ارض لبنان يعيثون فيها كما يحلو لهم وفي فترة وجيزة دمروا ٣٢٧ مدينة وقرية في جنوب لبنان مع قيامهم بامطارها يوميا وشهريا بملايين الاطنان من القنابل .

ولا ننسى ضرب المفاعل النووي العراقي واخيرا في محرم ١٤٠٢هـ الموافق ١٩٨١/١١/٩م ، قامت طائراتها بانتهاك المجال الجوي السعودي للمنطقة الشمالية الغربية من المملكة .

اما سجون العدو فتفيض بالمناضلين من ابناء الشعب الفلسطيني ، ففي ديسمبر ١٩٦٧م اضرب حوالي ٤٠٠ شاب عربي معتقلين في سجون العدو عن الطعام ، مطالبين بوقف الاجراءات التعسفية الاسرائيلية ضدهم ومنحهم حقوقهم ، واضرب معهم ٥٠ طالبا بالجامعة العبرية

ولما تصاعدت موجات السخط والاحتجاج والمظاهرات ، قامت السلطات الاسرائيلية باغلاق جامعة بير زيت واعتقال الطلاب وتعطيل الدراسة بجامعة النجاح في نابلس في ١٨/١/١٤٠٢هـ ، حتى ان منظمة العفو الدولية احتجت لدى سلطات العدو الاسرائيلي على سوء المعاملة التي يلقاها المعتقلون العرب في سجون فلسطين المحتلة كما جاء اجماع دولي بادانة اسرائيل ، وذلك بقيادة كورت فالدهايم ، حيث قال ان مسألة القدس ذات اهمية اساسية ولا يمكن حلها بقرار من طرف واحد ، واكد على ضرورة ايجاد تسوية شاملة لمشكلة الشرق الاوسط ، تشترك فيها كافة الاطراف المعنية بما في ذلك منظمة التحرير الفلسطينية ، وان تقوم التسوية على اساس الحقوق الثابتة للفلسطيبيين بما في ذلك حقهم في تقرير المصير والانسحاب الاسرائيلي من الاراضي العربية المحتلة .. ولكن لا حياة لمن تنادي .

بعد كل هذا يحق لنا ان نتساءل ونسأل المستر يوريس وامثاله من هو في هذه الحالة الباغي والمعتدي ؟ اهو الذي استلبت حقوقه واراضيه ، ويحاول ان يبحث ويصر على ان يتمادى في غيه المشروع ؟ ام ذاك الذي يشن الغارات ويقتل الالاف من المدنيين

بالتأكيد ان اسرائيل مغتصبة معتدية وباغية وهي دولة بوليسية ارهابية وقوة مزعزعة للسلام العالمي .. وما اعلان الجولان ببعيد عن الاذهان والذي شجبه وادانه العالم .

ويمضي ليون يوريس في حديثه بنفس المقابلة الصحفية ويستمر في اطلاق افتراءاته قائلا بان الاسلام دين القضاء والقدر والجبرية ، وليس لعمل الناس قيمة في هذا العالم لأنه لا يؤمن بالقيم

ونحن نقول له ولكل من كان على شاكلته بان كل عمل يصدر من المسلم له وزن وقيمة في حساب الاسلام ، وقد رسم ذلك واوضحه المولى عز وجل شأنه في محكم تنزيله بقوله : (**فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره**) الزلزلة .

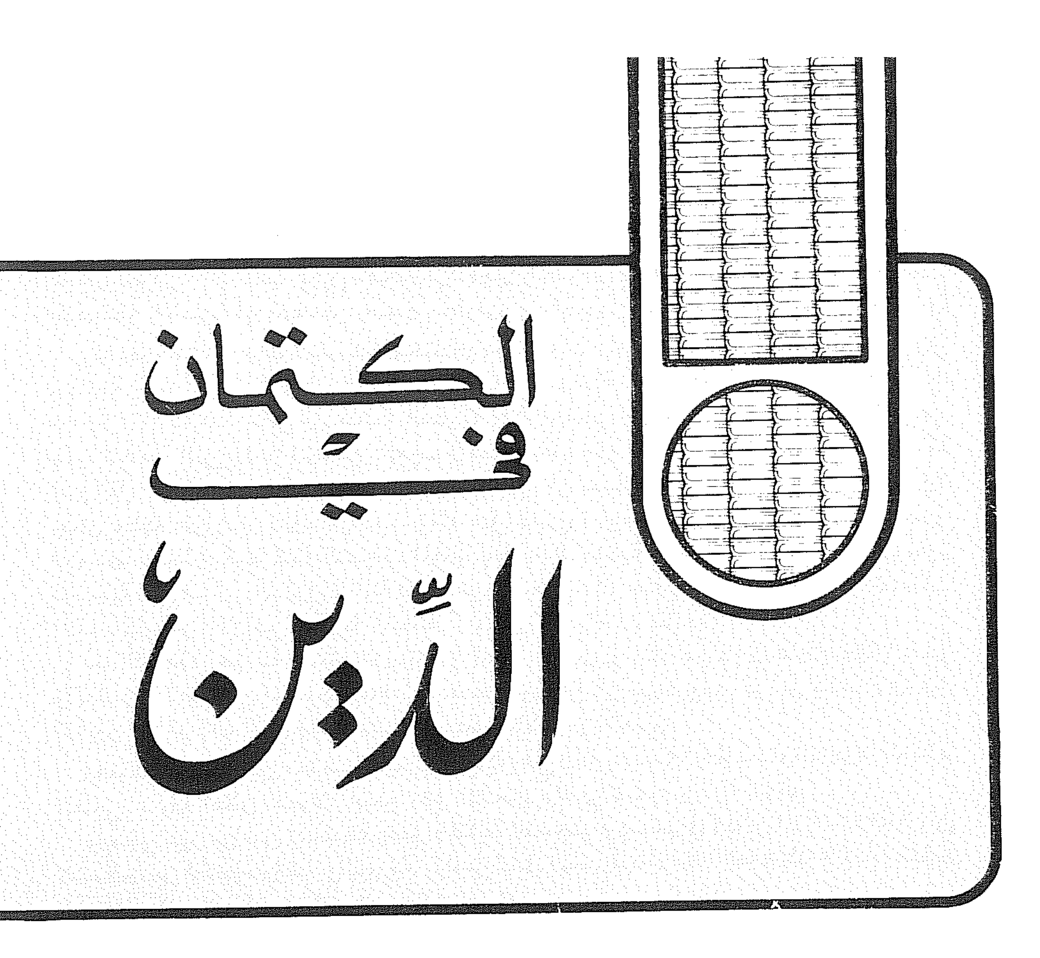
« ونقول للكاتب الصهيوني ولغيره ممن يحقدون على الاسلام ان تصرفات بعض المسلمين التي لا تتفق مع تعاليم الاسلام السمحة هي مجرد افعال محسوبة عليهم ولا تضير الاسلام »

ثم يمضي الكاتب فيتعرض لتقييم بعض الشخصيات العالمية نكتفي بما قاله عن مناحيم بيجن ، فهو يضرب الاهداف العسكرية فقط في حين ان منظمة التحرير الفلسطينية لا تضرب اية اهداف عسكرية ، ويصفه بانه متعصب ولكنه ككل الرؤساء الاسرائيليين محدود الحرية وهو زعيم وقائد قوي ، ويصف الذين يدافعون عن حقوقهم المشروعة بأنهم مجرمون ارهابيون .

اي منطق هذا الذي يجعل من الارهابي الشرس المعروف ، مدبر ومنفذ مذبحة دير ياسين وغيرها ومرتكب ابشع الجرائم مناحيم بيجن ، قائدا وزعيما ويصفه بانه يضرب الاهداف العسكرية فقط وممارساته كالشمس لكل العالم .. ويصف المجاهدين مسلوبي الحقوق ، الباحثين عن العدالة وحق تقرير المصير بالارهابيين المجرمين اوليس هو نفس المنطق الذي يبنون عليه افتراءاتهم واباطيلهم بان الاسلام دين الشر والقوة غير المستقرة !!

ولكنهم مهما فعلوا وقالوا فان افتراءاتهم مكشوفة واباطيلهم زائفة ، والحق ابلج : (**يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون**) .

رغم هذا يجب على كل المسلمين وعلماء المسلمين والجمعيات والهيئات الاسلامية ، ان يأخذوا حذرهم ، وان يتصدوا من على كل منبر لمثل هذه الترهات والاباطيل ، وضرورة كشفها وتفنيدها امام كل العالم وسد كل المنافذ والفرص امام هذه القوى العدوانية المناهضة للاسلام وتعاليم الاسلام ، والتي تغزل خيوط التآمر وتدبر الدسائس وترسم المخططات للعمل من اجل اضعاف الاسلام والمسلمين والتشكيك في تعاليم ومبادىء الدين الاسلامي الحنيف ، حتى تحين لها الفرصة بالانقضاض الكامل عليه .. ولن يتسنى ذلك لهم ابدا بإذن الله .



قرأت في « معجم الادباء » لياقوت الحموي ، بيتين من الشعر للحسين البغدادي ، وهما :

احفظ لسانك لا تبح بثلاثة سر ، ومال ما استطعت ، ومذهب

فعلى الثلاثة تبتلى بثلاثة بمكفر ، وبحاسـد ، ومكذب

فطاب لي ان احدث قراء « الوعي الاسلامي » ـ وهم اصدقائي القدامى ـ عن أربعة الوان لا ثلاثة فقط ، من الوان الكتمان في الدين والادب ..

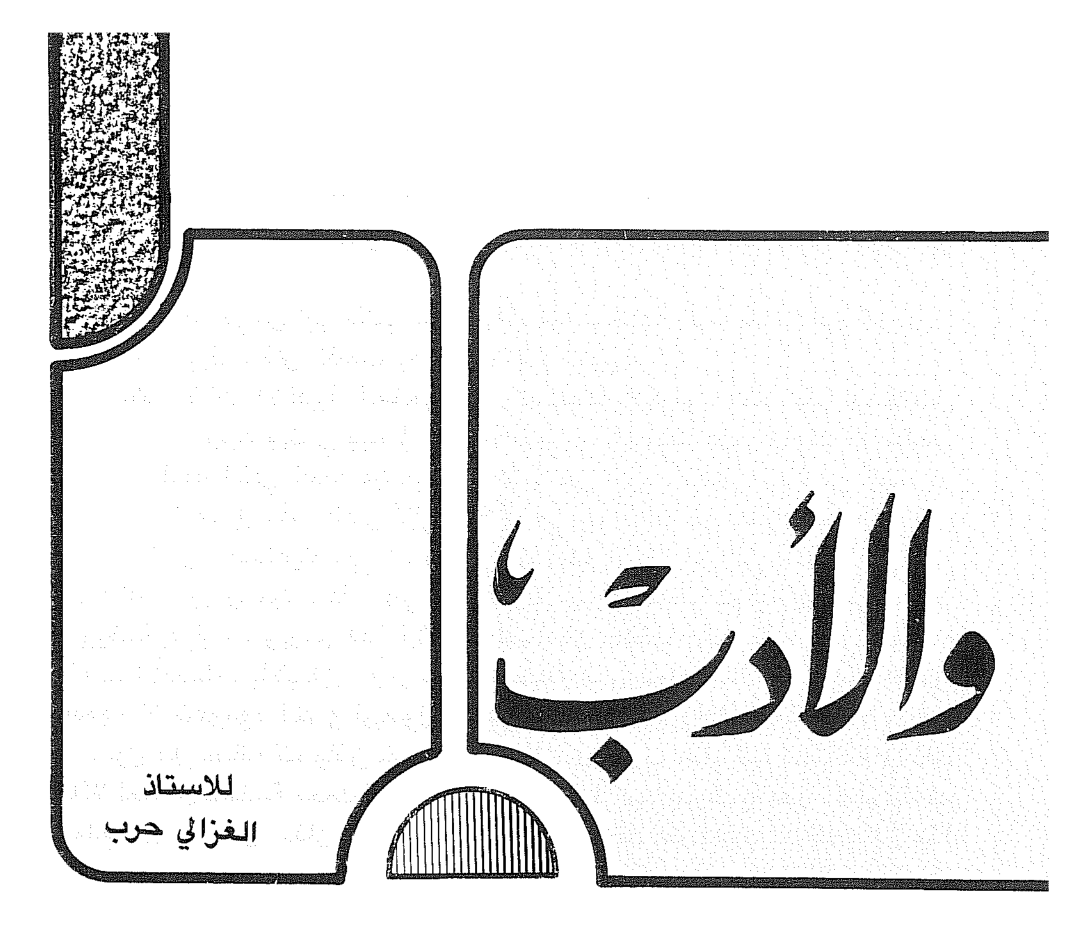
وهذه الالوان هي :

أ ـ كتمان الاسرار ـ ب ـ وكتمان العورات والمساوىء ـ ج ـ وكتمان الثروة والمال ـ د ـ وكتمان العمر والسن ..

أ ـ أما كتمان الأسرار

فما اشقه الا على الصفوة من الامناء المؤمنين ، الذين لا تضيق صدورهم بأسرار غيرهم ، فضلا عن اسرار انفسهم ، ومن روائع الوحي القرآني الكريم ، والهدى المحمدي الشريف هنا ، الآيات القرآنية الآتية :

(يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان



للانسان عدو مبين) يوسف/٥ **(يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم)** النساء/٧١ **(يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وانتم تعلمون)** الانفال/٢٧ .

والاحاديث النبوية التالية : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليقل خيرا او ليصمت » رواه النسائي « من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه » رواه الترمذي « استعينوا على انجاح الحوائج بالكتمان ، فان كل ذي نعمة محسود » رواه البيهقي .

وبهذا الادب الاسلامي ادب الله رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأحسن تأديبه ، وادب الرسول اصحابه فأحسن تأديبهم ، وكانوا في حرصهم على الكتمان مثلا عليا في اقوالهم واحوالهم ، وفي ظلاله الوارفة الهادئة الهادية :

١ ـ اوصى ابو بكر الصديق ، الخليفة الراشد الاول ، قائده الاسلامي الموفق ، شرحبيل بن حسنة قائلا : « ... واذا قدم عليك رسل عدوك فأكرم مثواهم ، واقلل لبثهم ، حتى يخرجوا من عندك ، وهم جاهلون بما عندك ، وامنع من قبلك من محادثتهم ، ولتكن انت الذي تلي كلامهم ، واستر في عسكرك الاخبار ».

٢ ـ وعدل عمر بن الخطاب عن تولية جبير بن مطعم ، خلفا للمغيرة بن شعبة على العراق ، لأن جبيرا هذا كان عمر قد اوعز اليه بالتجهز سرا للسفر ، واوصاه بالكتمان للسر حتى عن اقرب الناس اليه ، بيد انه لم يكن عند حسن ظن عمر به ،

فلم يلبث ان افشى هذا السر الى اهل بيته ، فاذا هو يذيع حتى يصل المغيرة بن شعبة نفسه ..
٣ ـ وارسلها على بن ابي طالب ـ رضي الله عنه ـ حكمة رائعة خالدة على الزمان : « سرك اسيرك ، فان تكلمت به صرت انت اسيره ».
وهكذا كانت الاغلبية العظمى من الصحابة الكرام ، مثلا عليا في كتمان الاسرار ، ونجوما يهتدي بهم في « امانة السر »، ولم يشذ عنهم في ذلك الا حاطب ابن ابي بلتعة الذي غلبته عصبية الجاهلية على امره ، فأفشى سرا من الاسرار العسكرية لرسول الله ، الذي نزل عليه الوحي بما اعانه على تدارك هذا السر قبل فوات الاوان ، مستعينا على ذلك ببعض اصحابه او بعلي بن ابي طالب الذي لحق بهذا السر قبل وصوله مكة ، على يدي امرأة ارسلها حاطب ثم ادركها علي « عند « روضة كاخ ».. وبرغم هذا الافشاء للسر من حاطب ابقى عليه وحي السماء شرف الاتصاف بالايمان ، وان حذره الخيانة لله ورسوله قائلا : **(يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون)** وابقى الرسول على حياته فلم يأذن لعمر بن الخطاب في ضرب عنقه كما استأذنه في ذلك قائلا لعمر في سياسة محمدية سماوية سمحة عليا : وما يدريك يا عمر ، لعل الله قد اطلع على اهل بدر ، وقال : اعملوا ما شئتم ، فاني قد غفرت لكم .. والحق ان هذا الصحابي الجليل برغم زلته ـ ولكل صارم نبوة ـ كان من صفوة المجاهدين في غزوة بدر الكبرى .. وكان بعد ذلك هو الرسول الذي حمله رسول الاسلام كتابه الى المقوقس عظيم القبط بمصر داعيا اياه الى الاسلام ، فتلقى المقوقس الرسالة المحمدية بكل توقير واجلال ، وتلطف في الرد عليها مرسلا الى الرسول بهدية الجاريتين المشهورتين اللتين كانت لهما في القبط مكانة عظيمة وهما : « مارية » القبطية التي ضمها الرسول اليه فولدت له ولده ابراهيم .. و « نسرين » اختها التي اهداها الرسول الى شاعره حسان بن ثابت ، فولدت له ولده عبد الرحمن .. وتقديرا من الرسول لهدايا المقوقس اليه ـ ولا سيما هاتان الجاريتان ـ قال الرسول يوصي المسلمين خيرا بالمصريين على مر الزمن : « ... فاستوصوا بأهل مصر خيرا ، فان لهم ذمة ورحما ، وصهرا ».
ومن روائع الادب العربي القديم في كتمان الاسرار : قول اكثم بن صيفي حكيم العرب : « الصمت حكم ، وقليل فاعله » وقول الشاعر المعل انس بن اسيد :

فلا تفش سرك الا اليك ... فان لكل نصيح نصيحا
فاني رأيت وشاة الرجال ... لا يتركون اديما صحيحا

وقول ابي مسلم الخراساني ، فخورا بنجاحه في شل ملك بني امية ، بالحزم والكتمان :

أدركت بالحزم والكتمان ما عجزت ... عنه ملوك بني مروان اذ جهدوا
ما زلت اسعى عليهم في ديارهم ... والقوم في غفلة بالشام قد رقدوا
حتى ضربتهم بالسيف فانتبهوا ... من نومة لم ينمها قبلهم احد
ومن رعى غنما في ارض مسبعة ... ونام عنها، تولى رعيها الاسد

ب ـ واما كتمان العورات والمساوىء :

فهو انبل واحكم الوان الكتمان ، ومن روائع الاحاديث النبوية الشريفة التي تدعو الانسان الى كتمان مساويه فضلا عن كتمان مساوىء الناس وعوراتهم ما يأتي : حديث « اذا بليتم فاستتروا » رواه الخاري وحديث « كل امتى معافي الا المجاهرون ، وان من المجانة ان يعمل الرجل بالليل عملا فيستره الله ، ثم يصبح ليكشف ستر الله عنه » رواه البخاري .

ولا يستطيع التأدب بأدب الكتمان لعورات غيره فضلا عن عورات نفسه ، الا العاقل الحكيم المتزن ، الذي يملك لسانه ، ولا يملكه لسانه ، وينظر دائما او غالبا بعين الرضا والسماحة ، لا بعين السخط والحقد ، مصداقا لقول عبد الله بن معاوية ـ كما في « رغبة الامل »ـ:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ... كما ان عين السخط تبدي المساويا

ومن خيرة هؤلاء العقلاء النبلاء ، الربيع بن خيثم ، الذي سأله احدهم : لماذا لا تعيب احدا بأي عيب ـ كما يفعل سواك ـ؟ فأجابهم : لست عن نفسي راضيا حتى اشغلها بذم الناس ، والتتبع لعوراتهم ومساوئهم ، ثم انشد البيت الاتي ـ وهو بيت القصيد :

لنفسي ابكي لست ابكي لغيرها ... لنفسي من نفسي عن الناس شاغل

ج ـ واما كتمان الثروة والمال :

فحسبنا من شواهده في ادبنا العربي العريق ، ان عبد الملك بن مروان ، سأل عبد الله بن يزيد بن خالد عن مقدار ما يملكه من الثروة والمال ، فأجابه عبد الله بن يزيد بما نهديه الى « اغنياء الحرب » وحديثي النعمة ،ـ كما جاء في « الكامل » للمبرد ـ: يا امير المؤمنين ، شيئان لا عيلة على معهما : الرضاء من الله ، والغنى عن الناس ..!!

فلما خرج عبد الله من عند الخليفة ، سأله احدهم : لماذا لم تخبر الخليفة بمقدار ثروتك ومالك ؟ فأجابه بقوله في يقظة واعية : لأن ما املكه ، لا يعدو ان يكون قليلا فيحقرني ، او كثيرا فيحسدني ..

د ـ واما كتمان العمر والسن الحقيقية :

فهو ما نختم به حديثنا عن الوان الكتمان ..

وكتمان العمر والسن ، مر في ادبنا العربي القديم بالمرحلتين الاتيتين :

مرحلة الصراحة والوضوح في العصر الجاهلي ، عصر البساطة والفطرة ..
ومرحلة الكتمان او التكتم ، تشبثا بالشباب الراحل وبقاياه وروائحه من بعيد او قريب ..

اما المرحلة الاولى : فخير من يمثلها من شعراء العصر الجاهلي ، زهير بن ابي سلمى ، ولبيد بن ربيعة : اما زهير فقد صرح بسنه الحقيقية التي بلغها في الثمانين من عمره قائلا :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا ـ لا ابالك ـ يسأم

واما لبيد بن ربيعة ، فقد صارحنا بسنه الحقيقيةمرات لا مرة واحدة ـ كما صنع زهير ـ:

أ ـ فحينما تجاوز العشرين من عمره قال :

كأني ـ وقد جاوزت عشرين حجة ـ خلعت بها عن منكبي ردائيا

ب ـ ولما بلغ سبعة وسبعين عاما ، قال يناجي نفسه في الم بالغ ، وامل متردد :

باتت تشكي الى الموت مجهشة وقد حملتك سبعا بعد سبعينا
فان تزيدي ثلاثا تبلغي املا وفي الثلاث وفاء للثمانينا

ج ـ وحينما بلغ امله ببلوغه الثمانين ، قال بيته المشهور بين علماء البلاغة في معرض الحديث عن الاطناب :

ان الثمانين ـ وبلغتها ـ قد احوجت سمعي الى ترجمان

د ـ ولما بلغ التسعين من عمره ، قال مشفقا على نفسه من السهام الزمنية التي تراه من حيث لا يراها وخاصة بعد ان جاوز التسعين :

كأني ـ وقد جاوزت تسعين حجة خلعت بها عني عذار لجامي
رمتني بنات الدهر من حيث لا ارى فكيف بمن يرمي وليس برامي ؟!!
فلو انني ارمي بنبل رأيتها ولكنني ارمي بغير سهام !!

هـ ـ وتحت وطأة ضربات السهام الخفية على مر الاعوام ، قال ـ وقد بلغ العام العاشر بعد المائة من عمره المديد ـ متسائلا في رجاء واشفاق ورضاء :

اليس في مائة قد عاشها رجل وفي تكامل عشر بعدها عمر

و ـ واخيرا بلغ العام العشرين بعد المائة من عمره . فلم يكلف نفسه عناء التحديد للسنوات الطويلة التي عاشها ، وقد عاش ثلاثة اعمار لا عمرا واحدا واكتفى في هدوء الشيخوخة الواهنة ، بتشبيه نفسه بالطائر ، الذي ذهب كر الاعوام بريشه حتى اعجزه عن الطيران ـ على حد تعبيره ـ في ابياته التي يكفينا منها قوله :

ولئن كبرت لقد عمرت كأنني غصن تفيأه الرياح رطيب !!

ز ـ ولما امتد به ارذل العمر الى العام الاربعين بعد المائة ـ كما قال بعضهم ـ او العام الخامس والسبعين بعد المائة ـ كما قال آخرون ـ سئم طول الحياة ، وسؤال الناس ، وقال بيته المشهور المعبر عن معنى المثل العربي القديم : كفى بالسلامة داء ..

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس : كيف لبيد

واما المرحلة الثانية : فهي مرحلة الكتمان او التكتم للسن الحقيقية ، بعد تجاوز مرحلة الشباب ، وما احر ما قاله الشعراء والادباء في البكاء والتحسر على الشباب ، فلا عجب ان قال الاصمعي كلمته المأثورة : « احسن انماط الشعر المراثي والبكاء على الشباب ، وقد امتد الغرام بكتمان السن الحقيقية الى بعض العلماء والادباء الذين نذكر منهم ـ على سبيل التمثيل لا الحصر ـ:

١ ـ الامام ابو بكر الانصاري ، كان ـ على علمه وفضله ـ اذا سأله الناس عن عمره ، اجابهم في ضيق بهم ، ونفور منهم : اقبلوا على شأنكم ، فانه لا ينبغي لاحد ان يخبر الناس عن سنه الحقيقية ، لأنه ان كان صغيرا استحقروه ، وان كان كبيرا استهرموه ، ثم انشد :

لي مدة لا بد بالغها فاذا انقضت وتصرمت مت
لو عاندتني الاسد ضارية ما ضرني ما لم يج الوقت

٢ ـ والاديب الاندلسي المشهور بالمقري الاكبر مؤلف « نفح الطيب » ، كان يقول عن نفسه : كان مولدي بتلمسان ، ووقفت على تاريخ ذلك ، ولكني رأيت كتمانه تأسيا بالسلف الصالح .

٣ ـ وابو الحسن بن مؤمن سأل ابا طاهر السلفي عن سنه فقال للسائل : اقبل على شأنك ، فاني سألت ابا الفتح بن زيان عن سنه فقال : اقبل على شأنك ، فأني سألت علي بن محمد بن اللبان عن سنه فقال : اقبل على شأنك ، فاني سألت حمزة ابن يوسف السهمي عن سنه ، فقال : اقبل على شأنك ، فاني سألت ابا بكر المنقري عن سنه فقال : اقبل على شأنك ، فاني سألت احد أصحاب الشافعي عن سنه فقال : اقبل على شأنك ، فاني سألت مالك بن انس عن سنه ، فقال : اقبل على شأنك ، ليس من المروءة للرجل ان يخبر عن سنه ـ وذلك ما ترونه في « نفح الطيب » للمقري ـ ومنه نرى مدى حرص بعض القدامى من افاضل العلماء والادباء على كتمان اسنانهم الحقيقية .. ولعلنا بعد ذلك نلتمس ـ ولو بعض العذر ـ للانسات والسيدات اللاتي عرف عنهن الحرص البالغ الشديد على كتمان اسنانهن ، وعدم تجاوز الثلاثين بله الاربعين من العمر ـ كائنا ما كان هذا العمر ـ كما فاضت بذلك الفكاهات والامثال والاغاني والازجال والاشعار شرقا وغربا ،

مائدة القارئ

ضيف ابراهيم

قال تعالى : « هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين . اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون . فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين . فقربه اليهم قال الا تاكلون . فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم . فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم . قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم » الآيات من سورة الذاريات .

قطعا للفتنة

كان الناس يأتون الشجرة التي بايع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تحتها بيعة الرضوان فيصلون عندها ، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فأوعدهم فيها وامر بها فقطعت وقال : اراكم ايها الناس رجعتم الى العزى ، الا لا اوتي منذ اليوم بأحد عاد لمثلها الا قتلته بالسيف كما يقتل المرتد .

السياسة

سأل الوليد بن عبدالملك اباه فقال : يا أبت ما السياسة ؟ قال : هيبة الخاصة مع صدق مودتها ، واقتياد قلوب العامة بالانصاف لها ، واحتمال هفوات الصنائع .

الزوج المناسب

قال رجل للحسن البصري ـ رضي الله عنه ـ ان لي ابنة فمن ترى ازوجها له ؟

قال : زوجها ممن يتقي الله عز وجل ، فان احبها اكرمها ، وان ابغضها لم يظلمها .

اكرام الضيف وأدب الاسلام

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، جائزته يوم وليلة ، والضيافة ثلاثة أيام ، فما بعد ذلك فهو صدقة ، ولا يحل له ان يثوى عنده حتى يحرجه » .

اخرجه البخاري

اساس الترشيح

اختار عمر ـ رضي الله عنه ـ للخلافة من بعده واحدا من ستة ـ وجاء ترشيحه لهم [illegible] على اساس ان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ توفي وهو عنهم راض ـ وهؤلاء الستة هم علي بن ابي طالب ، وعثمان بن عفان ، وعبدالرحمن بن عوف ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن ابي وقاص رضي الله عن الجميع .

الشورى

قال الشاعر :

تمسك بأهداب المشورة واستعن
بحزم نصيح او نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة
فريش الخوافي قوة للقوادم

حق الصديق

سئل عبدالله بن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ ما حق الصديق على صديقه ؟ قال : لا تشبع ويجوع ، وتلبس ويعرى وان تواسيه بالبيضاء والصفراء .

خصال جهل

قال حكيم : اربع من خصال الجهل :

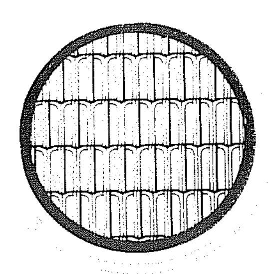
من غضب على من لا يرضيه ، وجلس الى من لا يدنيه ، وتفاقر الى من لا يغنيه ، وتكلم بما لا يعنيه .



الشجاعة في صنع القرار ، والاخلاص للصالح العام ، والحزم في مواجهة التحديات ، والثقة بالنفس ..

مع الاعتزاز بالله .. هي اثمن واعز ما تنطوي عليه جوانح القائد في موقع قيادته ، والرائد في مسار ريادته ، والسيد في سدة خلافته .. وبدونها ينتاب الخور القيادة ، ويصيب الوهن الريادة ، وتعصف رياح الفتن واضطراب الامر باعلام الخلافة والولاية .. لا فرق في ذلك بين عصر عاش فيه الخليفة الاول ابو بكر الصديق رضي الله عنه بما احاطه من بوادر التفكك والانهيار ، وما الم به من مظاهر النكسة والتصدع .. مما جعل اقوى الصحابة بأسا ، واشدهم مراسا يقف مبهور الانفاس ، مشتت الرأي ، كعمر بن الخطاب رضي الله عنه .. او عصر مماثل مما تتمحض عنه الحياة الحبلى بكل عجيبة ، الحافلة بكل جديدة غريبة من حوادثها الجلي ، واحداثها العظام .

والمتتبع لمواقف ابي بكر رضي الله عنه منذ اللحظة الاولى التي نودي فيها من مكان شرقي المدينة يقال له « السنح » حيث كان في زيارة احدى زوجتيه في دورتها .. اثر انصرافه من عيادة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو على فراش الموت ، واطمئنانه صباحا عليه بعد ان رآه في اشراقة اخيرة .. لم تلبث ان اعقبتها نوبة الموت ضحى الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة من الهجرة .. وجاءه النذير يحمل اليه النبأ الفاجع الذي جعل عمر يهجر في قوله ويقول : « ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ...، وليبعثنه الله ، فليقطعن ايدي رجال وارجلهم » .. وفي رواية اخرى : « ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما واعده الله كما واعد موسى فمكث عن قومه



اربعين ليلة ..» وهنا تبدو الاصالة والصدق في جوهر الصديق فيعود من فوره الى منزل ابنته عائشة رضي الله عنها حيث قبض الرسول .. فيدخل رابط الجأش ، قوي الشكيمة .. ويكشف عن وجه الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويكب عليه مقبلا قائلا :

« بابي انت وامي يا رسول الله .. طبت حيا وميتا ، والله لا يجمع الله عليك الموتتين .. اما الموتة التي كتب الله عليك فقدمتها » ثم خرج الى المسجد ، والناس فيه ينتظرون اي شيء ينقذهم من هذا التردي المفاجىء الذي اصابهم ، بينما كان على الجانب الاخر تتحرك فتنة الدولة والحكم والولاية ، وتنفث من حركتها المريبة حمما ينذر بالشر ، ويلوح بالخطر ..

وسط هذه الدوامة المتلاحقة من الانفعالات الهوجاء ، والتحركات المتعجلة - والنفوس الولهى

للدكتور/محمد محمد الشرقاوي

والتساؤلات المتلهفة .. يرقى ابو بكر الصديق منبر الرسول صلى الله عليه وسلم ويقف في نفس المكان الذي كان يقف فيه القائد والرائد والسيد من قبل ، وكأنه يشير بذلك اشارة حاسمة لا تنقصها الحكمة ولا الجرأة ولا الشجاعة .. الى ان المكان لم يعد شاغرا ، والى ان المقاليد لم تترك في مهب الرياح ، ان هذه الوقفة الخالدة في هذا المكان بالذات وفي ذلك الوقت الذي تقاصرت فيه الهمم ، وزاغت عنه العزائم ، وظللته الهيبة والرهبة من كل اقطاره نجد الصديق ابا بكر يخترق حجاب الهيبة والرهبة ، ويصعد درجات المنبر بقدم ثابتة وعزم اكيد على مواجهة الموقف بأول صوت يضع الامور في نصابها ويعيد المياه الى مجاريها .. فيحمد الله ويثني عليه ثم يقول : اما بعد ايها الناس .. من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ،

ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ثم قرأ قوله تعالى : « **وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين** » ال عمران/ ١٤٤ . فكانت هذه الكلمات كأنها طلقات المدافع في عصرنا هذا تنبيء بمقدم امر ذي بال ، او تحمل خبرا له اثره وخطره .. وكانت كطلقات المدافع في قوة اثرها ، وعمق نفوذها ، وتحطيم ما حولها من اوهام وخيالات ، وكانت كطلقات المدافع في غزو القلوب والعقول من جديد ، وفتحها بالنار والحديد لتسلم تسليما مطلقا للعهد الوليد ، والصوت الجهير ، والحقيقة الواقعة .. حتى انه كان من اثرها ان خرج الناس من المسجد وهم يرتلون هذه الاية في استيعاب شامل ، وادراك متجدد ، وكأنهم وهم يرددونها في سكك المدينة ودروبها لم يسمعوها الا في يومهم هذا ، ومن فوق منبرهم هذا .. وحتى كان الآية الكريمة لم تنزل الا ذلك اليوم .

وهكذا تبددت اوهام الناس وخيالاتهم ، وتحددت الحقيقة الوافدة بكل معالمها وجوانبها وابعادها بعد ان تردد كثير من الناس في الاقرار بها والتسليم لها .. الا وهي ان محمدا قد مات .. وكيف لا ؟ .. والصديق ابو بكر قد اعلن ذلك بملء فيه .. ومن اين ؟ من فوق منبر الرسول صلى الله عليه وسلم **هذه واحدة** ..

والثانية ـ ولعلها أخطرها شأنا وأبعدها أثرا ـ حينما اجتمع الانصار وحدهم في سقيفة بني ساعدة والرسول لا يزال مسجى على فراش الموت لما يدفن ، والناس مأخوذون بهول الفجيعة ، وعظم الكارثة منهم من يقول : ندفنه عند المنبر ، ومنهم من يقول : يدفن بالبقيع ، وابو بكر يضع لهم النقط فوق الحروف بقوله : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما دفن نبي قط الا في مكانه الذي توفي فيه » ادفنوه في موضع فراشه ، فوضع قوله الحاسم حدا للاقاويل ولم يعد هناك من يقول : يدفن في مسجده .. او بين اصحابه .. في هذا الوقت بالذات انعقد مؤتمر في غاية الاهمية والخطورة ضم قيادات الانصار واعلامهم ، وخطباءهم وذوي الرأي والمشورة فيهم ولكنهم لا يدرون ماذا يفعلون ، وعلى اي رأي يسيرون ، وعلم المهاجرون بتجمعهم فقال قائلهم : نرسل اليهم يأتوننا .. ولكن ابا بكر قال : بل نمشي اليهم .. وانقاد المهاجرون لمشورة الصديق ، وساروا اليهم وفيهم عمر وابو عبيدة .. وهنا ثار الجدل ، وتقارعت الاراء ، فقال : بعض الانصار : « منا امير ومنكم امير » وكان هذا رأي الحباب بن المنذر الذي يترجم به عن الاتجاه الغالب في رأي الانصار بقيادة رئيسهم سعد بن عبادة .. ويدعم هذا الرأي ما وقر في نفوسهم ان الامر لهم ـ او هكذا ينبغي ان يكون ـ لأن البلد بلدهم والمهاجرين كالضيوف عليهم ، ولأن اهل المدينة انصار الله ، وكتيبة الاسلام .. اما قريش فقد سبق لهم في ذلك الامر سابقة ، ولا يستساغ ان

يستأثروا بالامر من دون الانصار ولذلك وصف الحباب بن المنذر نفسه قبل ان يدلي برأيه فقال : « انا جذيلها المحكك ، وعذيقها المرجب » ولكن رأيا اخر من جانب المهاجرين رد عليه بقوله : « هذا والله اول الوهن » .. وفي زاوية اخرى نرى رجلين من الانصار لا يعجبهما كلام الحباب وهما : عويم ابن ساعدة الاوسي ومعن بن عدي حليف الانصار ، ويشيران على قومهما بترك الامر كله للمهاجرين .. بينما كان بشير بن سعد الخزرجي والد النعمان بن بشير .. يتواطأ مع عمر على مبايعة ابي بكر .. ووسط هذه اللجة المتلاطمة الامواج العاجة العجاج جاء الدور التاريخي لابي بكر الرائد والسيد والقائد ، فيقف وقفة كلها صراحة وشجاعة وحزم ، ويرتجل خطابا بليغا اكثر فيه من الكلام المدعم بالدليل ، والمنطق المؤيد بالبرهان وجاء فيه : « نحن الامراء وانتم الوزراء .. ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الائمة من قريش » .. كما قال : « اوصيكم بالانصار خيرا : ان تقبلوا من محسنهم ، وتتجاوزوا عن مسيئهم » ، ان الله سمانا الصادقين وسماكم المفلحين وقد امركم ان تكونوا معنا حيثما كنا فقال : « **يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** » التوبة/ ١١٩ وهو بذلك يشير الى قول الله تعالى : « **للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون** » الحشر٨/ ٩ ومما جاء في خطبته ايضا : « لقد علمتم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لو سلك الناس واديا وسلكت الانصار واديا سلكت وادي الانصار » .. ولقد علمت يا سعد - مخاطبا سعد بن عبادة رئيسهم - ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وانت قاعد : « قريش ولاة هذا الامر فبر الناس تبع لبرهم ، وفاجرهم تبع لفاجرهم » رواه احمد فرد عليه سعد : صدقت نحن الوزراء وانتم الامراء » وما هو الا ان فرغ ابو بكر من خطبته التي انبعثت من صميم ايمانه ، وعميق وجدانه ، وشعوره الصادق بسلامة الرؤية ، ورجاحة الفكرة ، حتى عملت كلماته في النفوس عمل السحر ، ونزلت بردا وسلاما على اتون الانفعالات المتأججة ، والمشاعر الملتهبة فأحالتها الى روح وريحان ، وتسليم واذعان ، وانفض اخطر المجالس واهمها ، واعقد المؤتمرات واكثرها حساسية والناس لا يكادون يصدقون ما حدث بعد ان أسلس الجميع قيادهم ، ووضعوا ازمة امورهم بيد الصديق ابي بكر خليفة الرسول الاول ، وزعيم الوحدة الاسلامية الامثل ..

أما الموقف **الثالث** فذلك حين ارتد

كثير من العرب من حول المدينة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وجعلت وفود القبائل تقدم المدينة فتقر بالصلاة وتجحد اداء الزكاة بعد وفاة الرسول .. قال ابن كثير: « .. ومنهم من احتج بقوله تعالى: « **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم** » التوبة/١٠٣ ولسنا ندفع الزكاة الا الى من صلاته سكن لنا .. اما وقد مات فلا صلاة له علينا ولا زكاة منا لغيره .. وكثر الكلام حول هذه الشبهة الزائفة .. ويبدو ان الامر كان قد استفحل شره، وادلهم خطره وان الجزيرة العربية قد خرجت من يد الخليفة الجديد او كادت، وأن داء الشرك وضلالات الجاهلية قد عاودت الظهور او رامت، حتى ان ابا بكر لما انفذ جيش اسامة الذي اوصى الرسول صلى الله عليه وسلم في اخريات ايامه بانفاذه اعترض عليه البعض ومنهم عمر الذي قال له: كيف ترسل هذا الجيش والعرب قد اضطربت عليك، ولكن ابا بكر يرد عليه: « لو لعبت الكلاب بخلاخيل نساء المدينة ما رددت جيشا انفذه رسول الله صلى الله عليه وسلم »، وكان عدد هذا الجيش سبعمائة حين اصدر اليهم الرسول قبل وفاته امرا بالمسير الى البلقاء (شرق الاردن حاليا) حيث قتل زيد ابن حارثة وجعفر بن ابي طالب وابن رواحة في موقعة « مؤته » من قبل .. ولقد صدق ما توقعه ابو بكر من وجه الحكمة في انفاذ هذا الجيش .. اذ انه في مسيرته التاريخية الى حيث امره الرسول. واقره ابو بكر سجل انتصارات مرئية وغير مرئية: اما المرئية فحين انتصر في قتاله مع الروم وألحق بهم الهزيمة، ورجع الجيش سالما مظفرا، واما غير المرئية: فلأنه كان لا يمر على قبيلة تراودها الرغبة في الردة الا قالوا: « لولا ان لهؤلاء قوة ما خرج مثل اولئك من عندهم » ...، فلما عاد الجيش مكللا بالنصر ثاب كثير من القبائل الى رشدها.

وهنا يلمع دور ابى بكر التاريخي في مقاومة القبائل المرتدة، فقد وقف وقفة الاسد الهصور وحده تقريبا وكان كثير من الصحابة ومنهم عمر يحاول ان يثنيه عن عزمه في محاربتهم طالبين منه الصبر والملاينة مرة، والاحتكام الى ظواهر النصوص مرة اخرى، ولكنه رضي الله عنه كان كالصخرة الصماء التي تتكسر على صلابتها ورسوخها الامواج العاتية، وتتناثر على سفحها حباتها متفتتة سرعان ما تعود ادراجها .. قال له عمر وغيره: اذا منعك العرب الزكاة فاصبر عليهم، وقال له غيره: اتركهم وما هم عليه من منع الزكاة وتألفهم حتى يثوبوا من ردتهم، ويتمكن الايمان من قلوبهم، ثم هم بعد ذلك يزكون .. ولكن رده رضي الله عنه كان واحدا مع الجميع وهو: والله لو منعوني عقالا وفي رواية عناقا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه .. والله لاقاتلن من فرق بين الزكاة والصلاة .. حتى قال له عمر: علام تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

« امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وان محمداً رسول الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله » .

ولكنه رد عليه بقوله : « ان الزكاة حق المال » فقال قائل : ومع من تقاتلهم ؟ فقال : الصديق : « وحدي حتى تنفرد سالفتي » والسالفة هي جانب العنق ولا تنفرد الا بالقتل .. قال عمر : فما هو الا ان شرح الله صدر ابى بكر للقتال ورأيت ذلك حتى عرفت انه الحق . ولم يكتف ابو بكر في هذا المقام بالقول يردده ، ولا بالعبارة والحجة يفحم بها ، ولكنه شفع ذلك بتعيين الامراء لقيادة الجند ، والعمال لجباية الزكاة ، وممن عينهم من القواد : ابو عبيدة بن الجراح ، وعمرو بن العاص ، وخالد ابن الوليد ، وخالد بن سعيد ، ويزيد ابن ابي سفيان وعكرمة بن ابي جهل ، والمهاجر بن ابي امية ، وشرحبيل بن حسنة ، ومعاوية بن ابي سفيان ، وسهيل بن عمرو ، والقعقاع بن عمرو ، وعرفجة بن هرثمة ، والعلاء بن الحضرمي ، والمثنى بن حارثة ، وحذيفة بن محصن .. ومن العمال : عتاب بن اسيد ، وعثمان بن العاص ، وزياد بن لبيد ، وابو موسى الاشعري ، ومعاذ بن جبل ، ويعلي بن منبه وغيرهم ولعلنا ندرك حجم الكارثة التي حلت بالاسلام من كثرة هؤلاء القواد والولاة مما يدل على ان المسألة لم تكن معالجة قبيلة او قبائل .. بل ان موجة الردة قد غطت الجزيرة تقريبا حتى قالت عائشة رضي الله عنها : « لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب واشربت النفاق والله لقد نزل بي ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها ، وصار اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كأنهم معزى مطيرة في حسن في ليلة مطيرة بأرض مسبعة فوالله ما اختلفوا في نقطة الا طار ابي بخطلها وعنانها وفصلها ».

رضي الله عنك يا ام المؤمنين .. اذا كنت ـ وانت بعيدة عن موقع المسئولية القيادية والريادية ـ قد اصابك ما لا تحتمله الجبال الشم .. فكيف بحال ابيك الرائد والقائد والسيد وهو يحمل العبء كله على كتفه وحده ، ويتدارك الأمة في هذا المنحنى الخطر في مسيرتها الرائدة .. وكيف وعمر بقوته وصلابته يدعوه الى المسالمة باللين مرة وبالاثار المروية مرة ويصور له الموقف تصويرا رهيبا حين يظهره انه وحده بلا مقاتل .. وابوك هو ابوك الذي صاحب الرسول صلى الله عليه وسلم في اخطر رحلاته واستبرأ له الغار في احلك ظلماته .. ويأبى الله الا أن يصحب الاسلام مرة اخرى في ادق اوقاته ،

واحرج مواقفه فيخرج منها كما خرج مع صاحبه من الغار محفوفا برعاية الله وعنايته ، مؤيدا بجند الله وحمايته .. ويروي لنا التاريخ ان العرب قد عادوا الى حظيرة الاسلام صاغرين او راضين ... فأدوا العناق او العقال الذي كانوا يؤدونه للرسول صلى الله عليه وسلم لخليفته بعد ان قاتلهم السيد الرائد القائد .



للدكتور/ابراهيم علي أبو الخشب

الذي يحار فيه الفهم ، ولا يمكن أن يدركه العقل ، في حين أنه يثير الدهش والغرابة ، والحيرة والارتباك . أن الكتب السماوية - السابقة - التي أنزلها الله على أنبيائه ورسله من قبل قد صارت في ذمة التاريخ لا يعرف الناس منها غير أسمائها ، فاذا ما أرادوا أن يقفوا على مسمياتها كانوا يحاولون العبث ، أو يطلبون ما لا يمكن ادراكه ولولا أن القرآن الكريم جاء في ثناياه ذكر بعض منها كالزبور والتوراة والانجيل ماكانت هذه المسميات تجول بخاطرنا ، أو يجري ذكرها على ألسنتنا ، وحين يقول القائلون ان هذه الكتب كثيرا ما يردد الناس اسمها مقترنا بأسماء أولئك الذين هذبوها أو شرحوها أو نقلوها الى العربية بعد العبرية أو السريانية - كما قيل في انجيل متى أو لوقا أو برنابا مثلا - كان السؤال الذي يلح على السامع هو أين هو هذا الأصل لتلك الكتب الذي كان بين يدي هؤلاء وهم يهذبون أو يشرحون أو ينقلون الى العربية ، ومع الايمان بأن هذه الكتب كانت همزة الوصل بين الله وبين عباده ، حملها اليهم أنبياؤه ورسله . وفيها هدايته لهم ونوره فيهم ، وبره بهم ، وارشاده اياهم ، الا أننا لا نشك في أن مهمتها كانت محدودة ، وأن هذه الرسالات مهما قيل في دورها الذي أدته - أو كانت - تؤديه للانسانية . كانت خطوات ، تنتهي الأولى منها لتجيء الثانية لتخلفها الثالثة . وهكذا دواليك ، وكل كتاب من هذه نهايته بداية الذي يليه ولم يكن فيه من الحصانة ما يضمن له البقاء ، أو يحول بينه وبين عبث العابثين به ، أو المتطاولين عليه ، والعبث والتطاول من الأمور المحتملة من غير شك ، وقد أثبت التاريخ بما لا يدع مجالا للمهاترة أن ذلك كله قد حدث لهذه الكتب التي لم يكن فيها من الحصانة ما يضمن لها السلامة من عدوان المعتدين ، وعبث العابثين ، كما أخبر القرآن الكريم أنهم جعلوا منها قراطيس يظهرون منها ما يريدون

اظهاره ، أو يخفون منها ما يريدون اخفاءه ـ كذلك ـ اذا كانت مصلحتهم تقتضي هذا أو ذاك ، ثم انتهى ذلك بالصراع الذي أجمله القرآن بقول اليهود عن النصارى أنهم ليسوا على شيء ، وقول النصارى عن اليهود مثل هذا القول في حين أن هؤلاء وهؤلاء عطلوا فيما بينهم العمل بكتابهم : **(ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون)** المائدة/٦٦ .. ويظهر من سياق الآيات في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أن كل رسول لاحق كان يعنى كل العناية بتوطيد دعائم كتاب الرسول السابق ، ولهذا تقول الآية الكريمة عن عيسى عليه السلام : **(وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين)** المائدة/٤٦ .. وتقول الآية الأخرى عن نبينا عليه أفضل الصلاة وأتم السلام : **(وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق)** المائدة/٤٨ . وكأنما كان ذلك تمهيدا لاستجابة أهل هذا الكتاب السابق لأنهم اذا علموا أن هذه الدعوة الجديدة لم تكن غريبة عليهم ، ولا بعيدة عنهم وانها امتداد لمسيرتهم التي ابتدأها رسولهم لم يترددوا في الايمان بها ، والتصديق لصاحبها ، وقد جاء في الحديث النبوي الشريف أن الأنبياء أبناء علات ، وفي القرآن الكريم يخاطب محمدا صلى الله عليه وسلم : **(ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك)** فصلت/٤٣ . **(وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه)** الأنعام/٩٢ . وما من كتاب من هذه كلها الا كان هكذا مصدقا الذي بين يديه ، لأن الرسالات السماوية على اختلاف الأزمان والأشخاص كانت دعوة الى إفراد الله بالخلق والرزق ، والحياة والموت ، وتدبير الأمور ، وقضاء الأشياء وانه لا يزاحمه جبار ، ولا يغالبه قوى ، ولا يخرج على ارادته مسلط . والذي يدلنا دلالة لا ريب فيها أن مهمة هؤلاء الرسل لا تختلف اختلافا يجعلها متباينة أو متعارضة ، ما يفيده حديثه صلى الله عليه وسلم من أن مثل ما جاء به هو والأنبياء من قبله مثل رجل بنى بيتا كان موضع اعجاب الناس واكبارهم لا ينقصه الا فراغ كان من تمامه أن تتحيزه لبنة في ذلك البناء ، لهذا كانوا يرون أنه لو جعلت اللبنة في هذا الفراغ لتكامل حسنه ، وتم بناؤه ويقول في نهاية الحديث ، فأنا اللبنة من هذا البناء غير أنه لا نبي بعدي ، وهو واضح في أن وظيفة هؤلاء الدعاة كانت منحصرة في توجيه الخلق الى عبودية الخالق لا أكثر ولا أقل : **(أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه)** الشورى/١٣ ، الا أن هذه الفرقة التي حدثت كانت مثار نقاش بين أهل

الفكر وأصحاب الرأي ، ودهاقين النظر ، هل كان ذلك من الكتب التي تعددت أسماؤها ومسمياتها ، أو كان من الدعاة وقد حامت حولهم شبهة العبث والتغيير أو كان من الاجتهاد في الفهم ، والاجتهاد ميدان واسع تضل فيه الأفكار ، وتختلف فيه الأفهام ، وقبل أن يتشعب الحديث نبادر الى القول بأنه لا اجتهاد مع النص ـ كما يقول علماء الأصول ـ والعيب كله كامن في أولئك الذين زعموا أنهم قوامون على هذه الكتب ـ ولا كتب ـ ويقول المرحوم الاستاذ سيد قطب في كتابه « المستقبل للاسلام » : « لقد جاء موسى عليه السلام بالتوراة لتكون منهجا لحياة بني اسرائيل . كما جاء كل دين قبلها ليكون منهج حياة لمن جاءهم ، وجاء عيسى عليه السلام بالانجيل ليكون المنهج المعدل لبني اسرائيل . ولكن اليهود لم يقبلوا رسالة المسيح . ومن ثم قاوموه وقاوموا دعوته . وانتهى بهم الأمر الى اغراء « بيلاطس » الحاكم الروماني على أرض الشام يومئذ بمحاولة قتله لولا أن توفاه الله ورفعه اليه ، وأيا ما كان الأمر فقد سارت الأمور بعد ذلك بين اليهود وأتباع عيسى عليه السلام مسيرتها البائسة . فبذرت بذور الحقد على اليهود في نفوس الذين صاروا نصارى ، كما بذرت بذور الكره في نفوس اليهود على هؤلاء ، وانتهت بانفصال أتباع المسيح عن اليهود ، وانفصال النصرانية كما صاغتها الكنيسة والمجامع المقدسة عن اليهودية ـ كما صاغها أحبار بني اسرائيل مع أن ما جاء به عيسى في الأصل كان تكملة لما جاء به موسى عليه السلام . ولما وقعت الجفوة بين أتباع عيسى عليه السلام واليهود ، انفصل كتابهم الذي يسمونه العهد الجديد عن كتاب اليهود الذي يسمونه العهد القديم ، وبذلك لم يعد للنصرانية بعد هذا الانفصال شريعة مفصلة تنظم الحياة .. غير أن الذي حدث هو أن عهدا طويلا من الاضطهاد الفظيع قد أظل أتباع عيسى عليه السلام سواء جاء هذا الاضطهاد من اليهود المنكرين لما جاء به المسيح أو من الرومان الوثنيين الذين يحكمونهم ، وهنالك اضطر تلاميذ المسيح وأتباعهم الى التخفي والتنقل والعمل سرا فترة طويلة ضاعت فيها نصوص الانجيل الذي أنزله الله على عيسى . وحينئذ كان الاعتماد على تلاميذه الذين يختلفون في الرواية عنه .. وقد كتب أقدم هذه الأناجيل بعد المسيح بجيل كامل ، ويختلف المؤرخون للنصرانية اختلافا كبيرا في هذه المدة ما بين أربعين أو نيف وستين سنة ، كما يختلفون في اللغة التي كتب بها . اذ لم يوجد له أصل ، وانما وجدت الترجمة فقط .

ولقد كان من نصيب « بولس » الذي لم ير المسيح عليه السلام أن يتولى نشر النصرانية في أوروبا مطعمة بما رسب في تصوراته من الوثنية الرومانية والفلسفة الاغريقية وكانت الكارثة العظمى في دخول الامبراطور الروماني « قسطنطين » في النصرانية فقد قضى عمره في الظلم والفجور ولم

يتقيد بأوامر الكنيسة الا قليلا في أواخر عمره ، واذا كانت الجماعة النصرانية قد بلغت من القوة بحيث ولت قسطنطين الملك ، ولكنها لم تقطع دابر الوثنية ، وكان من نتائج كفاحها واختلاط مبادئها أن نشأ دين جديد من النصرانية والوثنية ، وابتدأت بعد ذلك صراعات في المسيحية لا نهاية لها ، كان منها تيار الرهبانية العاتية التي كانت أشأم على البشرية من بهيمية الرومان وتحللها ، اذ اكتشف الناس أن حياة رجال الكنيسة تعج بالفواحش في أشد صورها .. ولا نريد أن نسترسل معك في حديث سيد قطب الذي يعتمد فيه كل الاعتماد على كتاب « محاضرات في النصرانية » للعالم الاسلامي الكبير « أبي زهرة » ، وانما أردنا ـ فقط ـ أن نذكر لك أن هذه الكتب السماوية لم تعد لها قداستها واحترامها ، والثقة فيها ، والاطمئنان اليها ، بعد هذا الذي أصابها من أهلها ، ومن عوادي الزمن كذلك ، واذا كنا قد قلنا من قبل إن أصولها غير موجودة حتى في المتاحف الأثرية التي تحرص على الاحتفاظ بالأشياء النادرة . فان أخانا سيد قطب ـ وأبا زهرة ـ يشاركنا في هذا الرأي ، الا أننا نزيد على ذلك أن عوامل الضياع ـ أو الفناء ـ لهذه الكتب كانت موفورة تتمثل في أكثر من سبب واحد ، فالى جانب الصراع بين أهل العهد القديم وأهل العهد الجديد ، أولئك الذين دونوا هذه الكتب على بعد مسافة التاريخ أو قربها ، ثم أولئك الذين اخترعوا من الكهنوت أو غيره أشياء لا أصل لها . وترتب على ذلك كله ثورات كانت باسم الاصلاح الديني حينا أو باسم آخر حينا ثانيا وهكذا توجد علة عدم الثقة التاريخية وعلة العلل في ذلك الحلقة المفقودة التي لا يستطيع أحد أن يعثر عليها وهي اللغة التي كانت بها هذه الكتب ، على أن هذه اللغة التي كانت بها هذه الكتب لا تفيدنا ولا تفيد هذه الكتب شيئا ، وانما يفيدها ان يكون في هذه اللغة من الحصانة ما يحول بينها وبين العدوان عليها ، كما كان الحال في القرآن الكريم الذي لاقى من الاحن والصراعات والحروب ما لا يذكر في جانبه هذا الذي صادف هذه الكتب ونحن نعلم أنه قوبل بالعداوة والصد والاعراض والخصومة ، والكراهية والبغض والتحدي والتكذيب وكان ذلك منذ أول يوم ابتدأ فيه نزول جبريل عليه السلام ببعض آياته على محمد صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا الذي وصل فيه التاريخ الى أربعة عشر قرنا ومع ذلك يزداد تمكينا في الأرض ، ودويا في الآذان ، وروعة في القلوب ، وسحرا في البيان ، واعجازا في البلاغة واصلاحا للنفوس ، وتقويما للطباع ، وخلودا على الدهر ، وتحديا للمتطاولين ، وتسفيها للمكذبين لأنه كتاب البشرية وقانون الانسانية ، ودستور الحياة ، وهداية السماء ، وحديث الخالق الى المخلوقين ولا يستطيع أحد أن يسكت صوته تبارك وتعالى وهو ينادي في القلوب والأفئدة : **(ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم)** الاسراء/ ٩ .



للدكتور / محمود محمد عماره

يتميز المتقون من الناس كما يتميز الماس من الفحم . وهما من أصل واحد ! ان فص الماس يتحمل الضغط العالي .. وكلما صببت عليه النار .. ردها اليك نورا ..

أما الفحم : فهو الفحم دائما : ظلمات بعضها فوق بعض .

وعلى كثرة ما تحمل الأرض من ألوان البشر .. فان جماهير غفيرة تمضي على وجوهها .. مدفوعة بغرائز الأنانية .. محكومة بمنطق المنفعة :

خلقوا .. وما خلقوا لمكرمة
فكأنهم خلقوا .. وما خلقوا
رزقوا .. وما رزقوا سماح يد
فكأنهم رزقوا .. وما رزقوا !

ومن دون هؤلاء جميعا يمضي المتقون على سواء الصراط : هداة الى الحق .. دعاة الى الخير .. وكأنما أقامهم الحق سبحانه حجة على الناس ـ ليفتحوا أبصارهم على نماذج منهم .. يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق مثلهم .. لكنهم عاشوا فوق مستوى المنفعة ..

وحين نزغتهم من الدنيا نوازغ الشهوات .. تخطوا الحواجز النفسية .. واتخذوا الحق والخير سبيلا ..

يقول الحق سبحانه :

(زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب) آل عمران/ ١٤ .

(قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد) آل عمران/ ١٥ .

فالحياة بكل ما فيها من صور المتاع مبسوطة أمام كل الناس .. حتى المتقين منهم .. والقدرة على الاستمتاع بهذه الطيبات قاسم مشترك بين الناس جميعا .. وعندما يقف أكثر الناس بوجودهم في السفح .. وعند مستوى المتعة الحسية بنسائهم .. وأولادهم .. وأرضهم .. فان المتقين على ما فيهم من غرائز الجنس .. والأبوة .. والتملك ـ مثلهم ـ الا أن الحياة تبدو في أعينهم في حجمها الطبيعي

وهذه الشهوات .. كما تشير الآيات : « متاع » ـ محدود القيمة .. سريع الزوال . ثم هو « متاع الحياة الدنيا » .. لا يشكل هدفا بعيدا .. تشد اليه الرحال .. ويشقى من أجله الرجال ! ويفتح السياق القرآني هنا أبصار الصفوة على أفق أعلى .. ليتذوقوا النعمة الحقيقية من وراء ذلك كله :

(قل أؤنبئكم بخير من ذلكم)

ان المتقين يحبون النساء .. ولكن قصد الاعفاف . وكثرة الأولاد .. ويحبون الخيل المسومة .. اعدادا للمعركة الفاصلة بين الحق والباطل ..وأولادهم متعة الحس والنفس .. بيد أنهم لا يتحولون الى فتنة تلهي عن مطالب الايمان .. ان الشعور بجمال الحياة مطلب في منهج التقوى .. جمال الحياة .. في ظاهرها وباطنها على سواء .

ومعنى ذلك أن التقوى تمنح أربابها حسا بصيرا بعواقب الأمور .. ينفذون به من الشكل الى الموضوع .. من القشرة الى اللب .. ايثارا للباقي على الفانى ..وضنا بطاقات النفس أن تطير شعاعا على موائد الترف والمجون . وفي الوقت الذي يتقلب فيه المترفون بين أعطاف النعيم ..وحينما يدلون بما يملكون من مال وسلطة .. وعندما يخرجون على الناس في زينتهم .. بما لها من بريق خداع .. فان المتقين لا يتخلون عن دورهم أبدا .. ولا تثنيهم المظاهر البراقة عن المضي الى حيث ترمي الهمة فيهم ..

بعيدا .. على طريق الكمال الانساني :

(لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد . متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد . لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للأبرار) آل عمران/ ١٩٦ ـ ١٩٨ .

واذا أحسن المتقون استقبال النعيم الدنيوي .. فكان في حسابهم معراجا الى أفق أعلى .. فان ملكاتهم النفسية والعقلية تحسن أيضا استقبال واردات الهداية : تقرأ .. وتفهم .. وتوازن .. ثم تختار ..

ان القرآن الكريم معروض أمام كل الناس .. لكن الكثرة الكاثرة لا يأخذون منه الا كما تأخذ هبة النسيم العابرة من الروض الناضر .. أما المتقون .. فهم وحدهم المنتفعون به .. الذين يملأون صدورهم من عبقه .. وقلوبهم من حقائقه : **(ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين)** البقرة/ ٢ . وعندما تختلط السبل أمام السالكين .. فيشتجر الخلاف .. ويغيم الجو .. ويختلط الحق بالباطل .. وتحتوي الناس حيرة قاتلة .. تصبح التقوى حينئذ طوق النجاة ـ وفرقانا يميز به المتقي الخبيث من الطيب . والباطل من الحق :

(يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم) الانفال/ ٢٩ . ان القلب الموصول بالحق لا يخطىء الحق أبدا .. وما أعظم الفضل حينئذ : فبينما يضيع العصاة أوقاتهم ويبددون طاقاتهم في محاولات الخروج من فتنة الحيرة ..

فان طاقات المتقين وأوقاتهم مرصودة لبناء طوابق عليا .. فوق الأساس السليم بما منحهم الله تعالى من بصيرة يكشفون بها معالم الطريق .. وحتى في لحظات الخطر المحدق .. فانهم يبصرون سنن الله في النصر والهزيمة فلا يبطرون في الأولى .. ولا ييأسون في الثانية : **(قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين . هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين)** آل عمران/ ١٣٧و١٣٨ . .

وهذه السنن الالهية الماضية في الاجتماع البشري واضحة كالشمس .. تملأ العيون وتدركها العقول . ولكن بعض الناس لا يرى الشمس .. حتى في الضحوة الكبرى .. واذا رآها .. فكأنها شيء لا يعنيه !

وينفرد المتقون بالرؤية الواضحة لحقائق الكون والحياة : انهم يفتحون كل منافذ الحس فيهم .. فاذا هم على الحق سائرون .. يجددون بالعمل ما بلي من قيم .. ويمسحون بالتوبة ما يعلق بهم من غبار الطريق .. انهم ليسوا « آلات تصوير » .. ازاء ما يشاهدون ويحسون .. وانما هم أجهزة استقبال لو أرادت الهداية .. تعطيهم الآيات أسرارها لتصبح في كياناتهم لا مجرد معرفة نظرية وانما

(هدى وموعظة) تستجيش قلب الانسان وعقله ليقبل بكيانه كله على أمر الله تعالى .

وفي غمرة الاندفاع في معركة الحياة تكون للمتقين مع الشيطان جولات .. قد يحقق فيها الشيطان نصرا ولكنه النصر الجزئي المؤقت .. والذي يصحو المتقون فور حدوثه على صوت النذير آتيا من أعماقهم .. والذي لا يغيب أبدا على ما يقول سبحانه : (**ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون**) الأعراف/٢٠١ وتطالعنا الآية الكريمة بأمور :

١ ـ الذين صارت لهم التقوى ملكة راسخة .. لن يكونوا بمفازة من الشيطان أبدا .. ويمكن ليده أن تناوشهم لحظة ..

٢ ـ وأن هجمة الشيطان على حمى المتقي تنحسر في النهاية عن مس خاطف واجف .. لا يحدث في بنائهم صدعا .. ولا في قلوبهم وهما .. ولا في بصيرتهم غيما .

٣ ـ وان حساسية قلوبهم تجاه المعصية تجعل رد الفعل صحوة كبرى يخنس لها الشيطان بعيدا ..

٤ ـ وهذا الضمير الصاحي لا يغيب أبدا كما يفيد التعبير القرآني : (**فاذا هم مبصرون**) .

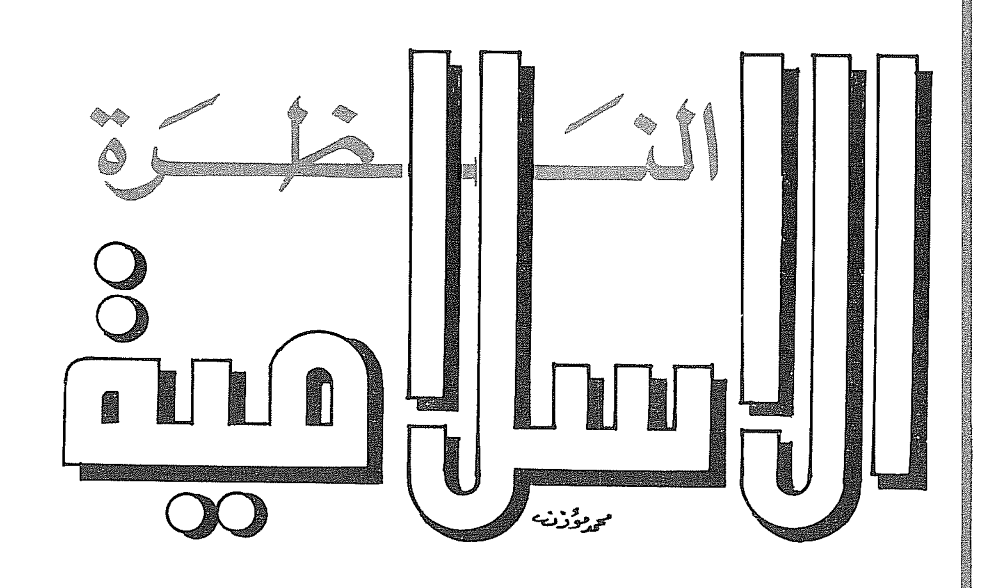
وكيف ؟! :

اذا ضاعت ساعتك .. ثم بحثت عنها فوجدتها .. فمعنى ذلك أنها غابت عنك زمنا .. ثم ردها البحث اليك . أما اذا تفقدت ساعتك التي ظننتها قد ضاعت فاذا هي في يدك .. فمعنى ذلك أنها لم تغب .. ولكن الغفلة أذهلتك عنها ! فاذا قال الحق تبارك وتعالى : (**فاذا هم مبصرون** ..) أي : اذا هم على العهد مبصرون .. لم يحرموا وهج البصيرة لحظة من زمان .. مهما وسوس الشيطان ! في الوقت الذي يظل اخوان الشيطان من الغاوين في غمرة لا تنجلي من الضلال ..

أما الذين اتقوا فمس الشيطان لهم على ما عرفت ـ مثل سحابة الصيف . أو عارض الطيف سرعان ما ينجلي باذن الله .. « بل اننا اذا أمعنا النظر في حكمة ابتلاء المؤمنين بهذه الزلازل السطحية . وجدنا فيها كثيرا من الذكرى والتبصرة : فانما يريد الله بها أن يصهر قلوبهم بنار الخوف على ايمانهم . ليزدادوا حرصا عليه والتجاء الى الله في حفظه .

اذ من ذا الذي يرى اللصوص يطوفون حول حصنه ، ويطوقون بابه ثم يأمن أن يلجوه أو يظهروه أو يستطيعوا له نقبا ؟ فكذلك المؤمن : اذا مسه طائف من لصوص الشياطين أوجس منهم خيفة أن يتسوروا محراب قلبه ، وأن يسرقوا منه أنفس ما فيه ، وهو جوهرة ايمانه ، لأن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه . ولأن الله الذي أقدر هؤلاء الشياطين على الوصول الى باب الحصن قادر على أن يفتح لهم ويمكنهم منه » .

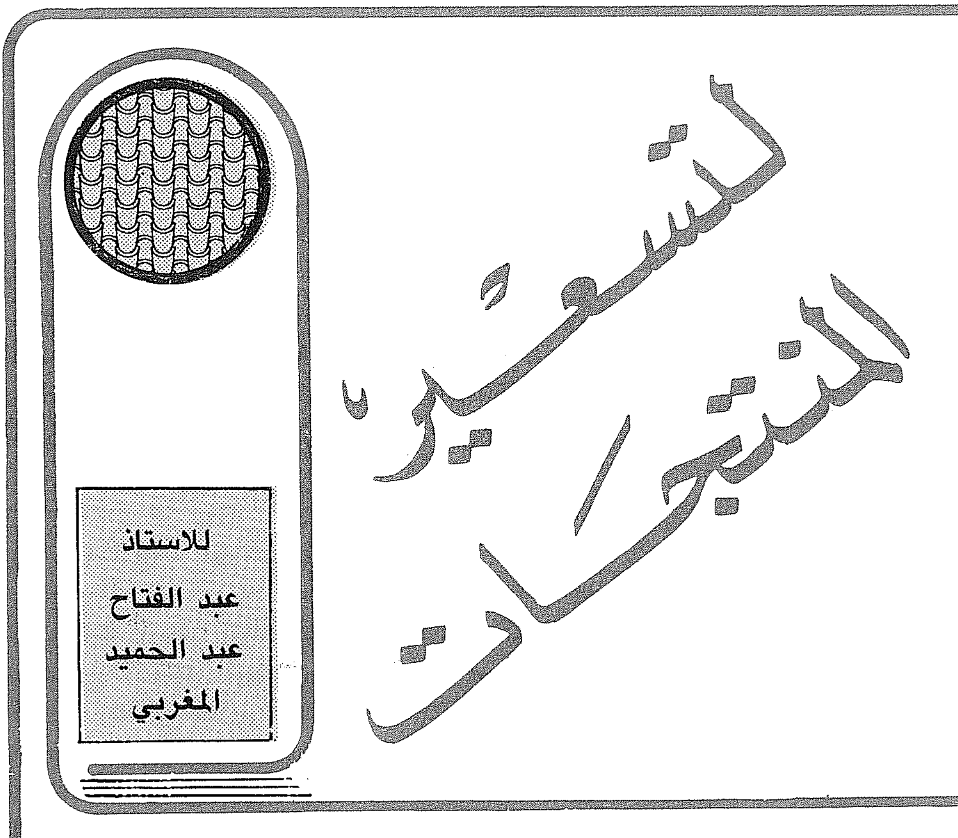
ومن هنا يظل المسلم على حذر .. وعلى أهبة الاستعداد دائما ليرد كيد الشيطان .. فلا ينام عن قلبه .. عن عقله .. ليظل آمنا من عبث الذئاب .



تمهيد :

الحديث في هذا الموضوع جد شيق وذو اهمية بالغة ووزن عظيم في عالم الاقتصاد ، فهو من اساسيات التعامل في السوق ، فلا تعقد الصفقات ، ولا تكتب العقود ويتم البيع الا بعد الاتفاق عليه ، ويؤثر تأثيرا كبيرا في الطلب على السلع والخدمات بما ينعكس على العرض ايضا بعد ذلك ، وحديثا ظهرت له النظريات والطرق والسياسات ، واهتم به علماء الاقتصاد والادارة والمحاسبة غاية الاهتمام ، فدائما ما ينطوي التسعير على عدة اسئلة هامة واساسية الى حد كبير منها :ـ

- ما هو السعر الذي يجب تحديده للسلعة المعينة ؟
- ما هي العناصر التي يجب اخذها في الاعتبار الى جانب الاعتبارات المالية عند تحديد السعر المناسب ؟
- متى يجب اجراء تعديلات في السعر ؟
- كيف يتم استخدام التسعير كادارة استراتيجية لتحقيق التجانس مع



الاستراتيجيات الاخرى وزيادة الدخل وحجم المبيعات ورضاء المستهلكين ؟
- كيف تستجيب الشركة لاستراتيجيات وسياسات تسعير المنافسين ؟
- كيف تتجنب الشركة السياسات السعرية الانتقامية التي قد يتبعها المنافسون ؟

فهل اعطت الشريعة الاسلامية للتسعير هذا الاهتمام او تركته بلا رعاية او تنظيم ؟

للاجابة على هذه الأسئلة ، وفي غضون ما ظهر حديثا من سياسات وطرق سنتناول هذا الموضوع من النواحي التالية :-

(١) ما هو التسعير ؟
(٢) نظريات التسعير في الاسلام .
(٣) وجوب التسعير عند الضرورة .
(٤) سياسة التسعير الاسلامي .
(٥) مبادىء التسعير وقواعده .
(٦) التسعير في ظل الاوضاع الاقتصادية المعاصرة .
- العوامل التي يجب اخذها في الاعتبار عند اتخاذ قرار التسعير .

- استخدام نقطة التعادل في تحديد السعر المناسب
- بعض السياسات السعرية الحاليةوموقف الاسلام منها .
(٧) خاتمة .

(١) ما هو التسعير :

« يعني التسعير وضع ثمن محدد للسلع التي يراد بيعها بحيث لا يظلم المالك ولا يرهق المشتري ».

ويحتوي هذا التعريف على عناصر جوهرية هي :
- تحديد السعر العادل واعلانه .
- السلع القابلة للتسعير هي تلك السلع القابلة للبيع .
- مراعاة الا يقع الظلم على البائع .
- مراعاة الا يرهق المشتري .

(٢) نظريات التسعير في الاسلام :

يمكننا بالنظرة الفاحصة والاستقراء الكامل لما كتبه العلماء والباحثون حول موضوع التسعير الوصول الى نظريتين اساسيتين هما :
الاولى : نظرية تحريم التسعير .
الثانية : نظرية جواز التسعير .

وبالقاء الضوء على بعض الاسس والقواعد التي تقوم عليها كل نظرية من النظريتين السابقتين نجد ان :

١ ـ نظرية تحريم التسعير : وتكون هذه النظرية واجبة التطبيق اذا تضمن التسعير ظلم الناس واكراههم بغير حق على البيع بثمن لا يرضونه او منعهم مما اباحه الله لهم .

ويستند انصار هذه النظرية على عدة مبررات منها :

أ ـ الحديث الذي رواه أنس بن مالك ، قال : « غلا السعر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله لو سعرت لنا ، فقال : ان الله هو القابض الباسط الرازق المسعر ، واني لارجو ان القى الله ولا يطلبني احد بمظلمة ظلمتها اياه في دم ولا مال » رواه ابو داوود والترمذي .

ب ـ ما قاله الشوكاني :

« ان الناس مسلطون على اموالهم والتسعير حجر عليهم والامام مأمور برعاية مصلحة المسلمين ، وليس نظره في مصلحة المشتري برخص الثمن اولى من نظره في مصلحة البائع بتوفير الثمن ، واذا تقابل الامران وجب تمكين الفريقين من الاجتهاد لانفسهم ، والزام صاحب السلعة ان يبيع بما لا يرضى به ، مناف لقوله تعالى :

(الا ان تكون تجارة عن تراض منكم) النساء/ ٢٩ .

جـ ـ يؤدي التسعير الى اختفاء السلع بما يؤدي بدوره الى ارتفاع اسعارها الذي يضر بالفقراء من الناس فلا يستطيعون شراءها ، بينما يشتريها الاغنياء من السوق الخفية « السوداء » بغبن فاحش فيقع كل منهما في الضيق والحرج ولا تتحقق لهما المصلحة .

د ـ ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه مر بحاطب بسوق المصلى وبين يديه غرارتان فيهما زبيب ، فسأله عن سعرهما ، فسعر له مدين لكل درهم ، فقال له عمر حدثت بعير مقبلة من الطائف تحمل زبيبا وهم يعتبرون سعرك فاما ان ترفع السعر واما ان تدخل زبيبك الى البيت فتبيعه كيف شئت . فلما رجع عمر حاسب نفسه ، ثم اتى حاطبا في داره فقال :

« ان الذي قلت لك ليس بمعرفة مني ولا قضاء ، وانما هو شيء اردت به الخير لاهل البلد ، فحيث شئت فبع ».

هـ ـ ما قاله الله سبحانه وتعالى في سورة النساء : **(يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما)** النساء/ ٢٩ .

وقد قال ابن كثير في تفسير هذه الاية :

ان الله ينهي عباده المؤمنين عن ان يأكلوا اموال بعضهم بعضا بالباطل اي بأنواع المكاسب التي هي غير شرعية كالربا والقمار وما جرى مجرى ذلك من سائر صنوف الحيل . وقال مجاهد « الا ان تكون تجارة عن تراض منكم » بيعا او عطاء احد احدا ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انما البيع عن تراض » رواه ابن ماجة . ومن تمام الرضى اثبات خيار المجلس كما ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ».

و ـ حديث العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال « جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

ـ يا رسول الله سعر لنا ، فقال : بل أدعو الله .

ثم جاءه رجل ، فقال :

ـ يا رسول الله سعر لنا ، فقال : بل الله يرفع ويخفض ، واني لارجو ان القى الله وليس لاحد عندي مظلمة » رواه ابو داود .

ولذا يستدل من الحديث ان اجبار الناس على ذلك ظلم لهم .

ز ـ رفض ابن حزم التسعير ، وكذلك ابن الاثير في كتابه النهاية ، وكذلك فهو محرم عند ابي حنيفة والشافعي ومالك وغيرهم من الفقهاء .

ح ـ لو أبيح التسعير بنص صريح ، فقد يتيح ذلك لبعض الاشرار او الجهال من الحكام تقييد حرية التجارة في غير محل ، وذلك يخنقها بالتسعير في غير ضرورة مما قد يؤدي مثلا الى رأسمالية الدولة ، والدولة اذا تحكمت في شيء ظهر اشد انواع الاحتكار خطورة ، ولكن النبي ذكرنا بحساب الله في هذه المسألة وحثنا على تقوى

الله وخشيته .

٢ ـ نظرية جواز التسعير :

يستند انصار هذه النظرية اساسا الى نقص جوهري في فهم اولئك الذين حرموا التسعير لحديث الرسول حينما قال « ان الله هو المسعر » فالحديث لم ينه عن التسعير ولم يحرمه فالرسول الكريم لم يقل : « لا تسعروا » او « لا يحل لكم التسعير » وانما قال : « ان الله هو القابض الباسط » ، وقال « ادعو الله ».
أ ـ ويعني هذا ان الله سبحانه وتعالى يقبض ويبسط وبيده الامداد والعطاء ،كذلك الامساك والاخذ ، ولذا فهو المسيطر على النعم كلها يهبها لمن يشاء ومتى شاء واينما شاء بقدر منه وبرحمة منه وعدل ، ولو شاء لفاض بها على الناس جميعا في بقاع الارض كلها .
وفي مقابل تلك النعم والافاضة بها فقد زجر الله سبحانه وتعالى ونهى عن اكل مال الغير او نهبه او مجرد النظر اليه بنهم . فهو سبحانه يقول :
« **ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل**)ويقول ايضا : (**ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا**) طه/ ١٣١ .
ويقول النبي صلى الله عليه وسلم « من اقتطع ارضا ظالما لقى الله عز وجل وهو عليه غضبان ». احمد ومسلم وفي رواية لمسلم : « من اقتطع حق امرىء لقى الله وهو عليه غضبان ».
من ذلك يتضح ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم الامر لحكم العرض والطلب والقواعد العامة المنظمة لذلك واجتناب الامر بالتسعير كذلك اجتناب النهي عنه بل قال « بل أدعو الله ».
ب ـ في حالة تعدي التجار تعديا فاحشا وظلمهم الناس بغير حق مما يضر بالسوق ، وجب على الحاكم التدخل وتحديد سعر معين ، وذلك صيانة لحقوق الناس ومنعا للاحتكار دفعا للظلم الواقع عليهم من جشع التجار .
وذلك ما ذهب اليه الامام مالك كما راه بعض الشافعية في حالات الغلاء .
جـ ـ ما قاله صاحب الهداية :
« لا ينبغي للسلطان ان يسعر على الناس فان كان ارباب الطعام يتحكمون ويتعدون في القيمة تعديا فاحشا ، وعجز القاضي عن صيانة حقوق المسلمين الا بالتسعير فحينئذ لا بأس به بمشورة من اهل الرأي والبصر ».
د ـ ما قاله الامام ابن قيم الجوزية ايضا في كتابه الطرق الحكمية في السياسة الشرعية : « ان يلزم الناس الا يبيع الطعام او غيره من الاصناف الا ناس معروفون فلا تباع تلك السلع الا لهم ثم يبيعونها هم بما يريدون ، فلو باع غيرهم ذلك منع وعوقب ، فهذا من البغي في الارض والفساد ، والظلم الذي يحبس به قطر السماء ، وهؤلاء يجب التسعير عليهم ، والا يبيعوا الا بقيمة المثل ولا يشتروا الا

بقيمة المثل ، بلا تردد في ذلك عند احد من العلماء ، لأنه اذا منع غيرهم ان يبيع ذلك النوع اويشتريه ، فلو سوغ لهم ان يبيعوا بما شاءوا او يشتروا بما شاءوا : كان ذلك ظلما للناس ، للبائعين الذين يريدون بيع تلك السلع وظلما للمشترين منهم ».

فالتسعير في مثل هذا الحال واجب بلا نزاع ، وحقيقة الزامهم بالعدل ومنعهم من الظلم هذا ، وكما لا يجوز الاكراه على البيع بغير حق فيجوز او يجب الاكراه عليه بحق .

هـ ـ التسعير امر واجب عند محاولة الاحتكار واستغلال حاجة الناس الى السلعة لجني ربح اكبر لأن التسعير يجبرهم على السعر المحدد والالتزام به لتحقيق العدل .. كما ان التسعير من افضل وسائل منع الغلاء .

و ـ قول ابن تيمية في كتابه الحسبة في الاسلام :

« ما قاله اصحاب ابى حنيفة لا ينبغي للسلطان ان يسعر على الناس الا اذا تعلق به حق ضرر العامة ، ومن ذلك ان كان ارباب الطعام يتعدون ويتجاوزون القيمة تعديا فاحشا ، وعجز القاضي عن صيانة حقوق المسلمين الا بالتسعير ، سعر حينئذ بمشورة اهل الرأي والبصيرة ، واذا تعدى احد بعد ذلك اجبره القاضي .

ز ـ لما غلا السعر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلبوا منه التسعير امتنع ، ولم يأمر ولم ينه في حين كان نهيه صلى الله عليه وسلم واضحا جليا في الا يبيع حاضر لباد ، وكذلك نهى عن تلقي الجلب ، والفرق بين الامرين واضح لكل ذي عقل .

---

(٣) وجوب التسعير عند الضرورة :

وبعد فقد القينا الضوء على هاتين النظريتين ويبدو لنا واضحا انهما يتفقان في ابعاد الظلم عن الناس ـ سواء كانوا بائعين ام مستهلكين ـ حيث ان الذين يحرمون وكذلك الذين يرخصون التسعير قد اعتمدوا على حديث واحد والعلة كما قالها رسول الله هي :

« اني لارجو ان ألقى الله وليس احد يطلبني بمظلمة ظلمتها اياه في دم ولا مال »

ويشير الحديث الى ان العلة في ترك التسعير هي ظلم الناس ، ويدل هذا على ان ارتفاع الاسعار كان بدون تدخل من التجار ، فاذا ما تبين ان التجار هم الذين رفعوا الاسعار طمعا في الربح الحرام ، فان هذا يعد ظلما يجب على ولي الامر رفعه ، والتسعير هو الوسيلة لهذا الرفع .

والله سبحانه وتعالى يقول : (**كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**) آل عمران/ ١١٠ .

ويقول ايضا : (**اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم**) النساء/ ٥٩ .

ويقول ايضا : (**ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي**) النحل/٩٠ .

ويدلنا ذلك على امور كثيرة منها :

- الايمان بالله ورسوله وطاعتهما .
- طاعة اولي الامر ما دامت في طاعة الله ورسوله .
- ان الله يأمرنا ان نلتزم بالمعروف ونأمر به وان نبتعد عن المنكر وننهي عنه .
- ان الله يأمرنا بالعدل اينما وحيثما كان ، وينهانا عن البغي والظلم والتعدي .

ذلك انه مع تقدم العصور وتفشي المدنية وكثرة عدد التجار وانتشارهم وتدخل عناصر مختلفة وتعدد الاشياء ـ السلع والخدمات والافكار ـ التي يتجر فيها كان لزاما ان يكون هناك سعر معين يرتبط به التجار وتشتد الحاجة الى ذلك في بعض الاماكن عن الاخرى ، او في بعض السلع عن الاخرى ، او في بعض الازمان عن الاخرى .. الخ ، ويحدد ذلك السعر ولي الامر او المحتسب بناء على سياسة سعرية معينة .

ويوضح الاستاذ البشري الشوربجي ان الحاجة تصبح ماسة الى التسعير في الحالات الاتية :ـ

- ان الاحتكار محرم في الاسلام بصريح النصوص والتسعير ضرورة لمقاومته .
- التسعير سياسة شرعية تسد بها ذرائع الاستغلال والجشع ، وتكفل بها سلامة البيوع والمعاملات من الغبن والغش .
- المصلحة تقتضي التسعير وقد توجبه دفعا للضرر عن الجمهور ، وذلك عندما يحتاج الناس الى سلعة ما .
- عندما يراد حصر البيع لأناس معينين .
- عندما يتواطأ البائعون ضد المستهلكين .

فكأن التسعير من وجهة نظر الاسلام هو الوسيلة لسد الذريعة الى الاحتكار ومكافحة الغلاء ولمواجهة الظلم والبغي .

وكقاعدة عامة « كلما كان صالح الناس ومنفعتهم العامة في التسعير تعين اتخاذه ، وهذه مسألة نسبية تختلف باختلاف الزمان والمكان ويتسع تطبيقها ويضيق بحسب حالة الضمير والاخلاق في المجتمع ، ومدى نشاط الحركة الاقتصادية فيه ودرجة اتصال هذه الحركة بالأسس الاخلاقية للمعاملات ».

(٤) سياسة التسعير الاسلامي :

يمكننا هنا بيان كيفية تنظيم السياسة السعرية الاسلامية ، وما هي القوى المؤثرة في تحديد السعر المناسب .

* ويتضح ذلك من مقالة امير المؤمنين الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه :
« يجب ان يكون البيع بأسعار لا تجرف بالبائع او المبتاع ، فيجمع الامام اهل

السوق الذي يراد وضع سعر له ، ويحضر غيرهم معهم استظهارا على صدقهم فيسألهم كيف يشترون وكيف يبيعون فينازلهم الى ما فيه لهم وللعامة سداد حتى يرضوا ».

* ويقول ابن حبيب :

« ينبغي للامام ان يجمع وجوه أهل سوق ذلك الشيء ويحضر غيرهم استظهارا على صدقهم : فيسألهم كيف يشترون وكيف يبيعون ؟ فينازلهم الى ما فيه لهم وللعامة سداد حتى يرضوا ولا يجبرون على التسعير ولكن عن رضا . قال : وعلى هذا اجازه من أجازه ، قال أبو الوليد : وجه ذلك أنه بهذا يتوصل الى معرفة مصالح الباعة والمشترين ، ويجعل للباعة في ذلك من الربح ما يقوم بهم ولا يكون فيه اجحاف بالناس ، واذا سعر عليهم من غير رضا بما لا ربح لهم فيه ادى ذلك الى فساد الاسعار ، واخفاء الاقوات واتلاف اموال الناس ».

* من ذلك يتضح انه لا بد من وجود هيئة تحكيم تتكون من : « المنتج ـ البائع ـ المستهلك ـ خبراء آخرين ».

أ ـ المنتج : وهو الذي انتج السلعة اصلا ويعلم حالها وبكم اعطاها للبائع « الموزع » وكم تكلفت وما هي قيمتها قبل ذلك وبعده ، فهو الذي يستطيع تقويم السلعة الى ذلك الحد .

ب ـ البائع « الموزع »: وهو التاجر الذي اتخذ التجارة حرفة له يرزق من نتاجها فينتفع من الشراء والبيع بالحصول على قدر معين من الربح وبحضوره يمكن تحديد قيمة السلعة وما يمكن ان يتكون لها من هامش ربح حتى الآن .

جـ ـ المستهلك او المشتري الصناعي « الذي يشتري السلعة للانتفاع بها في الانتاج »: وهو الشخص الذي يحتاج الى السلعة بمقابل معين ويستطيع ان يدفع هذا المقابل للاستفادة من السلعة ولكن الواجب هنا هو الالتزام بدفع قيمة المثل للسلعة بالتغاضي عن قدرة المستهلك ، فقد يكون من الثراء بحيث يستطيع ان يدفع الاكثر مما يبغي على مستهلك اقل منه قدرة على الشراء .

د ـ الخبراء الآخرون : ويشترط فيهم الحياد الكامل وذلك بما اتصفوا به من نزاهة الخلق وطيب السيرة والمعرفة الكاملة بالشيء المراد تسعيره من ناحية قيمته وعمره وخصائصه وضروريته .. وغير ذلك . كذلك يجب ان يكونوا اكثر من واحد ، والا يكون لهم مصلحة من هذا التسعير بحيث تجر عليهم افضالا من احد الجانبين ، والبعد عن اي شبهة تقيم الظلم او تساعد على القائه على احد الجانبين .

(٥) مبادىء التسعير الاسلامي وقواعده :

هناك من المبادىء التي يجب الالتزام بها عند التسعير الكثير ، ولكن الواضح الجلي انها تدور حول مصلحة الجمهور وفائدته ونشر العدل بين العباد ، ومن هذه المبادىء :

أ ـ عند وجود سعر معين وارادة البعض البيع بسعر اغلى منه فانه يمنع منه في السوق وذلك في مذهب الامام مالك ، ومثل ذلك ان يبيع البعض بـ ١٥ قرشا في حين ان الاخرين يبيعون بـ ١٠ قروش للوحدة .

ب ـ عند وجود سعر معين وارادة البعض البيع بسعر اقل منه ، فهنا نجد ان الشافعي واصحاب احمد كالقاضي ابي يعلى والشريف ابي جعفر وغيرهم منعوا من ذلك ، وكذلك مالك واضح بما رواه في موطئه عن يونس بن سيف عن سعيد بن المسيب « ان عمر بن الخطاب مر بحاطب بن ابي بلتعة وهو يبيع زبيبا له بالسوق ، فقال له عمر « اما ان تزيد في السعر واما ان ترفع من سوقنا ».

وكذلك قال ابو الوليد السياجي : الذي يأمر من حط عنه ان يلحق به هو السعر الذي عليه جمهور الناس ، فاذا انفرد منهم الواحد والعدد اليسير يحط السعر امروا باللحاق بسعر الجمهور ، لأن المراعي حال الجمهور وبه تقوم المبيعات .

جـ ـ ما روي عن اشهب عن مالك : ان لصاحب السوق ان يسعر على الجزارين وذلك اذا سعر عليهم بقدر ما يرى من شرائهم وذلك مع الاخذ في الحسبان عدم اخراجهم من السوق ولا يجبر الناس على البيع ، وانما يمنعون من البيع بغير السعر الذي يحدده ولي الامر على حسب ما يرى من المصلحة فيه للبائع والمشتري ولا يمنع البائع ربحا ولا يسوغ له منه ما يضر بالناس .

د ـ يقول الامام ابن تيمية في كتابه الحسبة في الاسلام :

« من منع التسعير مطلقا لقول النبي صلى الله عليه وسلم « ان الله هو المسعر القابض الباسط ، واني لارجو ان القى الله وليس احد منكم يطالبني بمظلمة في دم ومال » فقد غلط ، فان هذه قضية معينة وليست لفظا عاما .

هـ ـ على صاحب السوق الموكل بمصلحته ان يعرف ما يشتري به البائعون ، فيجعل لهم من الربح نسبة معينة ، وينهاهم ان يزيدوا على ذلك ويتفقد السوق ابدا .

فيمنعهم من الزيادة على الربح الذي جعل لهم ، فمن خالف امره عوقب واخرج من السوق ، وهذا قول مالك ، واليه ذهب ابن حبيب وقاله ابن المسيب ايضا ويحيى بن سعيد والليث وغيرهم .

و ـ لا يجوز عند اي من العلماء ان يقول لهم :

* لا تبيعوا الا بكذا ربحتم او خسرتم من غير ان ينظر الى ما يشترون به ولا ان يقول لهم فيما قد اشتروه :

* لا تبيعوا الا بكذا وكذا مما هو مثل الثمن او اقل منه .

واذا ضرب لهم الربح على قدر ما يشترون : لم يتركهم ان يغلوا في الشراء ان لم يزيدوا في الربح على القدر الذي حددلهم فانهم قد يتساهلون في الشراء اذا علموا ان الربح لا يفوتهم .

ز ـ على ولي الامر عدم الاسراف في فرض الاسعار الجبرية لا سيما بالنسبة للسلع التي لا يضر الناس حرية التعامل فيها ، لأن الافراط في التسعير فيه تقييد

للمعاملات واضرار بالمنتجين او التجار بغير خبرة او ضرورة ملحة .

مما سبق يتضح : ان النظام الاسلامي لم يفرض التسعير فرضا عشوائيا في كل حالة وعلى كل سلعة وبغير حكمة ، وانما رخصة كحكم شرعي يدور مع علته وجودا وعدما ، والعلة هنا هي دفع الضرر عن الناس ، وتنظيم المعاملات على وجه عادل .

ولذا فالقاعدة العامة هنا ان الدولة تلجأ الى التسعير كلما كان فيه صالح الناس ومنفعتهم العامة على اساس من العدل الذي هو اهم اساس من اسس المعاملات في الاسلام .

(٦) التسعير في ظل الاوضاع الاقتصادية المعاصرة :

أ ـ العوامل التي يجب اخذها في الاعتبار عند اتخاذ قرار التسعير :

هناك عوامل عديدة يجب اخذها في الحسبان عند اتخاذ قرار التسعير ، وذلك في ظل الاوضاع الاقتصادية المعاصرة ، وذلك لما طرأ عليها من تغير وعدم استقرار ، منها ما يتعلق بحالة الطلب العام على السلع محل التسعير ، كذلك ما يتعلق بالمصروفات والنفقات التي تنفق على السلعة سواء اكانت ثابتة ام متغيرة ، مباشرة ام غير مباشرة ، كذلك هناك ما يتعلق بخصائص السلعة وقدرات المستهلكين وصفاتهم وخصائصهم ، واخيرا ما يتعلق بالتجار الذين يمثلون سلسلة توزيع السلعة وهامش الربح الذي يجب تحديده لكل منهم .

١ ـ ما يتعلق بالطلب على السلعة : وذلك من ناحية ،

ـ دراسة التقلبات في مستوى الاسعار مع الدورات التجارية والتقلبات الفصلية بما هو معروف بالعوامل الموسمية والعرضية المؤثرة على الطلب بوجه عام والطلب على السلعة محل البحث بوجه خاص .

ـ مرونة او عدم مرونة الطلب على السلعة اي بيان كنه الطلب وطبيعته على السلعة بجانب السلع الاخرى في نفس خط المنتجات وفي الشركة .

ـ الاختلاف بين الظروف التنافسية وبين دوافع الشراء وبين عادات الشراء والمقدرة على الدفع في المناطق المختلفة .

٢ ـ فيما يتعلق بالنفقات :

ـ دراسة وتحليل نفقات انتاج الوحدة وتسويقها في ظل الاحجام المختلفة للسلعة .

ـ حصر وتحديد نفقات النقل والشحن .

ـ دراسة وتحليل النفقات الثابتة والمتغيرة ومعرفة نقطة التعادل .

٣ ـ فيما يتعلق بأسعار السلع البديلة والمنافسة :

ـ معرفة اسعار السلع لدى المنافسين بالنسبة للسلع المتشابهة .

ـ معرفة اسعار البيع للسلع البديلة .

- تحليل اسعار البيع بحسب تصنيف السلعة ميسرة او تسوق او خاصة ، ضرورية او كمالية ، قديمة او حديثة ، مميزة او غير مميزة ، مكان بيعها بالسوق الاهلية او المحلية او الدولية .
- الاسعار الجبرية التي تحددها الحكومة والتي لا يمكن تخطيها او الزيادة عنها .
- الاسعار الخاصة بالمنتجات الاخرى او الاصناف الاخرى التي تدخل في نفس خط المنتجات .

٤ - فيما يتعلق بالموزعين وتجار التجزئة :
- دراسة اماكنهم وتحديد نفقات النقل لكل منهم .
- الاسعار المختلفة التي يبيع بها تجار التجزئة .
- الاسعار التي يمكن للموزعين او الوسطاء البيع بها ودراسة طرق السداد .
- طرق التوزيع ومنافذه التي يمكن التعامل معها ومزايا وعيوب كل منها .
- هامش الارباح الاجمالية لكل طبقة من الموزعين والوسطاء .

٥ - فيما يتعلق بالمستهلكين :
- دراسة المستهلكين في المنطقة التي ستباع فيها السلعة ومعرفة خصائصهم .
- معرفة الاسعار التي تعود عليها المستهلكون نظرا لمعرفتهم بها .
- معرفة الاسعار التي تحافظ على شهرة او وجود السلعة في نظر المستهلكين .
- معرفة الاسعار المختلفة التي تتناسب مع فئات الدخل المختلفة وقدرة المستهلكين على الدفع .

٦ - فيما يتعلق بخصائص السلعة :
- المعرفة الكاملة بخصائص السلعة ومميزاتها عن السلع الاخرى المنافسة والبديلة .
- تحليل تركيب السلعة لدراسة عناصر تكلفتها من الاوجه المختلفة .

ب - استخدام نقطة التعادل في تحديد السعر المناسب :

قد تواجه اجهزة الانتاج بمشكلة تحديد العدد المناسب من الوحدات التي يجب انتاجها وبيعها بسعر مناسب بحيث يغطي الدخل من المبيعات - على الاقل - تكاليف الانتاج والتسويق ، وهنا يمكن للمنتج ان يحدد هذه الكمية بان يفترض عددا من الاسعار التي يرى انه من الممكن بيع الوحدة من منتجاته بأي منها .

* ثم يطرح من كل سعر افترضه قيمة ما تتكلفه الوحدة الواحدة من التكاليف المتغيرة .
* يقسم على الباقي جملة التكاليف الثابتة .
* فيكون الناتج عبارة عن عدد الوحدات التي يمكن انتاجها بالسعر المحدد ومن الممكن اضافة اي مبلغ لتحقيق الربح الذي يراد تحقيقه الى التكاليف الثابتة من اجل الوصول الى الكمية اللازم بيعها لتغطية هذه التكاليف وانتاج ذلك الربح .

وتشتد الحاجة الى استخدام نقطة التعادل عند تقديم سلعة جديدة الى السوق او عند اجراء تغييرات في هيكل الاسعار بالنسبة للمنتجات القديمة .

فنقطة التعادل تعبر عن عدد الوحدات التي يمكن بيعها بسعر معين لكي تغطي جميع النفقات الكلية ـ الثابتة والمتغيرة ـ الانتاجية واالتسويقية .

ومن امثلة النفقات الثابتة ، المرتبات ، الاستهلاك ، النور .. الخ .

ومن امثلة النفقات المتغيرة ، المواد الخام ، الاجور ، التعبئة والتغليف .. الخ .

ومعيار التفرقة بين نوعي التكاليف ، ان التكاليف المتغيرة هي تلك التي تتغير بتغير عدد الوحدات المنتجة ، في حين ان التكاليف الثابتة تتميز بالاستقرار والثبات .

جـ ـ بعض السياسات السعرية الحالية وموقف الاسلام منها :

في السنوات الاخيرة ظهرت سياسات سعرية مختلفة ومتعددة منها ما هو طيب يوافق الخلق الكريم والشريعة السمحة ومنها ما هو خبيث لا يتفق مع الشريعة ولكن همه الاكبر تحقيق الربح الطائل في الوقت القليل وذلك باستخدام كافة المغريات البيعية بالتركيز على عاطفة المستهلك ومحاولة التأثير على سلوكه وتصرفاته ، ومن هذه السياسات :

● سياسة الاستدراج : وبمقتضاها تباع بعض السلع بأسعار لا تحقق نسبة كبيرة من الربح او قد تغطي التكاليف فقط ، بينما تباع سلع اخرى بربح كبير يعوض الخسارة في الاولى ، حيث يتم عرض سلع الاستدراج في نافذة المعروضات لاجتذاب المستهلكين واستدراجهم لدخول المتجر ، ثم تعرض بالداخل السلع الاخرى التي من ورائها يحقق البائع الارباح الطائلة .

ولكن هذه الطريقة لا تتفق مع الخلق القويم لأنها تضلل المستهلكين ولا يجدر بالتاجر المسلم في المجتمع الاسلامي ان يجتذب عملاء ، عن طريق الغش والخداع .

● سياسة التحميل : ويتبعها البعض عندما تكون احدى السلع راكدة ولا يقبل عليها المستهلكون ، فهنا يجبر المشترون على قبول كمية من هذه السلعة اذ لا يسمح لهم بشراء السلع الرائجة الا اذا اقترن ذلك بكمية من السلع البائرة .

وقد يبرر ذلك البعض بقولهم اذا لم ينتهجوها لتعرضوا لخسائر فادحة من جراء السلع غير الرائجة التي تكون متوفرة لديهم ، ولكن هذه السياسة مرفوضة من وجهة النظر الاسلامية فالعامل الهام لتحقيق البيع هو التراضي : **(الا ان تكون تجارة عن تراض منكم)** يلي ذلك عدم الغش لحديث الرسول الكريم « من غش فليس منا » رواه الترمذي . ويحتم ذلك عدم اجبار المستهلك او الزامه بشراء شيء لا يقبله ولا يحتاجه ولن تتحقق له المنفعة بعد تملكه .

● سياسة كشط السوق : تقوم هذه السياسة على اساس تحديد اقصى سعر ممكن

للسلعة التي تتمتع بخصائص فريدة ، وذلك للحصول على اقصى ربح ممكن في الاجل القصير دون الاكتراث بمركز الشركة في الاجل الطويل ، وذلك بحجة كسب فئة المشترين الذين لديهم الاستعداد لدفع اسعار عالية للسلعة دون غيرهم من المشترين .

● سياسة اختراق السوق : وهي عكس السياسة السابقة ، حيث يتم تحديد اسعار منخفضة لمنتجاتها بهدف الوصول الى اكبر عدد ممكن من المستهلكين او المشترين المرتقبين والحصول على اكبر حصة من المبيعات في السوق .

وحجة هؤلاء :

- اتجاه تكلفة الانتاج والتسويق للوحدة الى الانخفاض مع زيادة الكميات المباعة .
- عدم وجود سوق مرتقبة مجزية من ذوي الدخول المرتفعة التي يمكنها الشراء بأسعار مرتفعة .
- مواجهة المنافسة القوية حاليا ومستقبلا عن طريق السعر .

ولكن هاتين السياستين يختلف الحكم فيهما ، ولكن الارجح - والله اعلم - كما قاله ابن تيميه لما رواه عن مالك :

- الذي يؤمر من حط عنه ان يلحق به ، هو السعر الذي عليه جمهور الناس ، فاذا انفرد منهم الواحد والعدد اليسير بحط السعر ، امروا باللحاق بسعر الجمهور ، لأن المراعي حال الجمهور الذي تقوم به المبيعات .

وقيل هنا من باع خمسة بدرهم والناس يبيعون ثمانية ، او قيل من باع ثمانية والناس يبيعون خمسة .

قال : وعندي ان الامرين جميعا ممنوعان .

- لأن من باع ثمانية والناس يبيعون خمسة افسد على اهل السوق بيعهم .
- ولربما ادى الى الشغب والخصومة .

ففي منع الجميع مصلحة .

● سياسة الاسعار الكسرية : وتعتمد على اساس ان يقل مبلغ التسعير عن العقد - العشرة ومضاعفاتها - - التالي او المائة التالية ومن امثلتها ما يباع بـ ٢٩ قرشا ، او ١٩٥ قرشا . وحجة هؤلاء ما يتصوره المشتري فرقا كبيرا في المقدار بين السعر الكسري القريب من العقد التالي او المائة التالية ومن السعر الذي بلغ هذا العقد او المائة .

فمن الناحية النفسية يبدو للمشتري ان الفرق بين ٧٩ قرشا و ٨٠ قرشا كبير ومن هنا يسود الاعتقاد بان بيع السلعة بـ ٧٩ قرشا سيحقق مبيعات اكثر من تلك التي يحققها البيع بـ ٨٠ قرشا .

ولكن يؤخذ على هذه السياسة اعتمادها على التأثير النفسي والعاطفي والابطاء في عمليات تحصيل الثمن ، وطرح الظلم على احد جانبي عملية البيع ، فلا شك ان المكمل للعقد او المائة من حق البائع او المشتري .

● مجاراة المنافسين : وعليها فان المنتج يجاري المنافسين ويتماشى مع اسعارهم

بالنسبة لنفس السلعة متى كانت عوامل الجودة والحجم واحدة في كل منها ، وعلى ذلك لا يجوز له ان يبيع بسعر اعلى من سعر المنافسين والا انصرف المستهلكون عنه .

ولا شك ان هذه الطريقة يشوبها الكثير من العيوب ، فالمعيار الرئيسي هو قيمة السلعة اولا وما هو الربح العادل الذي يجب الحصول عليه ثم يتحدد السعر المناسب لكي لا يقع الظلم الذي حذر منه الرسول الكريم .

خاتمة :

من كل ما سبق يتضح ان سياسة التسعير الاسلامي يجب ان تبنى على اساس تحديد تكلفة الانتاج والتسويق لكل سلعة ونصيبها من المصروفات الادارية ثم اضافة هامش الربح المطلوب لتحديد سعر بيع كل سلعة هكذا :ـ

تكلفة الانتاج + تكلفة التسويق + المصروفات الادارية + الربح = السعر

ويتطلب هذا نظاما دقيقا للتكاليف بحيث يمكن معرفة تكلفة كل وحدة من السلع كاملة الصنع .

وهذا يتطلب من المسئول عن اتخاذ قرار التسعير ان يعلم الافراد الذين يهمهم هذا القرار ويعقد معهم لقاءات متعددة للخروج بأيسر الاسعار واعدلها وهؤلاء الافراد هم :

- المنتجون ـ المستهلك النهائي للسلعة
- الوسطاء ـ المسئول عن ترويج المبيعات
- المنافسون ـ الحكومة

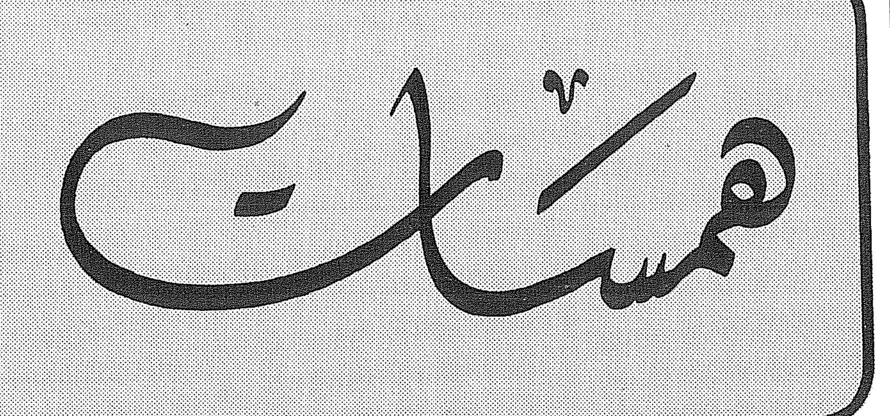
ويجب ان تكون هناك رقابة دائمة على التسعير ومتابعة تنفيذ السياسة المتبعة ، وفي الفقه الاسلامي يقوم بمهمة الرقيب على الاسعار المحتسب ، وهو احد الاشخاص الذين يمثلون الحاكم ، اذ يخول له سلطة الاشراف على السوق والنظر في مكاييله وموازينه وتحديد ومنع الاحتكار وقمع الغش والتدليس ورفع الضرر عن الطرفين وما الى ذلك من امر بالمعروف ونهى عن المنكر . وهكذا نجد ان المحتسب كما يأمر بالعبادات وادائها يراقب حسن سير المعاملات في البلد او المحلة .

وهكذا تستند السياسة السعرية الاسلامية على :

- الاعتدال في الربح المحقق .
- البعد عن الظلم لاي طرف من الاطراف المرتبطة بعملية البيع .
- الالتزام بالخلق القويم والصدق .

مراعاة صالح الجماعة وافشاء الرحمة بين الخلق .

- الخبرة العلمية والعملية في تقدير التكاليف والنفقات .
- البعد كل البعد عن احتكار السلع والغش والغبن ومحاولة رفع الاسعار .



للاستاذ احمد محمد السفاريني

دواعيك يا نفس لا تنتهي ... فانت الهوى ومهب البلاء
اذا ما ملكت نواصي الامور ... وسيرت مقودها في غباء
تبلد وجه الحياة الجميل ... وعاثت بها عاديات الشقاء
وشيطانك النهم ذاك الشقي ... يقودك للغي والاشتهاء
يناجيك من منطق مفتر ... يدغدغ فيك غرور الهباء
الم تعلمي كيف اغرى اباك ... وفي جنة الخلد دار الهناء ؟!
ولم يرتض الحق من ربه ... وغاضب حتى ارتمى في الجفاء
فكيف تسيغين وسواسه ؟ ... وكيف تجيبين دعوى الغواء ؟
وقد حذر الله من شره ... واعوانه وافتراء المراء
وفي عالم من خداع رهيب ... يشيد ابليس دار العفاء
مزخرفة بالاماني الكذاب ... مسوفة البدء والانتهاء
يمني بما شاء اتباعه ... وينفث فيهم بداء وداء
ويجعل منهم عبيد المتاع ... ويحملهم في ظلام العناء
اولئك من حزبه ثلة ... اماتوا العقول وخلق الحياء
جهنم موئلهم في الغداة ... وفي الارض غول عظيم الوباء
وتمرغ في الوحل اقدارهم ... وتغرق اعمارهم في العماء
ولو لم يكن مرشد للهدى ... يبين درب الهدى والنجاء

الى النفس

وحكم من الله يتلى لنا ... صباحا ونقرؤه في المساء
وايات ذكر حكيم روت ... معالم هذا السبيل المضاء
لكانت غواية من يرتمي ... باحضانه لوثة في الهواء
لقد خلق الله فينا الحجى ... وزودنا بالنهى والدعاء
يميز بين خبيث الفعال ... ومحمودها والهوى والرجاء
فللعقل فهم وفكر يجول ... وفيه احتكام ومعنى الولاء
اذا عرف الحق عن حكمة ... وايقن بالرأي والاقتداء
فقد امن المرء من مكره ... واصبح عفا شديد الاباء
واسبغ رب الورى فضله ... على العالمين بوحي السماء
فكانت رسالاته حجة ... تقوم في العقل اي التواء
وتحميه من شطحات الخيال ... ومن نكسة الشك والافتراء
ويا نفس هذا سبيل الفلاح ... ينير الحياة باجلى الضياء
يهذب فيك انفعال الهوى ... ويقذف في القلب اسمى رواء
ويعطي العقول قياد المنى ... ليردعها عن شعاب الرياء
عقيدة حق تفيد الانام ... وترسم امالهم في اللقاء
وشرعة رب عليم حكيم ... ترد الزمان لحكم سواء
وللمسلمين منار يشع ... ودين يرسخ نهج الاداء
اذا حكموا الشرع في امرهم ... والقوا اليه ايادي النجاء
وزالت غواش غوت اعينا ... وظلت تحاول جهد البلاء
ووحد من شأنهم دولة ... تطاول كل شعوب المراء
اجل ، قد تدانت بشائرها ... واصبح في الارض شجوى السناء
وهذا الهتاف على دربنا ... يردده الكون .. اندى نداء

الإنسان والنسيان

النسيان:

النسيان ظاهرة نفسية من ظواهر الحياة الانسانيـة ، لا يسلم منها إنسان مهما سمت مكانته ، ومهما أوتي من حدة الذهن ودقة الملاحظة والسلامة البدنية والعقلية من أمراض النفس والجسد . وهكذا كان في حياة آدم وذريته الى يوم الدين ابتلاء حكيما يترتب عليه التنفيذ لقدر حكيم قدره العليم الخبير لانتظام الكون الدنيوي والكون الأخروي على ما سبق من بليغ مراده .

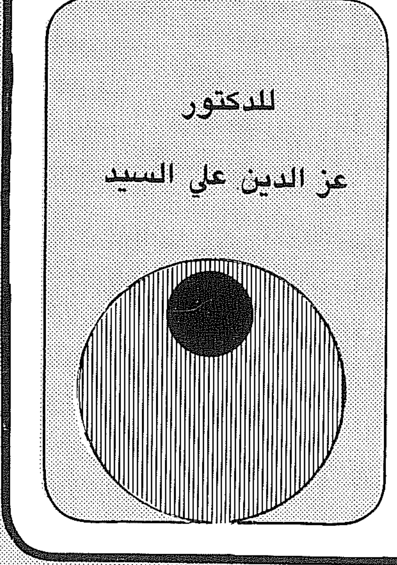
والنسيان في أيسر تعريف وأقرب بيان هو ـ كما عرفه الجرجـاني ـ « الغفلة عن المعلوم في حالة السنة » المعجم الفلسفي ٢/٤٦٨ .

وهذه الغفلة عن المعلـوم تعني احتجابه عن بؤرة الشعور في وقت النسيان ، مدفوعا عنها إلى الخلف منها بقوة المثير الجديد للانتباه الذي يأخذ دوره فيها ، حتى يزيحه فيحل محله مثير جديد .

وهذه المنسيات المتراكمة التي لا حصر لها من المعلومات عرضة لأن تعود بالاستدعاء إلى مكانها من بؤرة الشعـور عند الحـاجة ، وعنـدمـا يستفـزها مـا هي منه بسبب من مشـابهة أو تضـاد أو سواهمـا ، فيسمى رد الفعل هذا بالتذكر .

وقـد يفرق بعض العلمـاء بين النسيان والسهو والغفلة والذهول ، كما يسوي بينها بعضهم للزوم غاية واحدة هي احتجاب صورة المعلوم عن الذهن بعد أن كانت حاضرة ظاهرة .

على ضوء نصوص الشريعة



للدكتور
عز الدين علي السيد

تحت ضوء النصوص:

بعد هذا العرض الساذج البعيد عن تعقيد الفلسفة ننتقل إلى موقف الانسان من النسيان أمام نصوص الشريعة، وهنا نستطيع أن نصنف النسيان إلى:

(١) نسيان لأمور لا يتسبب عن نسيانها الضرر فتسكت عنها الأحكام.

(٢) نسيان تتعلق به الأحكام فيكون مناطا للمثوبة أو العفو أو العقوبة.

هذا النسيان الأخير يختلف باختلاف سببه، فهو إما نابع من داخل النفس بالتكلف له والقصد إليه، وإما وافد عليها من الخارج بغلبة الصوارف ومرور الأحداث. فاذا تعلق كل منهما بواجب شرعي، كان له حكم يخالف حكم صاحبه، وعلى هذا جاءت مادة النسيان في القرآن المجيد مقترنة بأحوال غير المؤمنين شاهداً للضرب الأول، ومقترنة بأحوال المؤمنين شاهداً للثاني.

النسيان الكافر:

فالنسيان الكافر المجتلب لسخط الله وعقابه هو في الأعم مجاز عن سببه وهو الترك المقصود استخفافاً بالفرض المفروض، وهو أنواع في النصوص متواشجة تصور حقيقة واحدة هي الكفر، وتلك الأنواع يمكن رؤيتها فيما يلي:

(١) النسيان لله عز وجل - في قوله

تعالى : (**نسوا الله فنسيهم**) التوبة/٦٧ وقوله :(**ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم**) الحشر/١٩ .

(٢) النسيان لما جاءت به الرسل من التذكير بالآيات كما في هذه النصوص :

(**فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء**)الاعراف/ ١٦٥ .

(**يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به**)المائدة/ ١٣

(٣) نسيان العاقبة ويوم الحساب . ومنه ما يلي :

(**فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم**) ١٤ السجدة

) **إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب**)ص ٢٦

(**وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا**) الجاثية / ٣٤

(٤)**نسيان ما قدمت أيديهم من كفر وقبائح ، ومنه ما يلي** :

(**ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه**) الكهف/٥٧

(**يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه**) المجادلة/ ٦

(٥) نسيان الأدلة العقلية والكونية والغفلة عنها ، ومنه :

(**وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم**) يس/٧٨

(**وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون**) يوسف/١٠٥ هذه الأضرب الكافرة من النسيان ناشئة عن الترك العمد لما فرض الله الايمان به من الأصول والفروع ، والترك المعمود إليه أمارة الانكار للمتروك أو الاستخفاف به ، ولذلك كان الجزاء من الله شديداً .

ومن القرائن الظاهرة في الأمثلة المسوقة للضرب الأول قوله تعالى في صدر مثال المنافقين :

(**المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم**) التوبة/ ٦٧ وهذا قلب « مقصود » لأوضاع الشريعة ونقض « معمود » إليه لأصولها ، وهو أشد أنواع الترك للمفروض .

وفي الضرب الثاني « نسيان ما أنزل » سياق آية الأعراف في حق اليهود يوضح الجرائم الدالة على العمد الفاضح :

(**فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم**)

(**إذ يعدون في السبت**)

(**لم تعظون قوماً الله مهلكهم**)

(**واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون**) الاعراف/ ١٦٢ ـ ١٦٥ .

فالتبديل للآيات والعدوان في السبت ، وغيرهما مما في السياق أشد دليل على سوء القصد ، والعدوان الواضح على نصوص التوراة بتركها إلى نقيضها .

وفي آية (**المؤمنون**) ينطق النص بسخرية الكافرين من المؤمنين الضارعين إلى ربهم يرجون منه رحمته : (**إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين . فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون**) ١٠٩ و ١١٠

وفي الضرب الثالث « نسيان العاقبة ويوم الحساب » ينطق السياق بعمدهم للترك الآثم في جانب القيامة الموعود استهزاء به واستخفافا بالنذر وجحداً للآيات : (**الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون**) الأعراف/ ٥١

وفي الضرب الرابع « نسيان ما قدمت أيديهم » نرى في المثال من سورة الكهف إعراضهم مع قيام التذكير واستماع صوت المذكر ، ولا أشد من ذلك تركا لواجب على عمد .

وفي الضرب الأخير « نسيان الأدلة العقلية » نجد المكابرة السافرة والانكار القبيح للأمر البين الذي قام في النفس ذاتها برهانه : (**وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم . قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم**)

نسيان المؤمن :

على قمة البشرية كمالا أقام الله الأنبياء والرسل ، ولكنهم ـ صلوات الله عليهم ـ لا تخرجهم العصمة عن ظاهرة النسيان المقيد بما لا يجر على الشريعة نقصاً أو على أنفسهم اتهاما .

والنسيان في حياة الأنبياء والمؤمنين لا يجلبه عمد بترك الأمر المشروع إلى سواه ، ولا استخفاف بأمر الله ونهيه ، وانما هو ضعف البشرية الفارق بين الخالق والمخلوق مهما ارتقى ، تقع به أحداث الحياة من المؤمنين على نسق إلهي سابق في التقدير لا تكلف له من داخل النفس ، والمتدبر لأحداثه يوقن بحكمة الحق فيه . وأول نسيان في عالم البشر ما قصه الله حديثا عن الأب الأول آدم ـ عليه السلام ـ رمزاً إلى أن هذا الأمر من خاصة الجنس إلى يوم الدين ـ (**ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما**) طه/ ١١٥ فالنسيان منه انقهار بضعف العزم عن مقاومة الخادع الملح المغري ، ولعدم سبق الاصرار أو القصد إلى المخالفة (**اجتباه ربه فتاب عليه وهدى**) طه/ ١٢٢ .

وعلى هذا النسق من النسيان البرىء عن قصد المخالفة والترك للمفروض كان النسيان من يوشع عليه السلام للحوت : (**أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فاني نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره**) الكهف/ ٦٣ كما كان نسيان موسى ـ عليه السلام ـ لما عاهد عليه الخضر : (**قال لا تؤاخذني بما نسيت**) الكهف/ ٧٣

فقد أنسته المفاجأة الغريبة عهده

معه ، ولم يكن تركه العهد عن عمد ، لذلك جعل نفسه في مكان المعتذر دون نظر منه إلى سمو منزلته بالرسالة والاصطفاء بالكلام .

ومن هذا النوع نسيان نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد جاء فيه حديث ذي اليدين وهو مستفيض الشهرة « أقصرت الصلاة أم نسيت .... » وهو نسيان مراد لله الرحيم بعباده تخفيفاً عن المؤمنين بما ترتب عليه من جبر السهو في الصلاة بسجوده ، وقد روى عن مالك أنه بلغه أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : » إني لأنسي أو أنسى لأسن » جمع الفوائد برقم ١٨٠١ .

ومثله حديث عائشة « سمع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رجلا يقرأ بالليل ، قال : يرحمه الله فقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أنسيتها » رواه البخاري وهنا نرى فعل النسيان معدى بالهمزة دليل أنه وارد عليه من خارج النفس ، ولا شبهة عند المؤمن في ذلك النسيان المؤقت لآيات اشتهرت بالبلاغ وكتبت في الصحف وحفظها الصحب .

ومن ذلك حديث أبي سعيد في ليلة القدر وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « فاني رأيت ليلة القدر وإنها في العشر الأواخر من رمضان في وتر وإني أنسيتها » ٧٤ : ٣ مسند الامام أحمد وهكذا بقية ما جاء في سهوه ـ صلى الله عليه وسلم .

لهذا لم يبرىء النبي نفسه من هذا النسيان البريء الذي هو مظهر من مظاهر البشرية ، فقال يقرره في أنفس أمته : « إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني » وفي رواية ابن مسعود « أذكر كما تذكرون وأنسى كما تنسون ... » جمع الفوائد برقم ١٧٨٩ ـ للستة إلا مالكا .

والدليل على سلامة الشريعة من النقص بهذا النسيان النبوي قوله تعالى : (**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي**) المائدة/ ٣ وقوله : (**سنقرئك فلا تنسى . إلا ما شاء الله**) الأعلى/ ٦ و ٧ وما شاء الله متصل بقوله تعالى : (**ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها**) البقرة/ ١٠٦ ومثل هذا قوله الحق : (**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**)الحجر/ ٩ ولما كان النسيان من شأن البشرية ، لقن الحق رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يذكره إذا نسى ، وأن يتحول عن مجلس النسيان إذا تذكر ، فقال : (**واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا**) الكهف/ ٢٤ وقال : (**وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين**) الأنعام/٦٨ وأمره ـ سبحانه ـ وأمرنا أن نسأله عدم المؤاخذة إن نسينا أو أخطأنا فلقننا أن نقول : (**ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا**) البقرة/٢٨٦ ورجاء عدم المؤاخذة إنما يكون عند العجز عن التذكر لا عند الاصرار والاستكبار والترك المقصود .

وهذا النسيان البرىء من المؤمن معفو عن المآخذة به في العبادات كما هو مشهور في الفقه ، وقد جاء عن ابن

عباس يرفعه : « إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » ٤٣٣ : ١ كشف الخفا ، وقد روى بطرق وألفاظ متعددة يؤيد بعضها بعضاً ، ولذا أراد النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يبرىء ساحة المؤمن من تبعة النسيان البرىء فقال : « بئسما لأحدهم أن يقول نسيت آية كيت وكيت بل نسي » ٤٩٥ : ٤ شروح السنة - متفق على صحته .

وجدان المؤمن حي:

والوجدان الحي من المؤمن يزعجه إذا أدرك أنه نسى أو غفل عن مهم من الأمر ، وفي ذلك يضرب لنا النبي أروع المثل فيما روته أم سلمة قالت : « دخل علي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو ساهم الوجه ، فحسبت ذلك من وجع ، فقلت : يا رسول الله ، مالك ساهم الوجه ؟ فقال : من أجل الدنانير السبعة التي أتتنا أمس أمسينا ولم ننفقها » ٢٣٨ : ١٠ مجمع الزوائد .

بهذه الأسوة السامية ائتسى الصحابة ، فكان من المثل الرفيعة ما روى عبد الله بن أبي بكر : أن أبا طلحة كان يصلي في حائط له فطار دبسي فطفق يتردد يتلمس مخرجا فلا يجد ، فأعجبه ذلك فتبعه بصره ساعة ثم رجع إلى صلاته فاذا هو لا يدري كم صلى فقال : لقد أصابني في مالي هذا فتنة ! فجاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فذكر له الذي أصابه في صلاته وقال : يا رسول الله هو صدقة فضعه حيث شئت » جمع الفوائد برقم ٩٦٨٠ - لمالك .

نسبة النسيان الى الحق تبارك وتعالى

ما ورد في القرآن من النسيان منسوبا إلى الحق تبارك وتعالى خارج عن حقيقة اللفظ في اللغة كقوله : (**فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا**) الأعراف/٥١ لأن النسيان على حقيقته عجز يتنزه جل جلاله عنه ، فهو على كل شيء قدير ، وبكل شيء محيط ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، وقد قال على لسان ملائكته : (**وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا**) مريم /٦٤ ، وعلى لسان نبيه موسى يجيب فرعون عن القرون الاولى : (**علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسي**) طه/ ٥٢ وإنما جاء على سبيل المشاكلة بين الجزاء والسبب ، أي على سبيل التمثيل لتركه إياهم في العذاب ترك الناسي لما نسى .

مصدر النسيان

بقى ان ننظر في هذه النصوص الكريمة لنرى مصدر النسيان ، وهو فيها على أضرب :

(١) مسند إلى الله ، ومنه : (**ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها**) ومنه : (**ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم**

أنفسهم) الحشر/ ١٩ .
(٢) مسند الى الشيطان ، ومنه : (**وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره**) و(**فأنساه الشيطان ذكر ربه**) و (**استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله**) .
(٣) مسند إلى غيرهما في قوله تعالى : (**فأتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكري**)
والاسناد إلى غير الله في كل ذلك من الاسناد إلى السبب القريب إيذاناً بتوجيه النظر إليه لما يستحق من توجيه النظر .

من أسباب النسيان :

ترك النفس نهبأ لما ينتابها من ظروف السعادة والشقاء دون يقظة العقل الحاكم ينحرف بها عن سنن الاعتدال ، فيصيبها التمزق بالانفعال المتسلط عليها ، فتزيد الى ضعفها ضعفا قد يصل بها الى هلاكها ، وهذا التمزق يكون مع الغني بازدحام المطالب والمطامع وتشتيت الآمال بين الاكتساب والانفاق ، وقد بينه لنا ربنا الرحمن الرحيم وزهدنا فيه حفظا لأنفسنا من الضياع فقال : (**زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب**) آل عمران/ ١٤ ولذا حرص الاسلام على تقييد حرية المؤمن بالتكاليف التي يظل بها نشيط الانتباه إلى ربه والدار الآخرة ليسلم من الانجراف في سيل الحياة الغامر وراء كيد الشيطان !

وكما يكون ذلك مقارنا للغني يقترن بالفقر في صورة التبرم بالحياة والتسخط على القدر من مرضى القلوب الذين يبررون الكسل والفشل بالاعتراض على حكمة الحكيم العليم ، ولا يعرفون السر الذي يخاطبهم به قوله : (**ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير**) الشورى/ ٢٧ ولا ما في قوله : (**ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون . ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون . وزخرفا وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين**) الزخرف/ ٣٣ ـ ٣٥ .

العلاج :

والعلاج الناجع من الخطر في الحالين هو الاعتصام بالتقوى للنجاة من التمزق ، وهو العلاج الرباني الذي يصلنا دائما بالطمأنينة وسعادة الروح ، والذي امتدحه الله وامتدح به فقال : (**إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون**) الاعراف/ ٢٠١ وكيف لا تكون التقوى سراج القلوب ونورها الهادي للتذكر والنجاة ، والحق يقول : (**إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون**). النحل/ ١٢٨.



• الماسونية والصهيونية والشيوعية غاية وهدفا

• المؤلف هو الدكتور صابر طعيمه المدرس بكلية أصول الدين ـ جامعة الأزهر ، وقد حصل على الدكتوراه أخيرا برسالته عن « التراث اليهودي القديم وموقف القرآن منه » وله عدة دراسات اسلامية طبع معظمها في بيروت وغيرها .

• والكتاب يقع في زهاء ثلاثمائة صفحة من القطع الكبير ، وقد قسم المؤلف هذه الدراسة المستفيضة ثمانية مباحث ، ويتضمن كل مبحث عديدا من النقاط ، وقد يتوهم القارىء للعنوان ـ لأول وهلة ـ أن المؤلف قد خصص لكل مذهب من هذه المذاهب الثلاثة بحثا مستقلا ، الا أن المؤلف قد جعل هدفه الأول من الدراسة

الماسونية ، وحاول أن يمزج بين ثلاثتها ، كأفكار متفقة ومتعاونة على أصول واحدة ، وأسلوب واحد ، ومنهج واحد ، وتخطيط واحد ، للوصول في النهاية الى هدم الأديان ، وفي مقدمتها دين الاسلام ، وهدم المجتمعات المتدينة ، وفي مقدمتها المجتمع الاسلامي .

لذلك أشار المؤلف في مقدمته ، الى أنه منذ مطلع شمس الاسلام بمبعث الرسول (ص) لعب اليهود دورا متعدد الجهات ، مختلف المراحل على أرض الاسلام ، وحين تم للقوى المعادية للاسلام أن تجمع نفسها في تجنيد أتاتورك في حركته الانقلابية العلمانية ، اللادينية واللا اسلامية ، لكي تصبح تركيا الاسلامية نموذجا لهدر قيم الاسلام ، قامت افرازات فكرية وعقائدية في الوطن الاسلامي الكبير ، تنفث سمومها ضد مستقبل الانسان المسلم ، الذي يريد أن يبني حياته على هدي من تعاليم كتاب ربه ، وسنة نبيه الكريم ..

● يقدم المؤلف تعريفا موجزا عن الماسونية نقلا عن غيره ، فهي حركة تنظيمية خفية ، قام بها - على الأرجح - حاخامات التلمود ، وبخاصة في مراحل الضياع السياسي الذي تعرض له يهود التوراة ، ويرى المؤلف كما يرى غيره ، ان البداية العملية لتحقيق موضوع الماسونية عند مؤسسيها ، هي أن الماسونية حركة ذات هدف يهودي بحت ، وذات طابع عالمي تلبس - من أجل تحقيق أهدافها - كل صور العصر وادواته ، وطقوس المجتمع الذي تكون فيه ..

ويشير المؤلف الى أصل الماسونية العام ، ويرى مع غيره أن المؤرخين للماسونية حتى من أشياعها لم يتفقوا ، لا على تحديد زماني أو تحديد مكاني لها ، فمنهم من وصل بها الى آدم - عليه السلام - ومنهم من جعل نشأتها في أوائل القرن السابع الميلادي ، أما الدلالة اللغوية لكلمة « الماسون » فهي مشتقة من لفظة « فرمسون » وهي مركبة من مقطعين فرنسيين : « فران » أي الصادق ، و « ماسون » أي الباني ، ويكون المعنى الباني الصادق ، والجماعة الماسونية هي : البناة الصادقون ..

● ويركز المؤلف كثيرا على كتاب « القوة الخفية » الذي عربه الأستاذ عوض الخوري ، وطبع منذ سبعين عاما في بيروت ، نقله عن الفرنسية ، وأصل الكتاب بالعبرية ، وأطلق على الترجمة العربية اسم تبديد الظلام أو (أصل الماسونية) فهذا الكتاب يقرر أن البداية العملية ، والممارسة الفعلية لعمل الماسونية المنظم ، كانت حين تم تأسيس الجمعية الماسونية في أورشليم في الرابع والعشرين من شهر حزيران - يونيو - من السنة الثالثة والأربعين بعد ميلاد المسيح ، وأن أول من فكر في الأمر هو حيرام أبيود مستشار الملك اليهودي هيردوس اكريبا ، وكان أن تم تأسيس الجمعية من تسعة أعضاء ، برئاسة الملك ، ونائب الرئيس هو حيرام مستشار الملك ، وكاتم سر أول ، وكاتم سر ثان ، ومراقب ، ومعاون أول ، ومعاون ثان ،

وكافل ، ثم حاجب : أما الهدف الرئيسي فكان لمواجهة المسيحية ، ولقد وصف الملك المسيح عليه السلام في أول خطاب له بأحط الأوصاف واتهمه باحداث انقلاب روحي وزمني وسياسي عند الشعوب ، ولا سيما في طائفتهم الاسرائيلية ، والملك هو الذي اقترح أن تكون جمعية « القوة الخفية » محصورة بين مؤسسيها التسعة وذراريهم ، وأن تظل أسرارها الداخلية ، وغاياتها الأساسية في كتمان ، حتى عمن ينضوي تحت شعارها ..

قال الملك : ان أكبر واسطة نجعل بها جمعيتنا عظيمة وخطيرة ومشوقة ، هي أن نكتم عن جميع الناس سر تاريخ تأسيسها ، ونكتم أيضا أسماء مؤسسيها - أي أسماءنا - عن كل من ينخرط في سلكنا ، ويصير أخالنا ليبقى هذا السر بيننا نحن التسعة ، لا يتجاوزنا الى غيرنا كائنا من كان ، وكل منا يورثه لأحد أبنائه ، لأرصنهم وأكتمهم للسر ، وذلك بعد بلوغه سن الحادية والعشرين ، ولا يجوز لأحد من اخوته أن يعرف شيئا . »

وكان بعد ذلك العمل على انشاء فروع تابعة للماسونية ومغايرة لها اسما ، وبعد ظهور الاسلام ، أضافت الماسونية الى هدفها الأساسي « مجابهة المسيحية » هدفا آخر ، هو مجابهة الاسلام للقضاء عليه ، ووجهت الى الاسلام ذات الاتهامات التي وجهتها الى المسيحية ، وأنشأت الماسونية بعد ذلك هياكل في ايطاليا ، ثم في روسيا وبقية من بلدان أوروبا ، ثم تطورت الماسونية أساليب ، حتى جعلت من غير اليهود عبيدا لليهود ، وأخذت أسماء عدة متعددة مثال : الروتاري ، والليونز « جمعية الأسود » والبناي برت : الاتحاد والترقي ، و« شهود يهوه » وغيرها ..

● ثم يشير الكتاب الى أشهر الفرق الماسونية الثلاث : الماسونيه الرمزية العامة التي تقوم على ثلاث درجات ، ومن بين بنود القانون الأساسي لهذه الرمزية ، الادعاء القائل عن الماسونية : جمعية خيرية انسانية ، تقوم على المحبة المتبادلة بين جميع أعضائها .. أما شعاراتها فخلابة : حرية . اخاء . مساواة .. وأما الدرجات الثلاث ، فهي : المبتدىء . الشغال . الأستاذ ، والفرقة الثانية : الماسونية الملوكية ، وتعتبر متممة للماسونية الرمزية العامة ، الا أنها صهيونية لحما ودما ، والفرقة الثالثة : الماسونية الكونية .. لا يعرف مقرها ولا رئيسها الا أعضاؤها ، وهي تستخدم المحافل الماسونية الرمزية كافة في تحقيق الأغراض الصهيونية تحت ستار : الحرية والمساواة والاخاء ..

ان الروحية الحديثة هي أيضا في خدمة الماسونية ، ويستشهد المؤلف بكتاب أستاذنا الدكتور محمد محمد حسين « الروحية الحديثة دعوة هدامة » ثم يشير المؤلف الى أن الصهيونية في العصر الحديث تكمن وراء كل الحركات السياسية والاجتماعية ، ومنها الروحية

الحديثة ، ويذكر المؤلف أن هذه الروحية تزعم محاربة الالحاد والمادية ، لا مانع لديها من تمجيد الشيوعية ، ووصف روسيا بأنها دولة متقدمة .

● ويربط المؤلف بين الماسونية وبين طبيعة بروتوكولات حكماء صهيون ، فهما متفقان ، ومتعاونان منهجا وأسلوبا ومبدأ وغاية ، بل انهما شيء واحد بمسميين ، فهذه البروتوكولات تقرر : ان المحافل الماسونية تقوم في العالم أجمع بدور القناع الذي يحجب أهدافنا الحقيقية ، وتكشف عن خبايا نواياها ، وترى : أن مصلحة اليهود تقضي بانحلال الشعوب غير اليهودية ، وتهدف الى ابقاء العامل في حالة تافهة وعجز دائمين ، وبذلك يخضع لمشيئة اليهود وارادتهم ، وفي البروتوكول الرابع عشر : حينما نمكن لأنفسنا فنكون سادة الأرض ـ لن نبيح قيام أي دين غير ديننا .. لهذا يجب علينا أن نحطم كل عقائد الايمان ..

وفي المبحث السادس ، يكشف المؤلف عن طبيعة الماسونية ، فهي حرب على الأديان السماوية ، ترتدي ثوبا جديدا في العداء للاسلام ، فمن صياغتها : البابية والبهائية ، والسبئية ، والباطنية والماسونية الحديثة تدعو الى الدين الطبيعي وتمجده ، وكلمات زعماء الماسونية تؤكد : أن الماسونية ليست سوى نكران جوهر الدين ، وان قال الماسون بوجود الاله أرادوا به الطبيعة . .

أما في المبحث الثامن والأخير ، فيشير المؤلف الى ارتباط الشيوعية بالماسونية اليهودية ، وأن هذه الماسونية هي التي خططت للماركسية ، واتخذت قرار هدم روسيا ـ.. وأن دور الشيوعية في الحرب ضد الاسلام ، مصدره تخطيط الماسونية الصهيونية ..

● وبعد ..

فالحق أن المؤلف الدكتور صابر طعيمة قدم دراسة ، تتركز مهمتها في خطورة الماسونية قديما وحديثا ، ولقد لعبت في القرنين الأخيرين ، وقبلهما بقليل أخطر الأدوار في سياسة العالم ، ومنذ الثورة الفرنسية وهي من بنات أفكار الماسونية ومخططاتها ، يعتبر التاريخ هذه الماسونية المسؤول الأول عن سائر الحركات التي تلت الثورة الفرنسية ، ولا سيما الحركات التي اتسمت بطابع التصفيات الدموية ، بل ولم يعد خافيا على أحد أن معظم الزعامات التي تسيطر على الشعوب يدين بالولاء للماسونية ، ويدير الحكم بعقلية علمانية ..

والمؤلف اعتمد كثيرا في ابراز جهده على النقل ، ولا سيما كتاب « القوة الخفية » وبروتوكولات حكماء صهيون ، والنقل ليس في حد ذاته عيبا ، بشرط أن يكون لرأي المؤلف في التحليل والتعقيب والتفسير وجود ، وبشرط آخر ألا يجد القارىء نفسه في متاهات ، وازاء هذا وذاك ، لا مانع

من التماس بعض العذر للمؤلف ، فلم تزل الماسونية في حاجة الى مزيد من الدراسة التي تكشف مخططاتها ، وتعري أهدافا لها لم تعر بعد ..

التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين

● المؤلف هو الفقيه الفاضل ابو محمد ، عبدالله بن السيد البطليوسي ، ولد في مدينة بطليوس سنة ٤٤٥هـ احدى مدن الاندلس وتقع غربي قرطبة ، حيث نشأ بها ، وتلقى اولى سنوات تعليمه على ايدي علمائها ، ثم يمم وجههشطر قرطبة ، حيث كانت تموج بالعلماء والادباء وحيث تابع دراساته للفقه والحديث وبعد ان اضطربت الاحوال في الاندلس انتقل الى مدينة بلنسية التي تقع شرقي قرطبة ، وظل بها علما مرموقا حتى وافته منيته سنة ٥٢١ هـ .

ويعتبر المؤلف حجة في اللغة والادب والفقه ، وقد اضفى على سائر مؤلفاته مسائل النحو حتى لقد اعتبر كتابه الذي بين ايدينا مرجعا في اللغة . وقد كان معظم مؤلفاته في الادب واللغة ، منها « اصلاح الخلل الواقع في الجمل » وهو نقد لكتاب « الجمل » للزجاجي . ومسائل منثورة في النحو ، وشرح سقط الزند لابي العلاء ، والاقتضاب في شرح ادب الكاتب ، وشرح الكامل للمبرد ، وشرح ديوان المتنبي . وغير هذا

● اما الكتاب الذي بين ايدينا فهو - يعد اول كتاب وصل الينا من الكتب التي الفت في اسباب الخلاف ، ويعتبر البطليوسي من اوائل الذين فطنوا لافراد هذا الفن في كتاب ومن مقدمة المؤلف «واني لما رأيت الناس قد افرطوا في التأليف واملوا الناظرين بانواع التصنيف ، في اشياء معروفة ، واساليب مألوفة صرفت خاطري إلى وضع كتاب في أسباب الخلاف الواقع بين الأمة قليل النظير نافع للجمهور عجيب المنزع ، غريب المقطع يشبه المخترع وان كان غير مخترع .. هذا وقال المحققان : وقد جاء على نمطه بعد فترة من الزمن كتاب الانصاف في بيان اسباب الاختلاف للدهلوي المتوفي سنة ١١٨٠ هـ ، ومما الف في عصرنا الحاضر في اسباب الاختلاف اسباب اختلاف الفقهاء للشيخ على الحفيف ، وايضا للدكتور عبدالله عبدالمحسن التركي مدير جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية .. ونحن نضيف ان لاستاذنا الشيخ عبدالجليل عيسى كتابا قريبا من الموضوع عنوانه : .. ما لا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين » وهو على صغر حجمه له قيمة علمية كبيرة اما كتاب

الدهلوي فهو رسالة صغيرة الحجم للغاية وقد قمت بتحقيقها وطبعها ضمن سلسلة الثقافة الاسلامية ـ مارس ١٩٦٥ علما بان هذه الرسالة موجودة بنصها تقريبا في المؤلف المشهور ـ للدهلوي وهو « حجة الله البالغة » .

● يقول المؤلف : ان الخلاف عرض لاهل ملتنا من ثمانية أوجه ، كل ضرب من الخلاف متولد منها ومتفرع عنها » اما هذه الاوجه الثمانية فهي على الترتيب : اشتراك الالفاظ والمعاني ـ الحقيقة والمجاز ـ الافراد والتركيب ـ الخصوص والعموم ـ الرواية والنقل ـ الاجتهاد فيما لا نص فيه ـ الناسخ والمنسوخ ـ ثم الاباحة والتوسع .. ولكن الملاحظ ان المؤلف اسهب الى حد ما في بعض الاوجه ، حيث بلغت صفحات كل من الاوجه الاول والثاني والثالث والخامس بين اربعين وخمس وخمسين صفحة ، اذ به يوجز ايجازا الى حد ما في الوجه الرابع حيث كانت صفحاته عشرا اما الاوجه الثلاثة الاخيرة فلم يزد احدها على صفحة واحدة مع ان لهذه الاوجه اهميتها وفيها مجال واسع لاختلاف العلماء ..

وقد اشار المحققان الى منهج المؤلف وقيمة الكتاب العلمية ، فالمؤلف ـ كما قالا ـ : كان على قدر كبير من الفهم العميق للشريعة الاسلامية والاحاطة باسرارها وقد اجابا عن سؤال قد يطرح نفسه على القارىء : كيف يبرع في الفقه وعلوم العقيدة رجل كالبطليوسي ، يعد من اساطين علماء اللغة والادب حتى يخيل لمن يقرأ له في اللغة والادب انه فرغ لهما ؟ يجيب المحققان عن هذا السؤال اجابة شافية ، فالاندلسيون كان منهجهم في التعليم : الاحاطة اولا بقدر كبير من علوم الدين من حفظ للقرآن ودراسة للحديث والتفسير والفقه ، يستوي في ذلك اللغوي والفقيه والمهندس والطبيب ولذلك كثر بينهم النحوي الفقيه والفقيه النحوي ، والطبيب المحدث والمحدث اللغوي فالامام الشاطبى ، الف في النحو بمثل البراعة والقوة اللتين الف بهما في الفقه والاصول ، وابو حيان فقيه ومفسر ونحوي واديب وشاعر ، بالاضافة الى ان الاندلسيين كان لهم من ذكائهم وقوة حفظهم اكبر عون » والحق ان ما يقال عن علماء الاندلس يمكن ان ينطبق على كثير من علماء المسلمين غير الاندلسيين ، فمثلا ابن قتيبة المتوفي ٢٧٦ هـ وهو فارسي الاصل ولد بالكوفة ونشأ في بغداد او على ارجح الاقوال ، ولقد الف في كثير من المعارف والعلوم ، حتى قال عنه بروكلمان في دائرة المعارف الاسلامية : « ان مصنفاته قد تناولت جميع معارف عصره » ومصداق ذلك اننا نراه قد ألف في جميع الفنون العربية التي عرفت في عصره ، ومن يجهل كتاب : الشعر والشعراء ، او كتاب ادب الكاتب او كتاب عيون الاخبار، او كتاب المعارف ، او كتاب الانواء في الفلك ، او كتابي مشكل القرآن وغريب القرآن ، او كتاب تأويل مختلف الحديث ، بل ان لابن قتيبة كتابا سبق به البطليوسي هو

كتاب ... الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة ..

● والى القارىء نموذج يوضح منهج المؤلف في البحث ، وهو منهج يعتمد على الاستقصاء العميق ، والاهتمام البالغ بشواهد اللغة ، ففي الوجه الاول « الخلاف العارض من جهة اشتراك الالفاظ يقول :

« هذا الباب ينقسم ثلاثة اقسام :

احدها : اشتراك في موضوع اللفظة المفردة ..

والثاني : اشتراك في احوالها التي تعرض لها من اعراب وغيره ..

والثالث : اشتراك يوجبه تركيب الالفاظ وبناء بعضها على بعض فاما اشتراك العارض في موضوع اللفظة المفردة فنوعان : اشتراك يجمع معاني مختلفة متضادة - - واشتراك يجمع معاني مختلفة غير متضادة ..

ثم يشير المؤلف الى احتجاج بعض الحجازيين باثبات الهاء في « ثلاثة قروء » فدل ذلك على انه اراد « الاطهار » ولو اراد « الحيض » لقال « ثلاث قروء » لان الحيض مؤنث ويعقب المؤلف بقوله : وهذا لا حجة فيه عند اهل النظر لانه لا ينكر ان يكون القرء لفظا مذكرا يعني به المؤنث ويكون تذكير ثلاثة حملا على اللفظ دون المعنى كما تقول العرب : « جاءني ثلاثة اشخص » وهم يعنون نساء ، والعرب تحمل الكلام تارة على اللفظ وتارة على المعنى ، والا ترى إلى قراءة القراء : (**بلى قد جاءتك آياتي**) الزمر/ ٥٩ بكسر الكاف وفتحها ؟

ثم يستطرد المؤلف :

« ووقوع الاسماء على المسميات في كلام العرب ينقسم اربعة اقسام :

احدها : ان يكون المسمى مذكرا واسمه مذكر كرجل مسمى بزيد او عمرو ..

والاخر : ان يكون المسمى مؤنثا واسمه مؤنث كامرأة تسمى فاطمة ..

والثالث : ان يكون المسمى مؤنثا واسمه مذكر كامرأة تسمى جعفر ..

والرابع : ان يكون المسمى مذكرا واسمه مؤنث كرجل يسمى طلحة ..

● وبعد

فان الانصاف يفرض علينا ان نشير الى عمل المحققين العالمين الجليلين الدكتورين احمد حسن كحيل ، وحمزة عبدالله النشرتي فقد احسنا الاختيار اولا وحسن الاختيار من التراث امر له تقديره وقد اعتمدا على نسختين للاصل مخطوطتين وهناك نسخة مطبوعة بمصر منذ ثمانين عاما ، لكنهما وجدا بها تصحيفا كثيرا وسقطا ، ولدى نسخة منها ، وهي تقريبا بلا تحقيق وهي رسالة صغيرة اما النسخة المحققة التي نقدمها الى القراء فهي في ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير وهذا يشير الى الجهد العلمي العظيم الذي بذله المحققان الفاضلان ، فالى جانب ضبط الاصل

والتعريف بالمؤلف والكتاب والترجمة للاعلام شرحا الالفاظ وحققا الاحاديث والشواهد من اللغة والفقه والشعر ووضعا في نهاية الكتاب فهارس للاحاديث النبوية والقوافي والاعلام واهم المصادر ثم الموضوعات ..

ولا يسعنا ازاء هذا الجهد العلمي العظيم سوى تقديرنا للمحققين العالمين الباحثين .

الخصائص العامة للاسلام

● المؤلف ليس في حاجة الى التعريف به ، فهو الدكتور يوسف القرضاوي الاستاذ بكلية التربية في جامعة قطر ، والذي سبق ان قدم ـ وما يزال يقدم ـ للمكتبة الاسلامية دراسات اسلامية امتازت بالاصالة ، والمرونة ، وسعة الافق ، فالقراء يعرفون جيدا كتابه « الحلال والحرام في الاسلام ، وقد طبع بضع عشرة مرة ، وكتابه « الحل الاسلامي فريضة وضرورة » وكتابه « الحلول المستوردة ؛ وكيف جنت على امتنا » ثم « فقه الزكاة » في مجلدين كبيرين ، وهو الدراسة التي حصل بها على الدكتوراه من كلية اصول الدين بجامعة الأزهر .

● والكتاب يقع في زهاء مائتين وخمسين صفحة من القطع الكبير ، وهو مقسم الى سبعة فصول ، بعد الخصائص التي اختارها المؤلف ـ ليس على سبيل التحديد او الحصر ـ وهذه الخصائص هي : الربانية ـ الانسانية ـ الشمول ـ والواسطية ـ الواقعية ـ الوضوح ـ ثم الجمع بين الثبات والمرونة ، وقد كان للخصائص الثلاث : الاولى والثانية والاخيرة ، نصيب اوفى من الدراسة ، بينما احتلت الخصائص الثلاث : الرابعة والخامسة والسادسة ، نصيبا وسطا من حيز الدراسة ، اما الخصيصة الثالثة ، فقد كان نصيبها من الدراسة اقل الانصبة ، وهي خصيصة « الشمول » .

○ **في الخصيصة الاولى** : « الربانية » يشير المؤلف الى أن الربانية ، معناها : الانتساب الى الرب ـ على غير قياس ـ أي الله سبحانه ، ويطلق على الانسان انه « رباني » اذا كان وثيق الصلة بالله ، عالما بدينه وكتابه ، معلما له ، اما

المراد من الربانية هنا ، فأمران : ربانية الغاية والوجهة ، ثم ربانية المصدر والمنهج ، ويعني بـربانيـة الغاية والوجهة : ان غاية الانسان ، وهدفه البعيد ، هو حسن الصلة بالله ، والحصول على مرضاته ، وما عدا هذه الغاية الرئيسية من غايات انسانية واجتماعية ليست إلا خادما للهدف الأكبر ، وكل ما في الاسلام من تشريع وتوجيه وإرشاد ، إنما يهـدف إلى إعداد الانسان ليكون عبدا خالصا لله ، لا لأحد سواه ، ولهذا كان روح الاسلام وجوهره هو التوحيد .

ويثير المؤلف قضية ليست جانبية ، فمما يقال مثلا : ان الأحمق يعيش ؛ ليأكل ، والعاقل يأكل ليعيش ، ولكن السؤال الذي يعجز المـاديون عن الاجـابة عنـه ، هو : لمـاذا يعيش العاقل ؟ ويجيب عنه المؤمنون : ان الانســان يعيش ليعـرف خـالقـه سبحانه ، ويعبده ، ويقوم بخلافته في الأرض .

اما ربانية المصدر والمنهج : المعنى الآخر للربانية ، فيعني به : ان المنهج الذي رسمه الاسلام للوصول الى غايته وهدفه منهج رباني خالص ؛ لأن مصدره وحي الله تعالى الى خاتم رسله ، لم يأت المنهج نتيجة لارادة فرد او ارادة اسرة ، او طبقة او حزب او شعب وانما جاء نتيجة لارادة الله .

وإذا كان الله سبحانه هو صاحب هذا المنهج ، فالرسول صلى الله عليه وسلم هو الداعي الى هذا المنهج ، ليس له من القرآن الا التلقي والحفظ ، ثم التبليغ والدعوة ، والسنة التي بينت القرآن هي نفسها وحي الهي ، ولكنه وحي غير متلو ولا معجز ، وما جاء في السنة عن طريق الاجتهاد ، فالله لا يقر رسوله على الخطأ فيه ، بل ينزل الوحي مصححا ومصوبا ، أو مثبتا ومؤكدا .

ثم يشير المؤلف الى ميزة منهج الاسلام بين المناهج القائمة في العالم ، فالاسلام هو المنهج الوحيد في العالم الذي مصدره كلمات الله وحدها ، غير محرفة ولا مبدلة ، ولا مخلوطة بأوهام البشر ، واغلاط البشر ، وانحرافات البشر ، واذا نحن نظرنا الى المناهج القائمة في العالم ، وجدناها **ثلاثة** : **المنهج البشري المحض** ، ومصدره التفكير العقلي او الفلسفي لبشر فرد ، او مجموعة من الافراد ، كالشيوعية والرأسمالية والوجودية ، **والمنهج الديني البشري** ، كالديانة البوذية ، لا يعرف لها اصل الهي ، او كتاب سماوي ، فمصدرهـا اذن فكـر بشري ، **ثم المنهج الديني المحرف** ، الـذي عملت فيـه يـد التحـريف والتبديل ، واختلط فيه كلام الله بكلام البشر ، فلم يبق ثمت ثقة بربانية مصدره ، كاليهودية والنصرانية ، اما الاسلام فهو المنهج الفذ الذي سلم مصدره من تدخل البشر وتحريفهم ، وهذه الميزة ، كـان من ثمراتهـا : العصمة من التناقض والتطـرف ـ البراءة من التحيز والهوى ـ الاحترام وسهولة الانقياد ـ التحرر من عبودية الانسان للانسان .

● هذا مجرد عرض للخصيصة الاولى : الربانية ، للتعرف على منهج

البحث عند المؤلف الذي يعتمد على الاستطراد والتحليل والمقارنة الى حد ما ، وهكذا فعل في بقية الخصائص ، فأشار في الخصيصة الثانية « الانسانية » الى أن الاسلام يمتاز بنزعته الانسانية الواضحة الثابتة ، الاصيلة في معتقداته وتوجيهاته ، وليس هناك تناقض بين الربانية والانسانية فالاسلام مع ربانيته في غايته ووجهته ، هو انساني ايضا في الغاية والوجهة ، ومن هنا نقول : ان للانسان مكانا - أي مكان - في غايات الاسلام العليا ، واهدافه الكبرى ، مع تقرير غايته الربانية ، وابرازها وتثبيتها ، اذ لا تنافي بين الغاية الربانية ، والغاية الانسانية ، بل هما متكاملتان .

وفي الخصيصة الثالثة : « الشمول » يشير المؤلف الى أن هذه الخصيصة تميز الاسلام عن كل ما عرفه الناس من الأديان ، والفلسفات والمذاهب ، بكل ما تتضمنه كلمة « الشمول من معان وأبعاد ، انه شمول يستوعب الزمن كله ، والحياة كلها ، ويستوعب كيان الانسان كله ، انه رسالة للانسان في كل مجالات الحياة ، وفي كل مجالات النشاط البشري ، والخصيصة الرابعة « الواسطية » انما يعبر عنها بـ « التوازن » اي التوسط او التعادل بين طرفين متقابلين او متضادين ، ومثال الاطراف المتقابلة او المتضادة : الروحية والمادية - الفردية والجماعية - الواقعية والمثالية - الثبات والتغير - وما شابهها ، ومعنى التوازن بينها ، ان يفسح لكل طرف منها مجاله ، ويعطي حقه بالقسط ، بلا وكس ولا شطط ، ولا غلو ولا تقصير ، والانسان عاجز عن انشاء نظام متوازن بعقله المحدود ، وعلمه القاصر ، فضلا عن تأثير ميوله ، ونزعاته ، ولهذا لا يخلو منهج او نظام يصنعه بشر من الافراط والتفريط كما يدل على ذلك استقراء الواقع وقراءة التاريخ .

ويشير المؤلف الى الخصيصة الخامسة : « الواقعية » فهي لا تعني في الاسلام ما يعنيه بعض الفلاسفة من الماديين او الوضعيين ، من انكار كل ما وراء الحس ، وما بعد الطبيعة ، واعتبار الواقع هو فقط ، الاشياء المحسة ، والمادة المتميزة ، فلا إله عندهم للكون ، ولا روح للانسان ، كذلك يرفض الاسلام الواقعية التي تعنى قبول الواقع على علاته ، وانما تعني الواقعية لدى الاسلام ، مراعاة واقع الكون من حيث هو حقيقة واقعية ، ووجود مشاهد ، ولكنه يدل على حقيقة اكبر منه ، ووجود اسبق وابقى من وجوده ، ومراعاة واقع الحياة من حيث هي مرحلة حافلة بالخير والشر ، تنتهي بالموت ، وتمهد لحياة اخرى بعد الموت ، ومراعاة واقع الانسان من حيث هو مخلوق مزدوج الطبيعة ، والواقعية بهذا المعنى ليست نقيضا للنزعة المثالية المعتدلة في الفلسفة والاخلاق .

وبعد ان عرض المؤلف للخصيصة السادسة : « الوضوح » سواء فيما

يتعلق بالاصول والقواعد ، ام بالمصادر والمنابع ، بالاهداف والغايات ، ام بالمناهج والوسائل ، عرض للخصيصة السابعة والاخيرة « الجمع بين الثبات والمرونة » فأشار الى ان الذين يكتبون عن الاسلام ورسالته وحضارته في عصرنا فئتان متقابلتان : الأولى تبرز جانب المرونة والتطور في احكام الاسلام وتعاليمه ، حتى تحسبها عجينة لينة قابلة لما شاء الناس من خلق وتشكيل بلا حدود او قيود ، اما الفئة الاخرى فتبرز جانب الثبات والخلود في تشريعه وتوجيهه ، حتى يخيل اليك انك امام صخرة صلب لا تتحرك ولا تلين ، ولا جدال في الاسلام انه دين وسط ، يتميز مجتمعه بالتوازن بين الثبات والتطور ، او الثبات والمرونة ، فهو يجمع بينهما في تناسق مبدع ، واضعا كلا منهما في موضعه الصحيح ، الثبات والمرونة ، فهو يجمع بينهما في تناسق مبدع ، واضعا كلا منهما في موضعه الصحيح ، الثبات فيما يجب ان يخلد ويبقى والمرونة فيما ينبغي ان يتغير ويتطور ، وهذه الخصيصة البارزة لرسالة الاسلام لا توجد في شريعة سماوية ولا وضعية فالسماوية كانت تمثل الثبات بل الجمود احيانا وقد سجل التاريخ على كثير من رجالها توقفهم في وجه الحركات العلمية والتحررية الكبرى ، ورفضهم لكل جديد في ميادين الفكر او التشريع او التنظيم ، والوضعية تمثل عادة المرونة المطلقة ، ولهذا تراها في تغير دائم ، ولا تكاد تستقر على حال . اما الاسلام فقد اودع الله فيه عنصر الثبات والخلود ، وعنصر المرونة والتطور معا .

● وبعد ـ فقد اشار المؤلف في مقدمته الى كتاب الشهيد « سيد قطب » خصائص التصور الاسلامي ومقوماته » وقال عنه : انه يعني بجانب واحد من جوانب الاسلام الرحب ـ كما يبدو من عنوانه ـ وهو جانب التصور والاعتقاد ، اما خصائص المنهج او المذهب او النظام الاسلامي كله ، فلم يكن ذلك هدف المؤلف في الكتاب » ولقد احس الدكتور القرضاوي بهذا القول الذي اقتضته منه الامانة العلمية ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، فان المقارنة التي ابداها بين مؤلفه ومؤلف الشهيد سيد قطب مقبولة ولكن الى حد ما ، فالمنهج لدى كليهما في تقديم هذه الخصائص يكاد يكون متقاربا غير ان الدكتور القرضاوي عنى عناية اكبر بابراز الوجه المشرق للاسلام بهذه الخصائص اما الشهيد سيد قطب ، فقد عني عناية اكبر بالعمل على انقشاع السحب التي هي من صناعة الفكر المادي ، والتي تحول دون ابراز الوجه المشرق للاسلام لدى الغربيين انفسهم ، وهناك شيء آخر هو ان كتاب الشهيد سيد قطب هو القسم الاول ، اقصد ان ما طبع ليس كل الكتاب ، الذي لم يتم ، وازاء هذا تكون المقارنة بين المؤلفين غير وافية ، وهذا لا يحول دون ان نقدر في الدكتور القرضاوي ان قدم للمكتبة الاسلامية دراسة تعتز هي ويعتز الشباب المسلم معها به .



اولا : الاسلام وعلم الطب

● ـ علاقة الاسلام بالطب هي عنصر جزئي ينطلق من حقيقة كبرى تحكم نظرة الاسلام للانسان فالانسان في القرآن الكريم هو خليفة الله في الارض ، وهو مخلوق الله المكرم الذي أمر الملائكة فسجدت له وسخر له الارض ليبني فيها ويعمر .

هذه القيمة العظمى للانسان هي التي فرضت احاطة مخلوق الله المكرم بسياج من الضمانات التي قررتها الآيات القرآنية والاحاديث النبوية لدرجة ان العدوان على الانسان هو اعتداء على المجتمع بأسره . يقول القرآن الكريم : (**من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا**) المائدة/٣٢ .

ويقرر الرسول : « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » رواه مسلم وازاء هذه القيمة العظمى والمسئولية الكبرى للانسان فان الله تعالى قد سلح الانسان بالمعرفة : (**الرحمن . علم القرآن . خلق الانسان . علمه البيان**) الرحمن/١ ـ ٤ .

وهكذا تتضح الصورة : انسان كرمه الله ، ثم حمله مسئولية كبرى وهي حمل امانة الله في الارض ثم اعطاه السلاح الاساسي وهو : « العلم والمعرفة ».

● – وعلم الطب هو ابرز وسائل المعرفة لحماية ذلك المخلوق الذي كرمه الله لكي يؤدي رسالته على الارض فالطب ترجمة لحق البدن على صاحبه كما يقول الرسول :

« إن لربك عليك حقا وان لنفسك عليك حقا » رواه البخاري .

● – والعلم الحق هو الذي يهدي الى الايمان والايمان الحق هو الذي يعطي مجالا للعلم وهذا هو العلم الذي يريده الاسلام ، يريده علما في ظل الايمان وفي خدمة مثله العليا وفي ذلك أشار القرآن (**اقرأ باسم ربك**) العلق/١ وهكذا طلب القرآن قراءة مقيدة بقيد خاص وهو ان تكون باسم الله . وبهذا تكون موجهة الى الخير .

● – الاسلام يفضل طلب العلم على العبادة غير المفروضة . فعن رسول الله قوله (فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم) رواه الترمذي .

وذلك ان معظم العبادات قاصرة النفع لا تتجاوز صاحبها فالذاكر وتالي القرآن يتعبدون بما يزكى انفسهم ويزيد في حسناتهم ، ولكن المجتمع لا ينال من عبادتهم فائدة مباشرة تحقق له النفع ، اما العلم فنفعه متعد لا يقتصر على صاحبه بل يفيد منه الناس .

● – لذلك كان للعلوم التطبيقية مثل الطب مكانة رفيعة في الاسلام . ففي الآية الكريمة : (**ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء**) فاطر/٢٧و٢٨ . كانت خشية الله عائدة على العلماء المشتغلين بالعلوم التطبيقية التي وردت في الآية الكريمة مثل الجيولوجيا والطب والاحياء .

● – بل ان العلم النافع للبشرية يتميز على العبادات بان ثوابه لا ينقطع بانتهاء الحياة قال رسول الله : « « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » رواه البخاري ومسلم .

● – وعلى ذلك نقول اذا كانت العبادات وسيلة الى رضا الله فان العلم ايضا وسيلة الى رضا الله والى نفع العباد وهذا يستلزم من العلماء ان يوجهوا علمهم الى ما يرضي الله : « من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به عوضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة » رواه احمد وابو داوود و « من طلب العلم ليجاري به العلماء او ليماري به السفهاء او يصرف به وجوه الناس اليه ادخله الله جهنم » رواه ابن ماجه والسيوطي . ولكي لا يكون العلم سلاحا ذا حدين دعا الرسول الى تقوى الله في استخدامه حيث يقول « العلم الخشية وتقوى الله » رواه الطبراني .

● – وبالرغم من اهتمام الاسلام

بالطب فان هناك توضيحا للعلاقة بين القرآن والعلوم الطبية . ان القرآن ليس كتابا في الطب او الفلك كما يحاول بعض اعدائه ان يجدوا فيه تباينا مع هذه العلوم . ان مادة القرآن اكبر من تلك المعلومات الجزئية فمجال القرآن هو الانسان ذاته ، اعتقاده ومشاعره وسلوكه واعماله وعلاقاته بخالقه وبما حوله ، وبذلك يصحح له مفاهيمه وتصوراته عن الحياة ، ويضعه على الطريق السليم ليستخدم طاقاته ومنها طاقته العقلية لتعمل بالبحث العلمي في الحدود المتاحة للانسان ، كما يعالج بناء المجتمع الانساني الذي يسمح لهذا الانسان بان يحسن استخدام طاقاته في الخير بما يرضي الله .

ان القرآن الكريم كتاب هداية ، يهدف الى تكوين المجتمع المسلم الذي يقيم رسالة الله في الارض والسنة النبوية التي تعتبر شرحا وتطبيقا لكتاب الله تناولت من الجوانب الطبية ما يهم صالح المجتمع المسلم كما سنوضح فيما بعد . فرسول الله ليس طبيبا ولم يدع لنفسه القدرة على الشفاء بل كان يقول لاهل المريض : « ارسلوا الي طبيب » رواه احمد وبعبارة اوضح فالكتاب والسنة وضعا الخطوط العريضة للتشريع في مختلف مجالات الحياة لتتناسب الشريعة الاسلامية مع كل زمان ومكان في حدود جلب المصالح وتجنب الضرر والضرار .

● ـ ان وجود بعض المصطلحات مثل « الطب الاسلامي » او « الطب النبوي » لا يعني ان الطب الذي يمارس اليوم في العالم طب غير اسلامي . هذه المصطلحات تحمل معنى تخليد التراث الحضاري للامة الاسلامية في عهد ازدهار الدولة الاسلامية ، ذلك الازدهار الذي انعكس على مختلف العلوم ومنها الطب ، فكانت نهضة حقيقية تستفيد بما قبلها وتناقشه وتنقحه وتضيف له خلاصة تجاربها وانتاجها ، ثم تصدره للعالم في افضل صورة متاحة للبشرية في ذلك الحين . وفي كل هذه المراحل كان الفضل للاسلام . في مرحلة الترجمة كان الدافع هو ان : « الحكمة ضالة المؤمن ينشدها اني وجدها » رواه الترمذي وفي مرحلة الانتاج الذاتي كان الدافع هو دعوة القرآن والرسول للعلم في مواضعها الكثيرة .

وفي مرحلة التصدير كان الدافع هو ان الاسلام يرفض الاحتكار لاي شيء ولذا لا بد من نشر المعرفة . والآن وبعد التخلف الحضاري والتفتت الاقليمي للامة الاسلامية ، فانها مطالبة بالاستفادة من الطب الذي يتقنه الاخرون بل واللحاق بهم . ان تذكر امجاد الماضي يجب ان يكون دافعا لانجازات المستقبل لا سببا للتوقف عند الحد الذي وصلوا اليه . وكل ما ينجزه العقل البشري من علم نافع يقبله الاسلام ، بل ويباركه الرسول . مشجعا للمتخصصين في علوم الحياة رافضا ان يفرض عليهم اية وصاية حين يقول : « انتم اعلم بأمور دنياكم » رواه مسلم .

ثانيا : الاسلام ومهنة الطب

● ـ الاسلام يحترم العمل المهني من اجل الكسب الحلال . فالرسول يقول : « ان اطيب ما اكل الرجل من كسب يده » رواه البخاري والطب مهنة للكسب الحلال امتدحها رسول الله : « نعم العبد الحجام » وورد انه « احتجم واعطى الحجام اجره » رواه البخاري .

● ـ والمسلم في عمله الحلال له ثواب العبادة . فرسول الله اعاد شابا من الجهاد لكي يعمل لتوفير الرزق لوالديه المسنين وقال له : « ففيهما جاهد » رواه البخاري ولكي يكون العمل في منزلة العبادة لا بد ان تتوفر في ممارسته نية صادقة بأنه موجه الى رضا الله فالرسول يقول : « من ابتغى وجه الله فان نومه ونبهه اجر كله » » ابو داوود والنسائي .

● ـ لذلك فان الاسلام يدعو الطبيب المسلم لأن ينطلق في ممارسة مهنة الطب من قواعد ثلاث :ـ

★ دفع الضرر عن المجتمع المسلم بتوفير مقومات الصحة للمجتمع . والرسول يقول : « ان المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » رواه البخاري والطبيب في مجال تخصصه مطالب بان يقدم علمه وخبرته لصالح المجتمع المسلم . يقول الرسول : « اعزل الاذى عن طريق المسلمين » رواه مسلم « والله يكره اذى المؤمن » رواه الترمذي .

★ اداء واجب الاخوة في الله نحو اخيه المسلم المريض ففي الحديث الجامع عن رسول الله : « المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله به طريقا الى الجنة » رواه الترمذي ومسلم وبذلك يكون هدف الطبيب في تخفيف الام المريض اسمى من الرغبة في الاجر والجزاء الدنيوي وارفع من اشباع النفس بلذة الشعور بالمهارة في المهنة .

★ الرحمة الانسانية التي تتسع لكل البشر مسلمين وغير مسلمين بل تتسع لكل كائن حي كما يقول الرسول : « لكم في كل ذات كبد حرى اجر » رواه الطبراني « لن تؤمنوا حتى تراحموا ». قالوا كلنا رحيم يا رسول الله . فقال الرسول « ليست الرحمة ان يرحم الرجل قومه انما يرحم الناس جميعا » رواه الطبراني .

وموقف الطبيب في العملية العلاجية هو انه اداة الرحمة الالهية والوسيلة التي يخفف الله بها آلام الناس ، فعندما قال ابو رمثة لرسول الله : « دعني اعالج ما بظهرك فاني طبيب » فقال له الرسول : « انت رفيق والله الطبيب » رواه ابو داوود واحمد ان ذلك يجعل الطبيب دائم الصلة بالله يسأله التوفيق في عمله . كما انه يقيه من الغرور المهني عند نجاحه في عمله لأن ذلك يحبط العمل ويزيل الاجر .

ثالثا : نظرة الاسلام للمرض

● يعترف الاسلام بالمرض كحالة غير طبيعية تصيب اعضاء معينة من

الجسم . فرسول الله يقول لسعد بن ابي وقاص حيث اصيب بمرض القلب : « انك رجل مفؤود فأت الحارث بن كلدة اخا ثقيف فانه رجل يتطبب) » رواه ابو داوود . اذن ليس المرض ناتجا عن الشياطين والنجوم والارواح الشريرة . لذلك منع الاسلام كل الممارسات المبنية على هذه المعتقدات الخاطئة ، مثل التطير والتمائم والعرافة وغيرها . يقول الرسول في احاديثه : « من علق تميمة فقد اشرك » رواه احمد « من اتى عرافا او كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل على محمد » رواه احمد « لا طيرة ويعجبني الفأل الصالح الكلمة الحسنة » رواه الترمذي « ان الرقي والتمائم والتولة شرك » رواه الترمذي .

● صحيح ان الاسلام لم يوضح العوامل والاسباب المرضية بالصورة التي نفهمها الآن ، لأن الحضارة الانسانية في هذا العصر لم تكن لتستوعب هذه المعلومات . ومع ذلك فقد اعطى ارشادات محددة تهدف لسلامة المجتمع المسلم مثل ما ذكره الرسول في العدوى وصحة البيئة والتغذية والنظافة الشخصية . وهذه لا تختلف عما يقوله عالم في العصر الحديث يعرف مسببات الامراض ووسائل مكافحتها . وحديث الرسول عن الطاعون ما هو الا اسلوب الحجر الصحي الحديث للامراض الانتقالية ولكن دون ان يذكر العامل المرضي « الميكروب » وطريقة انتقاله بصراحة . عن اسامة بن زيد قال رسول الله : « اذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها واذا وقع بأرض وانتم بها فلا تخرجوا منها » رواه البخاري .

● المسلم مطالب بحفظ صحته والمجتمع مطالب بوقاية نفسه من الامراض بل وتوفير الصحة الايجابية بمفهومها الحديث يقول الله تعالى : **(إن خير من استأجرت القوي الأمين)** القصص/٢٦ . ويقول الرسول : « لو لم يكن لابن آدم الا اسلامه والصحة لكفاه » رواه الترمذي .

وليس ذلك بغريب فالمؤمن القوي الصحيح اقدر على اداء الرسالة التي خلق الله الانسان من اجلها ليعيش على الارض ويؤدي الامانة التي تقبل ان يحملها . ان القرآن يعيب على اولئك الكافرين الذين يريدون الحياة - اي حياة - لمجرد الحياة **(ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين اشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر)** البقرة/٩٦ .

ان الاسلام لا يقبل ان تكون امة المسلمين غثاء كغثاء السيل ، تعيش على هامش الحياة في عجز جسماني وفكري . فعندئذ يكون بطن الارض خيرا لها من ظاهرها .

● بل ان كره المرض امر طبيعي يقبله الاسلام فعندما ما قال ابو الدرداء لرسول الله « لأن اعافي فأشكر احب

الى من ابتلى فأصبر » فقال الرسول : « الله يحب معك العافية » رواه الترمذي « اسألوا الله العافية فانه ما أوتي احد بعد يقين خيرا من معافاه » رواه الترمذي .

● ولكن اذا ما حدث المرض فان المسلم اقدر على تقبل هذا الواقع المؤلم بصبر ينبعث من ايمانه بنظرية الابتلاء . فالمرض ليس غضبا من الله او عقابا من السماء لكنه ابتلاء يكفر الذنوب ويرفع الدرجات اذا تلقاه المسلم بصبر واحتساب . يقول الرسول : « ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها خطاياه » رواه البخاري ومسلم واحمد .

● بل ان هناك جانبا يتميز به الاسلام في موقفه من المرض وهو وان بدا امرا ـ يتعلق بالسلوك الا انه في نهاية الامر نوع من العلاج النفسي لنا ان نصنفه في جانب العلم بأكثر مما يصنف في جانب الآداب والاخلاقيات . فللمريض حق على الصحيح وهو حق العيادة ، كما ان له حقا على الطبيب هو حق الطبابة . وهذه الحقوق تستمد من التأكيد الشديد الذي ركزت عليه احاديث الرسول في عيادة المريض الى ما يشبه الوجوب ، وانها من حقوق المسلم على المسلم ، انها ليست مجرد تخفيف عنه وصله له ولكنها قربى الى الله .

يقول الرسول في الحديث القدسي : « ان الله عز وجل يقول يوم القيامة : يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال : يارب : كيف اعودك وانت رب العالمين ؟ قال اما علمت ان عبدي فلانا مرض فلم تعده . اما علمت انك لو عدته لوجدتني عنده » رواه مسلم وهكذا فالمريض قريب من الله كما يقول الرسول الكريم : « عودوا المرضى ومروهم فليدعو لكم فان دعوة المريض مستجابة وذنبه مغفور » رواه الطبراني « اذا دخلت على مريض فمره يدعو لك فان دعاءه كدعاء الملائكة » رواه ابن ماجه .

● بهذه الفلسفة يكون المريض قادرا على التماسك والتحمل ولا يكون المرض البدني سببا في تولد المرض النفسي او الاضطرابات العضوية النفسية . بل ان صلابة النفس ـ كثيرا ما تساعد في شفاء المرض الاصلي .

● ويتفرع من تلك الفلسفة ايضا ان الازمات الصحية مهما اشتدت لا تقود المسلم الى التفكير في التخلص من حياته . بل لا يجوز له ان يتمنى الموت . عن انس بن مالك عن رسول الله : « لا يتمنين احدكم الموت من ضر اصابه فان كان لا بد فاعلا فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي » رواه البخاري ومسلم .

● اعطى الاسلام المريض رخصة تعفيه من الالتزامات الشرعية حسب ما تمليه الضرورة . ففي القرآن الكريم : **(ولا على المريض حرج)** النور/ ٦١ ولذا يباح الذهب في العلاج التعويضي كما امر رسول الله عرفجة بذلك ، كما يباح استعمال الحرير في

المرض الجلدي فرسول الله رخص لعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام في لبس الحرير لحكة كانت بهما مع ان كليهما محرم على الرجال .

رابعا : نظرة الاسلام للوقاية والعلاج :

● دعا الاسلام الى تطبيق اسس الرعاية الصحية الثلاثة وهي الوقاية والعلاج والتأهيل .

● وحيث ان الطب الوقائي يهدف الى تدعيم الصحة الايجابية لذلك اولاه - الاسلام اهمية خاصة . فالمجتمع المسلم الصحيح اقدر على حمل الامانة واداء رسالة الله في الارض . وعلى ذلك نجد ان احاديث الرسول في الصحة الوقائية تتميز بالتفصيل وتنتهج اسلوبا اقرب الى الالزام . اما الطب العلاجي فقد تناولته بالمنهج العادي في التشريع وهو وضع القواعد الاساسية التي تضمن السير في الطريق الصحيح دون الدخول في التفاصيل .

● ففي مجال البيئة نجد الاسلام قد وضع انموذجا رائعا لارتباط كل فرد مسلم بأمة الاسلام ، ويتمثل ذلك في مسئولية كل فرد عن سلامة المجتمع والتزام كل مؤمن بسلامة اخيه تماما كالتزامه لنفسه فالقرآن الكريم وضع القواعد الاساسية : (**إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم**) الحجرات / ١٠ . والرسول يقول : « لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » رواه البخاري . « والمسلم للمسلم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى . رواه مسلم .

وانطلاقا من ذلك فان المحافظة على الصحة الشخصية لا تكفي بل لا بد من الحرص على صحة البيئة ويتمثل ذلك في الاحاديث « ان الله طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم فنظفوا افناءكم وساحاتكم » رواه الحاكم . « انظر ما يؤذي الناس فاعزله » رواه احمد . « لا يبولن احدكم في الماء الدائم » رواه البخاري .

● وفي مجال الوقاية من الامراض المعدية وضع الرسول قيودا على حركة المريض : « لا يحل الممرض على المصح وليحل المصح حيث شاء » رواه مالك . بل ان المسلم مطالب بالالتزام بقواعد الحجر الصحي في حالة الوباء ، ولو ادى ذلك الى التضحية بنفسه فالرسول يقول : « الطاعون شهادة لكل مسلم » رواه البخاري ومسلم .

● وفي مجال الصحة الشخصية فان طهارة البدن شرط لدخول الاسلام والنظافة شرط لاداء اهم اركانه وهي الصلاة . ونظرا لأهمية صحة الاسنان وانعكاساتها على اجهزة الجسم المختلفة جعل العناية بها تكاد تكون ملزمة كما في قول الرسول : « لولا ان اشق على امتى لامرتهم بالسواك قبل كل صلاة » رواه البخاري ومسلم . وكثير من احاديث الرسول تناولت صحة الغذاء والاواني والطعام .

● وفي مجال السلامة والوقاية من الحوادث : وضع الاسلام القاعدة الاساسية لهذا العلم الذي لم يتبلور الا في اواخر القرن العشرين : فلكل حادثة سبب ولتجنب الحوادث يجب على المسلم ازالة اسبابها وقاية لنفسه . في القرآن الكريم : **(ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)** البقرة ١٩٥ **(ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما)** النساء/ ٢٩ .

وحديث الرسول « لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون » رواه البخاري « ارشادك الرجل في ارض الضلال - صدقة واماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة » رواه الترمذي .

● وفي الطب العلاجي امر الاسلام بالتداوي امرا صريحا وحازما فالمسلم ليس قدريا يهمل العلاج ويترك نفسه للاقدار بل لا بد من العلاج الذي جعله الله سببا للشفاء .. وعندما سئل الرسول عن دواء يتداوى به هل يرد من قدر الله شيئا فقال الرسول : « هي من قدر الله » رواه ابن ماجه . وحديث الرسول المعروف عن العلاج « يا عباد الله تداووا . ان الله عز وجل لم ينزل داء الا انزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله » رواه احمد . « فاذا اصاب الدواء الداء بريء باذن الله » رواه مسلم .

هذه التعليمات الواضحة غيرت مفاهيم البشرية نحو المرض والعلاج ووضعت حدا للخرافات الشائعة عن اسباب الامراض ووسائل علاجها . ووضعت الناس على الطريق الصحيح ليبحثوا في الداء والدواء ليعلم من لم يكن يعلم .

● واستكمالا للدقة في تحديد المسار الصحيح للطب العلاجي دعا رسول الله الى احترام التخصص في فروع الطب فينادي الحارث بن كلدة للمريض المفؤود . وعندما يواجه طبيبين متقدمين لعلاج مريض يسألهما : « ايكما اطب بهذا » رواه مالك . حتى يتلقى المريض افضل رعاية متخصصة .

● هناك ادوية معينة كانت شائعة في عهد الرسول وبطبيعة الحال فانه استعملها في مرضه مثل سائر الناس ومن هنا بدأ بعض الكتاب والمؤرخين في استعمال تعبير « الطب النبوي » وبمرور الزمن ظهر اتجاه الى تقديس كل ما مارسه رسول الله من طعام وشراب وعلاج والالتزام به ، مع ان حديث رسول الله صريح في انه امر بالالتزام بما جاء به الوحي من امور الاسلام . اما الممارسات الدنيوية التي لا تتعلق بالعقيدة ، فالاجتهاد فيها مفتوح في اطار الالتزام بحدود الاسلام : « انتم اعلم بأمور دنياكم » فالاسلام لا يقبل ان يمتنع المسلم عن استعمال دواء حديث لمجرد ان الرسول لم يستعمله لأنه لم يكن موجودا في ذلك العصر . واعتقد ان احاديث الرسول فيما يتعلق بالعلاج تلتزم ايضا بالمنهج العام للتشريع وهو اعطاء الاطار الواسع للعموميات . فعندما علم رسول الله ان سيدة تستعمل مادة مهيجة للامعاء كوسيلة مسهلة ، نصحها بان تستعمل

السنا . وارى انه يقصد بذلك ان يضع قاعدة التداوي بما لا يضر او بما هو اقل ضررا اكثر مما يقصد ان يلزم الناس باستعمال السنا .

وهكذا نرى ان التشريع يقترب من الالزام في جانب الوقاية ودفع الضرر عن المسلمين - ويتجه الى وضع القواعد العامة التي تتمشى مع روح الاسلام فيما يتعلق بالعلاج .

● اما التأهيل فيهدف الى منع العجز بسبب المرض . والاسلام يعود المسلم الا يستسلم للعجز بل يصلي ولو بجفن عينه . الكل مطالب بالعمل حسب طاقته فالحديث : « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » رواه مسلم . والاسلام لا يرضى للمسلم ان يعيش عالة على غيره والحديث يقول : « اليد العليا خير من اليد السفلى » رواه مسلم . حتى في مجال التأهيل بالجراحة التعويضية اباح الاسلام استخدام الذهب في العلاج التعويضي رغم انه محرم على الرجال . اما الممارسات التي يقصد بها تشويه جسم الانسان او تغيير صورته الجميلة مثل الوشم فان الرسول حرمها بقوله : « لعن الله الواشمات » رواه مسلم . وقديما كانوا يكسرون جزءا من الاسنان اذا كان بارزا لاغراض التجميل وبذلك يزيلون طبقة المينا الواقية على سطح الاسنان وهذا فيه ضرر وهنا يتغلب دفع الضرر على التجميل فيحرمها الرسول بقوله : « لعن الله الواشرات والمستوشرات » رواه الترمذي . اما الجراحة بقصد التجميل اذا لم يكن فيها ضرر او احتمال واضح للضرر فانها تدخل في القاعدة العامة : « ان الله جميل يحب الجمال » رواه البزار .

والمرأة المسلمة مطالبة بان تبدو بأجمل صورة في عيني زوجها .

خامسا : الاسلام وآداب ممارسة مهنة الطب :

● لا يجوز فصل آداب المهنة عن الاخلاقيات العامة التي يجب ان يتصف بها كل مسلم في سلوكه . فالاسلام يهدف الى تكوين الذات الاسلامية منذ الطفولة بحيث يمتزج الخلق الاسلامي مع تكوين الفرد وطباعه . ومن واجب الاسرة والمدرسة والدولة ان يوفروا البيئة الصالحة التي لا يشيع فيها المنكر ، ويكون المثل الاعلى فيها قول الله تعالى : (**وإنك لعلى خلق عظيم**) القلم/ ٤ . وبذلك ينشأ الجيل منسجما مع فطرته النقية بسهولة بلا تناقضات ويجد طريق الخير امامه سهلا وبذلك يتحقق قول الله تعالى : (**والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرىء بما كسب رهين**) الطور/ ٢١ .

والطبيب المسلم الذي يحمل امانة الاسلام اولا وامانة المحافظة على صحة المسلمين ودفع الضرر عنهم ثانيا ، اولى الناس بان تكون تربيته اسلامية وسلوكه محمديا .

وعندما سئلت عائشة زوجة الرسول عن اخلاقه قالت : (كان خلقه القرآن » رواه مسلم وابو داوود . وبذلك يكون الالتزام بخلق الاسلام جزءا من طبع الطبيب ،

يمارسه بلا تكلف في جهره وعلانيته ، ونذكر قصة المعلم الذي قال لتلميذه الصغير : « اذبح هذا الطائر في مكان لا يراك فيه احد » فغاب الغلام ثم عاد ومعه الطائر حيا وقال لاستاذه « لم اجد المكان الذي اكون فيه وحيدا تماما لأني كلما اختبأت في مكان شعرت ان الله معي » والطبيب المسلم الذي يشعر ان تعامله مع الله وان عليه رقابة دائمة : (**عن اليمين وعن الشمال قعيد**) ق/١٧ . لا بد ان يتقي الله في التعامل مع خلق الله . اذا تذكر قول رسول الله : « عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعا » رواه البخاري ومسلم . فان نظرته الى الكائنات الحية كلها ستكون نظرة رحمة فأولى به ان يكون رحيما مع الانسان ـ افضل مخلوقات الله ـ الذي كرمه الله وجعله خليفة في الارض . لقد جرت العادة منذ عهد ابقراط ، ان يبدأ الطبيب حياته المهنية بترديد قسم يلتزم بادابه في ممارسة الطب . ان قضية السلوك المهني لا تحل بقسم ولا تستوفى بدراسة مقرر علمي في آداب ممارسة الطب ولا تحكمها قواعد قانونية تقررها نقابة طبية او دستور وضعي ان الرعاية بالمريض تحمل التزامات اخلاقية . والطبيب في ممارسته اليومية ستواجهه كثير من المواقف تستلزم استفتاء الضمير . وهنا ستتأثر قراراته بمدى التزامه تجاه ربه . وهنا ينبعث حكمه من قول رسول الله : « والاثم ما حاك في النفس وكرهت ان يطلع عليه الناس » رواه احمد . ان مفهوم الواجب في الاسلام هو ان تعمل لا بقصد رضاء الناس بل يقصد به وجه الله : (**إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين**) الانعام/١٦٢ .

● هذه القاعدة الاساسية تندرج تحتها كل الفضائل والاخلاقيات التي اوصى بها القرآن والرسول الكريم ومنها :

★ الصبر : (**واصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين**) هود ١١٥).

★ الاحسان في العمل : (**وأحسنوا إن الله يحب المحسنين**) البقرة/ ١٩٥) : (**إن الله يأمر بالعدل والاحسان**) النحل/ ٩٠).

★ السمت الصالح : « ان الهدى الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة » رواه ابو داوود والترمذي .

★ الكلام الطيب : « الكلمة الطيبة صدقة » رواه الترمذي .

★ الابتسام : « تبسمك في وجه اخيك له صدقة » رواه الترمذي .

★ الحياء : « ان لكل دين خلقا وخلق الاسلام الحياء » رواه ابن ماجة ومالك .

★ الرحمة : « ارحموا اهل الارض يرحمكم من في السماء » جامع الاصول .

★ الرفق : « لا يحل لمسلم ان يروع مسلما » رواه احمد وابو داوود .

★ التواضع : « من احب ان يمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار » رواه ابو داوود والترمذي .

★ الصحبة الطيبة : « لا تصاحب الا

مؤمنا ولا يأكل طعامك الا تقي » رواه احمد والترمذي .

● ولكن هناك بعض جوانب اخلاقية معينة تمس عمل الطبيب اكثر من غيره ، ويلزمه ان يتذكر دائما حكم الاسلام فيها . ومن ذلك جوانب علاقته بالمريض كما يلي :

★ غض البصر : يقول القرآن : **(قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم)** النور/ ٣٠ . فلا يجوز ان يكون الترخيص بالاطلاع على عورات الناس عند الضرورة مبررا للتخلي عن الحياء الواجب على كل مسلم . وعلى الطبيب الا يطلع الا على ما هو ضروري . وان شعور المريض بحياء الطبيب في هذا الموقف يعطيه ثقة اكثر في طبيبه .

★ لا يجوز اخبار المريض بخطورة مرضه ولو كان ميئوسا من شفائه . ان حالة المرض من الحالات القليلة التي رخص فيها الاسلام باخفاء الحقيقة قال رسول الله : « اذا دخلتم على المريض فنفسوا له في اجله فان ذلك لا يرد شيئا ويطيب نفسه » رواه الترمذي وابن ماجه .

★ وتطبيقا للقاعدة الشرعية : « لا ضرر ولا ضرار » رواه احمد وابو داوود . فإن الطبيب عليه ان يخطر المريض المصاب بمرض معد ويدعوه الى الاعتكاف لمنع الضرر عن المسلمين ، وهناك فرق بين أن يفقد المريض الامل في الشفاء وان يعرف انه مصدر ضرر للاخرين فيبتعد عنهم . اذا تعارضت مصلحة المجتمع مع مشاعر الفرد تفضل مصلحة المجتمع . فعندما علم رسول الله ان مريضا بالجذام قادم اليه ليبايعه مع المسلمين ارسل اليه ليرجع قائلا : « ارجع فقد بايعناك » رواه مسلم .

★ والطبيب في مهنته معرض للاطلاع على اسرار المريض فيجب ان يتخلق بخلق الاسلام في هذا المجال « من ستر مسلما ستره الله في الدنيا والاخرة » رواه مسلم .

★ واذا استشاره المريض فليلتزم بالامانة في ابداء المشورة وليحافظ على ما استشير فيه ، فالرسول يقول : « المستشار مؤتمن » رواه الترمذي وابو داوود .

★ فحص الطبيب للمريضة يجب ان تحضره ممرضة او احد محارم المريضة تطبيقا لقول الرسول : « لا يخلون رجل بامرأة الا ذو محرم » رواه البخاري .

● وهناك جانب آخر من سلوك الطبيب يمكن ان نسميه اسلاميات ممارسة المهنة ـ ومنها ما يلي :ـ

★ بدء الفحص او العلاج بذكر اسم الله فان ذلك له عدة اعتبارات :

ـ ادعي للتوفيق في العمل فالرسول يقول : « كل عمل ذي بال لم يبدأ فيه بحمد الله فهو أبتر » رواه ابو داوود .

ـ استشعار لدوره كسبب نفاذ ارادة الله في العلاج وهذا هو موقف العبودية لله .

ـ توجيه عمله لله حتى يثاب عليه .

ـ منح المريض دفعة روحية وهو في موقف حساس : **(وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين)** الذاريات/ ٥٥ .

★ قد يشهد وفاة المريض وبصفته

مسلما قبل ان يكون طبيبا فعليه ان يلقنه الشهادتين كما يقول : « لقنوا موتاكم لا اله الا الله » رواه مسلم .

★ تجنب ما حرم الله في العلاج تنفيذا لقول الرسول « ما جعل الله شفاءكم فيما حرم عليكم » رواه البخاري .

وفي الطب الحديث لكل علاج محرم بديله الحلال .

★ تجنب الممارسات كالاجهاض والوشم فقد قال الرسول : « لعن الله الواشمات والمستوشمات والواشرات والمستوشرات » رواه الترمذي .

★ الا يقدم على ممارسة الا اذا كان مطمئنا الى كفايته لتنفيذها فالرسول يقول : « لا حكيم الا ذو تجربة » رواه البخاري والترمذي . ويحترم التخصص المهني تنفيذا لقول الرسول : « من تطبب ولم يعلم عنه طب فهو ضامن » رواه ابو داوود .

★ ان يحافظ على كفاءته العلمية بالتعليم المستمر فان مهنته تتعداه الى غيره وعلمه من النوع التطبيقي والرسول يقول : « الحكمة ضالة المؤمن اني وجدها ينشدها » رواه الترمذي .

★ ان يتعامل مع زملائه الاطباء على اسس من تعاليم الاسلام فيتجنب الغيبة والتجريح ويحترم الكبير : « لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا - عباد الله اخوانا » رواه مسلم . ولا يتعالى على الصغير : « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا » رواه ابو داوود والترمذي . ويقدم النصح لمن يحتاجه : « الدين النصيحة » رواه البخاري ومسلم .

وان يسعى لتعليم زملائه الاقل خبرة : « من دل على خير فله مثل اجر فاعله » رواه مسلم : « يأتيكم رجال من قبل المشرق يتعلمون فاذا جاءوكم فاستوصوا بهم خيرا » رواه الترمذي .

★ ان يفيد بعلمه كل مريض يمكنه مساعدته فالرسول يقول : « اللهم اني - اعوذ بك من علم لا ينفع » رواه الترمذي : (من كتم علما عن اهله الجم يوم القيامة لجاما من نار » رواه السيوطى .

★ ان يذيع ما يكتشفه من جديد في العلاج تعميما للفائدة ولا يحتكر طريقه في العلاج بقصد الكسب منها فالرسول يقول : « لا يحتكر الا خاطىء » رواه مسلم .

★ وان يراعي حرمة الميت كما يراعي حرمة الحي فالرسول يخاطب الكعبة قائلا : « والمؤمن اعظم حرمة عند الله منك » رواه الترمذي .

ويقول : « كسر عظم الميت ككسر عظم الحي في الاثم » رواه ابن ماجة ومالك .

ان آفاق التعاليم الاسلامية تتسع لكل ممارسة طبية يقصد بها الخير للانسان وحتى في المواضع التي لم يرد فيها نص صريح فان التشبع بروح الاسلام يعطي الطبيب المسلم امكانية التصرف طبقا للمصالح المرسلة التي يراها نافعة للبشرية .

وهذا يزيد من حاجة المجتمع المسلم لأن يكون الاطباء اقرب الى الله واكثر التزاما بما انزل الله وجاء به الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم .



مفهوم القوامة في الأسرة

تحـت هـذا الـعنـوان كتبـت الاستاذة/فتحية محمد توفيق تقول :

لابـد لكل مجتمـع من المجتمعات الانسانية من رئيس يـدير الشؤون ، ويرعى المصالح . ويتولى الامور بالرعاية والتوجيه ..

والاسرة هي المجتمع الصغير ، الذي يتكون منه المجتمع الانساني الكبير .. وبما ان الاسرة مجتمع ، فهي في اشد الحـاجة الى قـائد ، يصـرف الامور بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، ويقود هذا المجتمع الصغير . الى شاطىء الامن . ومرفأ السلام . ويساعد في بناء وتوطيد دعائم المجتمع الكبير .

ولئن كان القرآن الكريم . قد سوى بين الزوجين في الحقوق والواجبات .. فلا ينبغي ان نفهم اطلاقا من هذه المساواة : المساواة المطلقة التي تتعدى حدود القدرة والامكانيات ..

وفي سبيل تحقيق هذه المساواة ، في حدود الطاقة . كانت الدرجة التي فضل الله بها الرجال على النساء ، في قوله تعالى (**وللرجال عليهن درجة**) والاسلام الحنيف في اعطائه الرجل الحق . في القوامة على الاسرة ، قد بنى ذلك على سببين رئيسيين :

احدهما : ان الـرجل هـو المكلف بالانفاق على الاسرة . ولا يستقيم مع العدالة في شيء ، ان يكلف الانسان بالانفاق على هيئة ما دون ان تكون له القوامة عليها والاشراف على شؤونها .

وثانيهما : قوامة الرجل على المرأة . هو : ان المرأة مرهفة العاطفة . قوية الانفعال . شديدة التأثر .. وان ناحية الوجدان لديها تسيطر سيطرة كبيرة على مختلف نواحي حياتها النفسية ..

وقد سوى الله سبحانه وتعالى المرأة على هذا الوضع . حتى يكون لها من طبيعتها ما يتيح لها القيام بوظيفتها الاسـاسيـة وهي وظيفـة الامـومـة والحضانة والتربية على خير وجه ..

فلا يخفى ان هذه الوظيفة تحتاج الى عاطفة مرهفة ووجـدان رقيق وحنان رحيم . اكثر مما تحتاج الى التفكير . والادراك . والتأمل . على حين ان الرجل لا يندفع في الغالب مع عواطفه ووجدانه اندفاع المرأة . بل تغلب عليه ناحية الادراك والتفكير ..

فصفات القوامة والرياسة . متوفرة ـ

اذن ـ في الرجل بطبعه . اكثر من توافرها في المرأة ..

وقوامة الرجل ، قائمة على الرحمة . والمودة . والمحبة . وحسن التصرف ، فهي قوامة تهدف الى الرعاية والعناية والتوجيه . وليست بسلطان مفروض .

وهي بمعنى اخر : تدبر . وارشاد . وليست بسيطرة ..

قال الله تعالى في سورة البقـرة :

(ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) . ويقول ابن كثير في قوله تعالى « **بما فضل الله بعضهم على بعض** » اي لان الرجال افضل من النساء ، والرجل خير من المرأة .. ولهذا كانت النبوة مختصـة بالرجال .

وكذلك الملك الأعظم ـ رئاسة الدولة ـ لقول النبي صلى الله عليه وسلم ، « لن يفلح قوم ولوا امرهم امـرأة » رواه البخاري .

وقال تعالى في سورة النساء « **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم** » .

قال الكاتب الكبير عباس محمود العقاد في كتابه ـ المرأة في القرآن ـ : « والقـوامة هنـا في الآية السـابقة ، مستحقة بتفضيل الفطرة ، ثم بما فرض على الرجـال من واجب الانفاق عـلى المرأة ـ وهو واجب مرجعه الى واجب افضل ، لمن هو دونه فضلا وليس مرجعه الى مجرد انفاق المال والا لامتنع الفضل اذا ملكت المرأة مالا . يغنيها عن نفقة الرجل ، او يمكنها من الانفاق عليه .

وحكم القرآن بتفضيل الرجل على المرأة هو الحكم البين ، من تاريخ بنى ادم ، منذ كانوا قبل نشوء الحضارات ، والشرائع العامة ، وبعد نشوئها .

وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت : سألت رسول الله ، صلى اللـه عليه وسلم : اي الناس اعظم حقا على المرأة ؟

قال : زوجها .

قلت : فأي الناس اعظم حقا على الرجل .

قال : امه رواه البزار والحاكم .

وعن الحسن رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال « ان الله سائل كل راع عما استرعاه ، حفظ أم ضيع ، حتى يسأل الرجل عن اهل بيته » رواه ابن حبان في صحيحه .

فأنت ايها القارىء الكريم ، ترى من كل هذا ، ان هذه الرئاسة والقوامة تعني فيما تعني : قوامة متجهة الى خير من يدخل في نطاقها ، وتحقيق السعادة له .

وتعني فيما تعني : الارشاد والهداية التي تجعل من التفاهم والاقناع وسيلتها الفعالة في بناء الأسرة .

اجـل : انها ريـاسـة ، ودرجـة ، وقوامة ، تتوارى وراء البحث والتفكير الحر ولا تظهر الا عند الضرورة القصوى للفصل في المواقف المعقدة .

درجة ، وقوامة ورياسة : لا تتضمن حيفا على الزوجة ، ولا مساسا بحريتها ، ولا نقصا من حقوقها . ولكنها وسيلة لابد منها لحسن سير الامور ، في الأسرة ، وهكذا نرى الحكمة واضحة في التشريع الاسلامي .

بريد الوعي الإسلامي

شبابنا .. والتبشير الصليبي

كتب الينا من تونس الصديق/ رمضان الفارس يقول : جاءتني من فرنسا رسالتان تبشيريتان من رسائل (دروس بالمراسلة) والرسالتان تدعوانه الى اتباع المسيحية بالمراسلة ، وارسل لنا النموذج الداعي الى المراسلة وباللغة التي يريد ، ومجانا تصله المنشورات والكتيبات التبشيرية (وننشر صورته مع التعليق)

ورد الصديق على الرسالتين مسترشدا بقوله تعالى : (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) .

فكان مما قال :

كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سائر الملوك والأمراء في عهده فقد كتب الى هرقل امبراطور الروم والى كسرى ملك الفرس والى المقوقس عظيم القبط في مصر ، ونجاشي الحبشة والى سائر أمراء العرب يدعوهم الى الاسلام فماذا فعلنا نحن ؟ وصلتني رسالة تبشيرية من فرنسا تدعوني الى اتباع الديانة المسيحية عن طريق المراسلة وهي الثانية من نوعها ولقد قمت بالرد على الأولى في العام الماضي ولكن دعاة الشرك يواصلون بث سمومهم فماذا فعلنا نحن ؟ انشغلنا باللهو والحياة الفارغة ، ونسينا ما كان عليه السلف الصالح فرق ، كبير بين اناس قال الله في حقهم (**كانوا قليلا من الليل ما يهجعون . وبالأسحار هم يستغفرون . وفي أموالهم حق للسائل والمحروم**) وبين اناس انحرفوا عن جادة الصواب ، قد أضاعوا ليلهم في المعاصي في حين أن أعداءنا يخططون لنا ويبرمجون وبعد ذلك نطلب النصر من الله ! فواجبكم يا حماة الاسلام وحراس العقيدة أن تنتبهوا الى خطورة هذا الأمر ، وأن تضعوا حدا لهذا التيار قبل أن يكبر ، وهل آن لنا أن نستفيد من دروس الماضي القريبة منها والبعيدة كما استفاد بها أبطالنا من قبل فنعود الى قرآننا ونجمع القلوب التي تفرقت . أما آن لنا أن نتوقف عن البكاء على ماض ضيعناه ونشرع في التخطيط لمستقبل نطمئن به على أبنائنا من بعدنا ويكفينا فخرا أن يكون جيلنا هو الجيل الذي يرد الخطر ويؤمن المستقبل ، ولا يتم هذا الا بالاستفادة من دروس التاريخ وبخلق هدف نبيل يعتمد على كتابنا الكريم . وواجب المسلمين في كل عصر أن ينتبهوا لما يحيط بهم وما يحاك لهم من مؤامرات

ودسائس ، وما أكثرها وصدق الله تعالى : (**ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**) آل عمران/٨٥ .

المحرر :

ونطمئن الصديق رمضان .. بأن الله سبحانه وتعالى ناصر دينه ، وحافظه من كل تحريف أو تبديل ، ولأن الاسلام هو دين الفطرة فانه يكتسب كل يوم أنصارا وأتباعا .. ذاك لأنه ما من فضيلة الا ودعا اليها ، وما من رذيلة الا ونفر منها .. والاسلام دين البساطة : اله واحد بلا تعدد ولا شبيه ، ولا ميوعة في الفكرة .. وتشريع يهدف الى صالح الانسانية جمعاء في الدنيا .. ويعد المتقين بنعيم مقيم في الآخرة .. العدل فيه هو الميزان .. والحق هو المتبع .. والعقل والشرع يسيران معا في طريق النور .. ورسوله هو خاتم الأنبياء والمرسلين ..

الاسلام بقوته الذاتية ينتشر في ربوع العالم ليبدد الخرافات .. ويدعو أهل الديانات السابقة الى كلمة سواء .. اخلاص العبادة لله .. والدخول فيما بشر به الأنبياء السابقون جميعا من أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو رسول الله الى الناس كافة وعلى الجميع اتباعه ، والايمان برسالته .. ليجدوا الخير في الدنيا والآخرة ، والا فلن يقبل الله من الأديان الا الاسلام ..

وواجب المسلمين اليوم أن يكونوا قدوة ومثلا طيبا .. فقد كان السلف

الصالح قرآنا متحركا .. في معاملاتهم ، وقوانينهم ، واجتماعياتهم ، وسياستهم ، وكل شؤون حياتهم .. فدخل الغير في الاسلام لما رآهم على هذا المستوى من صدق الحديث ، والوفاء بالعهد ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ..

وهذا هو أول الطريق للدعوة الى الله ، سلوك مستقيم ، وطهارة في الظاهر والباطن ، وبعد ذلك تؤتي الكلمة الطيبة ثمارها ..

وعلى علماء المسلمين وأغنيائهم أن يضعوا في ميزان حسناتهم ما يرفع درجتهم عند الله فبالعلم والمال تقف الدعوة الى الاسلام في وجه المنحرفين والعابثين .. وعن طريق الكتيبات البسيطة في أسلوبها الواضحة في معناها يمكن أن ندعوا الى الله .. أرأيت أخي المسلم كيف أنهم في كفرهم على استعداد لارسال تعاليمهم بأية لغة لأي شخص ومجانا !! ما أحرانا - ونحن دعاة الخير - أن نبذل في سبيل الدعوة الى الله بعض أموالنا .. ونوجه رسائلنا عن طريق الاذاعة والتلفزيون والصحافة ، والرسائل الى انسان العصر الحاضر حيث الاتصالات سهلة ، والمسافات قد تلاشت بين أقطار الأرض ، والعقل البشري يستطيع تمييز الخبيث من الطيب .. متى حمل أمانة التبليغ علماء أكفاء مخلصون للحق ..

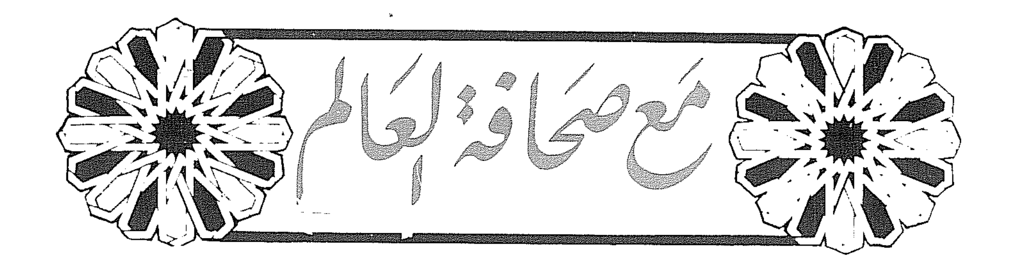
« والله متم نوره ولو كره الكافرون » .

احلام مزعجة

رسالة جاءت من العريش - ج . م . ع - يقول صاحبها : انه يعاني من احلام مزعجة ، وتسيطر عليه افكار غريبة ، ويجد نفسه في اوضاع لا يرضاها لنفسه ، ويحرمها الدين الاسلامي الحنيف ، ثم يفيق من نومه ليجد آثارا في ملابسه ، توجب عليه الاغتسال ، ويسأل عن حل ؟ ..

المحرر : الاخ السائل لا ترهق نفسك ، ولا تحملها فوق ما تطيق ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رفع القلم عن ثلاثة : عن المجنون المغلوب على عقله حتى يبرأ ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبي حتى يحتلم » .

من هنا فلا اثم عليك فيما يصدر منك ، او تجده في منامك ، فلتهدأ نفسا ، ولتقر عينا ، هذا وبالمداومة على الصلاة وتلاوة القرآن الكريم خاصة قبل النوم ، تذهب عنك باذن الله وساوس الشيطان ، واذا وجدت شيئا مما تكره ، فحاول الاستيقاظ من نومك ، واستغفر الله ، وادعوه ، وفوض الامر عليه ، وحاول ان تشغل نفسك بالطاعات دائما ، فيصح نومك ، وعلى اية حال فانه لا اثم عليك فيما تجده في منامك ، ويجب عليك الغسل من خروج المنى فقط .. والله يصرف عنك ما يسوء ، واستشر طبيبا فقد تكون اعصابك مرهقة والشفاء من عند الله .



حاربوا التبشير بالسلاح الذي دخل به

○ كتبت جريدة الدعوة السعودية في عددها رقم ٨١٣ كلمة حول هذا الموضوع جاء فيها

التبشير نقطة هامة يرتكز عليها الاستعمار وينطلق منها ، ومجلة الدعوة الغراء في عددها رقم «٧٩١» تحت عنوان : « ضرورة انشاء مدارس اسلامية في العالم الاسلامي » ، ذكرت ناحية هامة لمحاربة الاستعمار الا وهي انشاء مدارس اسلامية مقابل مدارسه التبشيرية المنتشرة في كل مكان من العالم الاسلامي ، وبذلك تكون قد فتحت ملف هذا الموضوع الهام الذي يجب ان يبحث من جميع نواحيه .

ولعلي في الكلمة التالية اسهم في الافصاح عن بعض النواحي التي استطاع به الاستعمار ان يدخل الى بلاد الاسلام افكاره ومعتقداته .

لقد نفذ من ابواب كثيرة فغزا العقول وافسد المعتقدات ، وبنظري ان اوسع الابواب التي دخل منها « الفقر » ذلك الاخطبوط المفزع الذي يمسك بخناق الانسان فيحاول التخلص منه بأية طريقة فالفقير ككل انسان يريد ان يؤمن الدواء لولده والكتاب لفلذة كبده ، واللباس لعائلته ، والرغيف لمن يعول ، يبغي تهيئة المناخ الصالح لحياة يسعد فيها وعائلته يطوي بها ايام حياته . وهنا ، وجد الاستعمار مرتعا خصبا يرتع فيه كيف شاء فأمن للفقراء كل هاتيك المتطلبات الضرورية الملحة والتي لا يستطيع المرء ان يعيش بدونها ، امنها لهم باسم الانسانية ، وهو بلا شك كاذب ، امنها لهم باسم العطف والحنان وحقوق الانسان وهو ثعلب مراوغ انها طريقته التي استطاع ان ينجح فيها الى حد كبير واسلوبه في العمل لتنفيذ المخطط الذي قرره دهاقنة المبشرين المتأمرين على الاسلام .

وبحكم الحاجة انزلق الفقير المحتاج لتأمين الكتاب والدواء والغذاء وكان فساد عقيدته واولاده .

نحن لا نلتمس كبير عذر لهؤلاء ولكن الغريق يريد ان يمسك بمن ينقذه بلا تمييز ولا خيار حتى ولا ادنى نظر الى ما يترتب عليه لقاء نجاته من الغرق .

ـ والجوع امهر الطباخين ـ / والحاجة ام الاختراع / (وكاد الفقر أن يكون كفرا) .

ولا يعقل ان يترك انسان في اليم تتقاذفه الامواج ونقول له : اياك اياك ان تبتل بالماء !!!

ان الكثير من الشعوب الاسلامية التي غزاها التبشير تشكو الفقر ، فقر في الرجال فقر في المال فقر في كل الامكانيات ، وبعملية حسابية بسيطة يتبين لنا ان الزكاة المفروضة على الموسرين في العالم الاسلامي المترامي الأطراف تكفي لسد حاجيات تلك الشعوب وبالتالي توصد بابا واسعا أمام الغزو التبشيري المتزايد .
اقول عندنا في لبنان ، في الخليج ، في كثير من بلاد الاسلام تبذير بين للاموال واسراف متزايد ، اناس يصرفون المال هنا وهناك بلا حساب واخرون يفتقدون الدرهم لاطعام جائع او كسوة عار او معالجة مريض .
ان الذي ينفق الملايين في حفلة زفاف !! يستطيع ان يبني مستشفى ، والذي يصرف مليوني ليرة في اشهر الصيف !! يستطيع ان يؤسس جامعة ، والذي يصرف مليون ليرة في رحلة استجمام تدوم عدة ايام فقط !! يستطيع ان يطبع عدة الاف من كتاب إسلامي ـ في العقيدة مثلا ـ يوزع مجانا على شبابنا في العالم الاسلامي .
نحن لسنا بحاجة الى الاستعمار ، لسنا بحاجة الى مدارسه وجامعاته ، لسنا بحاجة الى مستشفياته ومصحاته ، لسنا بحاجة الى ماله وثروته ، لسنا بحاجة الى عطفه وحنانه ، فعندنا كل شيء موجود ومتوفر ـ **وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها** ـ ولا ينقصنا سوى الاهتمام بأمور المسلمين استجابة لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من بات ولم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » .
فهل يفكر اصحاب الثروات الضخمة في امور المسلمين ويتنادون لوضع دراسة شاملة كاملة لجمع الزكوات والتبرعات ووضعها في مكانها المجدي المثمر ضمن خطة يشرف عليها العاملون في الحقل الاجتماعي والاسلامي العام والامراء والعلماء من ذوي الهمم العالية والغيرة الاسلامية الصحيحة ؟؟

المسلمون بخير

○ **نشرت جريدة النور المغربية بتاريخ ١٩٨٢/١/١٢ هذه الكلمة** :

على امتداد التاريخ الاسلامي كان العلماء يقفون في وجه كل طاغية ، ومحرف ، ومبتدع ، وقدم العلماء الصورة الناصعة للتضحية بأموالهم وأنفسهم في سبيل ربهم ، ومع انصرام القرون فان اسماء : سعيد بن جبير ، واحمد بن حنبل ، والثوري ، وغيرهم وغيرهم لا تزال تثبت للعالمين ان مهمة العالم في الاسلام هي ان يقف في وجه كل انحراف وزيغ ، وان يكون صوت الحق المدوي الذي لا يخشى في

الله لومة لائم .
والمسلمون اليوم بخير لماذا ؟ .. لان السجون تستقبل افواج العلماء بين فينة واخرى ، ولأن حبال المشانق ، والرصاص المستورد تزهق ارواحهم التي ترتفع الى الله ضارعة .
كل هذا يبشر بخير فالمسلم الحق هو الذي يبتلي فيصبر ويجاهد ، ولينصرن الله من ينصره .

الوصول الى الحق

○ **قالت جريدة الانباء الكويتية في عددها رقم ٢١٩١ تقول :**

لقد اصبح واضحا اليوم انه لا بقاء لهذه الامة ولا نصر لها ، ولا علاج لمشاكلها المعقدة الا بالعودة الى الاسلام وتطبيق احكامه العادلة وتعاليمه الكريمة بحذافيرها .. ويوم اعتصم العرب بالاسلام منذ اربعة عشر قرنا من الزمان عزوا بعد ذلة ، وقووا بعد ضعف ، واهتدوا بعد ضلال فعلت رايتهم ، واحترمت كلمتهم ، واتسعت دولتهم وعظم سلطانهم ، وانهارت امامهم كل قوى . وتلاشى امام هيبتهم كل نفوذ ، وتحطم امام غضبتهم كل جبروت ، وطأطأ الرأس لمطالبهم كل طاغية عنيد .. كيف حصل هذا ؟ كيف تبدلت الاحوال ؟ كيف صار الضعف قوة ؟ كيف اصبح الاعراب المتقاتلون المتباغضون اخوة متآلفين متحابين ؟.. انه الاسلام ، وانه القرآن ، انه نور الله العظيم ، انه كلامه الحكيم من اتبعه فقد اهتدى ، ومن استمسك به فقد عز وساد ، وبالمقابل فان من ينحرف عنه يضل ويشقى ومن يبتغ العزة من غيره يذله الله .
نعم هذا ما فعله الاسلام ، وهذا ما فعله العرب بعد ان اسلموا ، وهم بعد ذلك كلما ابتعدوا عن دينهم وعن اسلامهم ، كلما اذاقهم الله لباس الجوع والخوف ، وكلما حادوا عن الطريق المستقيم ، كلما نكبوا وابتلوا بالقحط والمرض والذل والهزيمة والخذلان ، وكلما اقبلوا على الدنيا كلما اعرض عنهم الله وتخلى عنهم يقول جل شأنه « **ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا** » .. ويقول : « **ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون** » .
ان ما اصاب العرب والمسلمين اليوم من ذل وهوان ، وما الم بهم من ضعف وانحطاط هو نتيجة حتمية لتخليهم عن تعاليم دينهم واقبالهم على الدنيا ، واعراضهم عن الاخرة ، بخلاف ما كان عليه اباؤهم الاوائل ، وسلفهم الصالح رضوان الله عليهم . ولن يكشف الكرب ، ولن يرد الخطر الداهم ، الا اذا عرف المسلمون وخاصة العرب منهم كيف يعودون الى الله تعالى وكيف يقيمون حدوده ، وكيف يتخلصون نهائيا من حب الدنيا ، وحب المال ، وحب الشهوات والا فسوف تكون ـ لا قدر الله ـ الضربة قاضية والهزيمة منكرة .

الى السادة كتاب المجلة

يرجى التفضل بمراعاة الآتي عند ارسال مقالاتكم وانتاجكم الينا :

○ كتابة الاسماء والعناوين كاملة وواضحة في ختام كل مقالة او بحث او اسم البنك ورقم الحساب وذلك تسهيلا لارسال المكافأة .

○ موضوعات المناسبات الدينية ترسل قبل موعدها بثلاثة اشهر على الأقل حتى يتسنى نشرها في حينها .

○ المقال او البحث المرسل لا يقل عن سبع صفحات فلسكاب مكتوب بالآلة الكاتبة ولا يزيد عن عشر صفحات .

○ ترقيم جميع الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية الواردة .

○ لا تقبل البحوث المسلسلة او المقالات المجزأة .

○ يجب ان يكون الانتاج المرسل خاصا للمجلة وألا يكون قد سبق نشره او ارساله الى جهة اخرى للنشر .

○ النشر في المجلة يخضع لاعتبارات فنية في المقال ذاته دون نظر الى كاتبه . والاخطار بوصول المقال لا علاقة له بالصلاحية .

○ ضرورة ذكر المراجع حتي يمكن التحقق مما جاء في المقال عند الضرورة .

○ البعد عن الخلافات المذهبية والسياسية حرصا على الوحدة الاسلامية .

○ لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر .

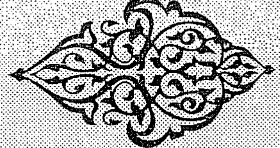


تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر :	القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .
السودان :	الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)
ليبيا :	طرابلس ـ المنشأة العامة للتوزيع والنشر .
الجزائر :	الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب :	الدار البيضاء ـ سابرس ـ محمد برادة
تونس :	الشركة التونسية للصحافة .
لبنان :	بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الاردن :	عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية :	جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب (٤٧٧)
	الخبر : مكتبة مكة ـ ص.ب (٦٠)
	الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٣)
مسقط :	المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب (١٠١١)
صنعاء :	دار الفكر
البحرين :	دار الهلال
قطر :	دار العروبة ص.ب ٦٣٣
ابو ظبي :	المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي :	دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت :	مكتبة الكويت المتحدة

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد



طباعة مؤسسة دار السياسة ــ الكويت ــ